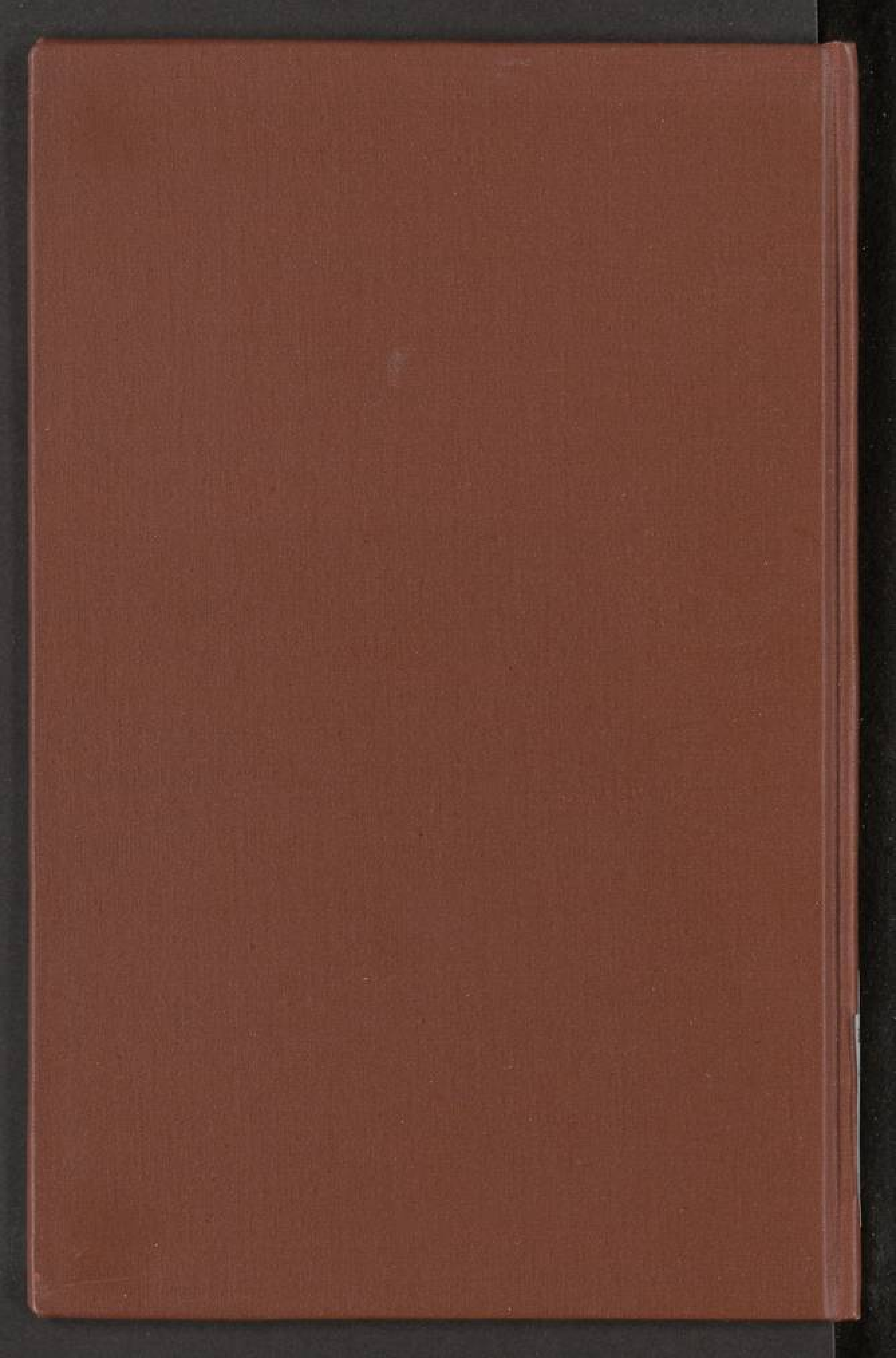


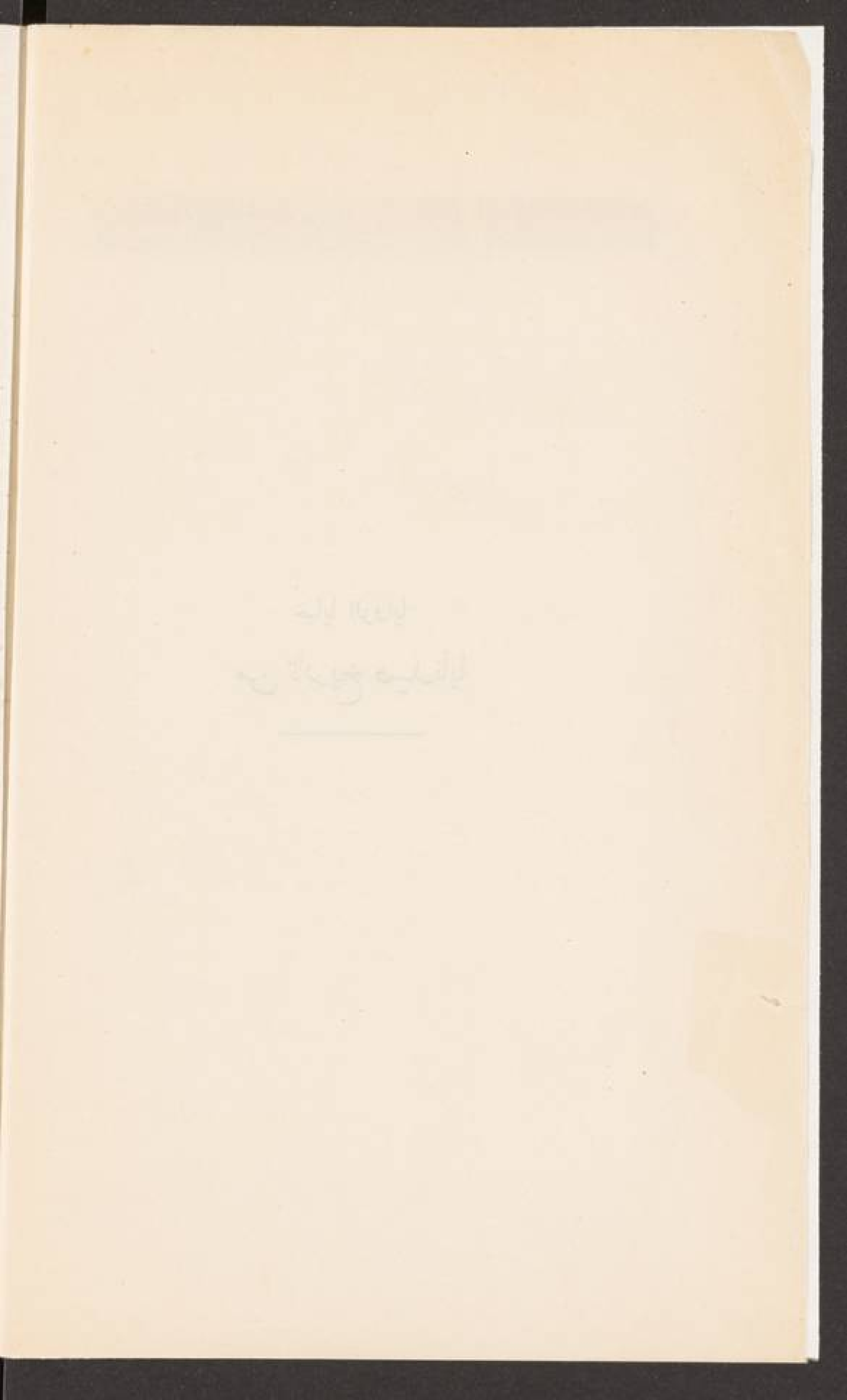

BOBST LIBRARY
3 1142 02979 1780

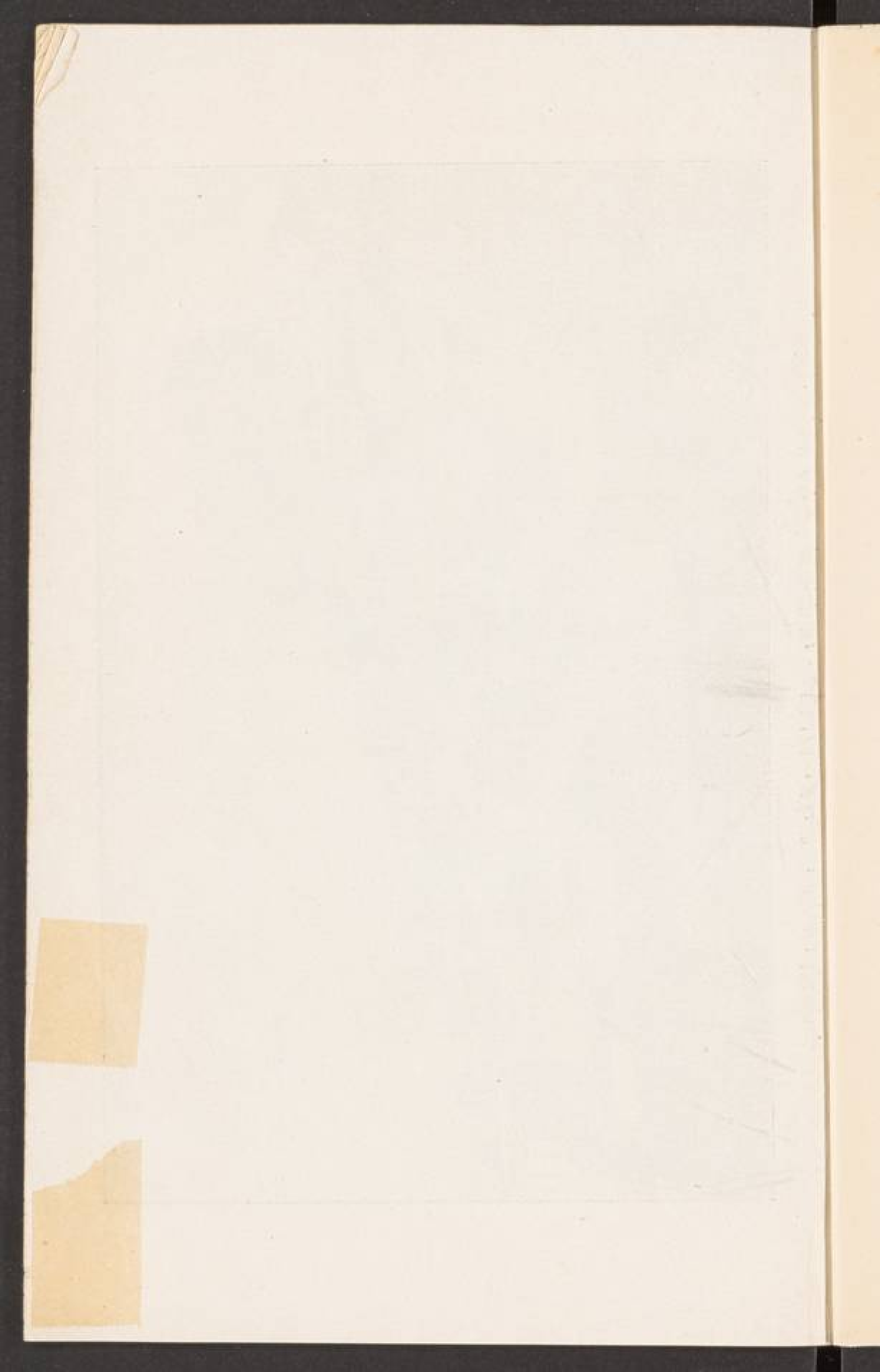


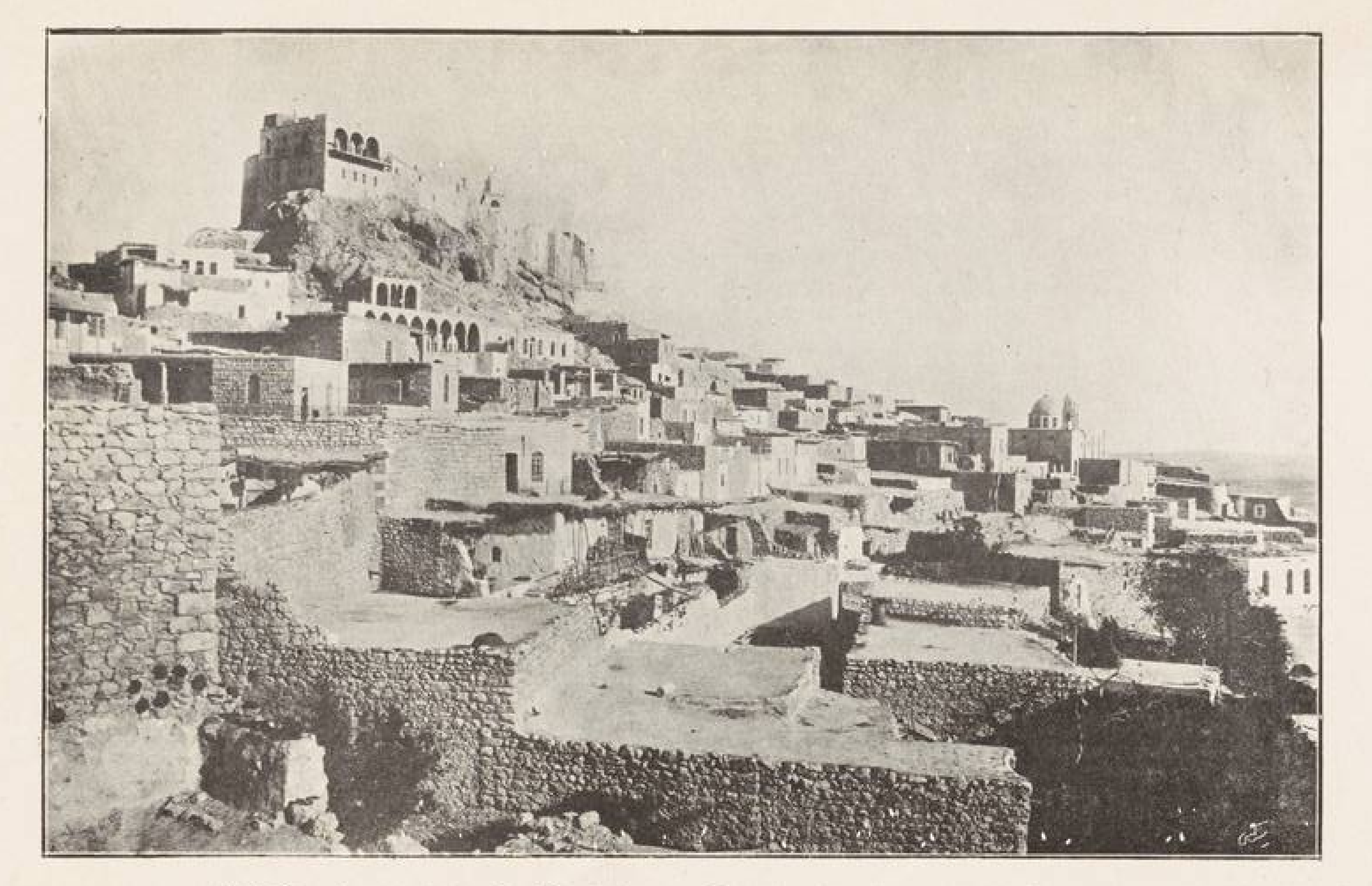


خبايا الزوايا

من تاريخ صيدنايا







صيدنايا الحالية : الى اليسار دير السيدة للروم الارثوذكس . والى اليمين كنيسة صوفيا او المجامع للروم الكاثوليك

هدايا المسرة

وثائق تاريخية

للكرسي الملكي الانطاكي

٣

خبايا الزوايا

من

تاريخ صيدنايا

بقلم

حبيب زيات

مطبعة القديس بولس في حريصا

سنة ١٩٣٢

هدية المسرة السنوية

(١٩٣٢)

بطريركية
الانطاكية والاسكندرية واورشليم وسائر المشرق
للروم الكاثوليك

سجل عدد
٣ ١٧٩٢ الاسكندرية في ١٣ يونيو سنة ١٩٣٠

لحضرة الابن العزيز الخوري انطون حبيب رئيس الجمعية
البولسية الجزيل الاحترام

سلام وبركة رسولية

نهديكم البركة والدعاء وبعد نوفد اليكم ولدنا الهمام حبيب افندي زيات المشهور في الشرق والغرب بعلومه الواسعة عن الآثار الشرقية عامةً والمسيحية الملكية خاصةً، وقد طاف مكاتب اوروبا الكبرى وجمع من المواد التاريخية الخطيرة عن كنيستنا الانطاكية ونسخ الوثائق الثمينة والمستندات القيمة وصوَّر الامور الجليلة عن المخطوطات القديمة والحديثة ما جعل بين يديه الأُسَّ الراهن العلمي العصري لمؤلف كبير عظيم القدر والفائدة يحسده عليه اقطاب العرفان في اوروبا الناهضة . وقد اطلعنا على جزء من تلك المجموعة الفريدة فأُعجبنا بـدقته وجلده ونشاطه واسلوبه العلمي

النادر المثال ورغبنا اليه ان ينشرها تباعاً في كتاب خاص يعود على كنيستنا وطائفتنا بالفخر والمجد ويكشف النقاب عن مفاخر الشرق المسيحي . فكان لكلامنا صدى استحسان في صدره، واقترح ان يصدر لهذه الغاية مجلة علمية او نشرة طائفية تطبع مرة في كل ستة اشهر وتضم بين دفتيها المقالات الضافية عن تاريخ كنيستنا الملكية ورجال الدين والادب فيها في الاعصار الغابرة الى دهرنا الحاضر والمواضيع الجغرافية والطقسية والاثرية مما يرفع شأن هذه الطائفة المحبوبة . فاستصوبنا رايه واثنينا على همته الشماء وتضحيته الكاملة واحلناه اليكم ايها الابن العزيز

ولذا نفوض اليه ان يذاكركم في هذا الموضوع الخطير لتحقيق امانينا وامانيه ويتفق معكم ويمهد السبيل في المفاوضات الاولية حتى يتسنّى لنا عند حضورنا الى لبنان ان نضع هذه الفكرة في العمل . وهو ينوب عنا في هذا الامر ويدلي لكم بايضاحاته الشخصية الثمينة

وعلى امل النجاح ندعو لجمعيتكم الجليلة بالتوفيق مكررين عليكم البركة الرسولية

✠ كيرلس التاسع
بطريرك انطاكية والاسكندرية
واورشليم وسائر المشرق

بناء على هذا الكتاب البطريركي الكريم قد تفاوضنا نحن وحضرة صديقنا حبيب افندي زيات في شأن المباحث والدروس التي ذكرها السيد المغبوط واتفقنا على ان يتولى حضرته ادارتها. فانقطع الى البحث والتنقيب في خزائن الكتب في اوربا، فزار

الخزانة الوطنية الكبرى في باريس والخزانة الفاتيكانية في رومة مع اركيفيون مجمع انتشار الايمان المقدس وخزائن غيرها كثيرة في رومة مع خزانتي الكتب في لندن وامستردام، فضلًا عن خزائن القبر المقدس في اورشليم ودمشق ودير السيدة في صيدنايا وما لديه في خزانته الخاصة من الوثائق الثمينة. واول ما شاء ان يتحفنا به من ذلك هو هذا الكتاب: «خبايا الزوايا من تاريخ صيدنايا» الطائرة الشهرة شرقاً وغرباً قديماً وحديثاً، جمع فيه شتات المعلومات عن هذه البلدة وجغرافيتها وتاريخها واسمها ولغتها السريانية وكنائسها واساقفتها وديورتها ولاسيا دير السيدة وايقونته وزواره ورؤسائه ورئيساته. وعارض بعضها ببعض منتقداً اياها انتقاد عالم خبير متجرّد، حتى جاء كتابه مثالاً حياً للنقد التاريخي العلمي النزيه، وسفراً نفيساً شائقاً، بل فريداً في بابه. والله وحده يعلم كل ما كابد في سبيله من مشقة وسفر ونفقة ليجعله في حجمه وشكله من الترتيب والدقة في كل ما اورده فيه. ولا ريب في انّ علماء الغرب يحلّونه محلاً كبيراً من الاعتبار يليق به، ويتخذونه المرجع الاوحد الذي يعوّل عليه في الكلام عن صيدنايا. ولا شكّ ايضاً في ان قراءنا الكرام يرتاحون الى مباحثه الطريفة في تاريخ بقعة كريمة من بلادهم، ويقدرون قدره شاكرين معنا لحضرة مؤلفه الفاضل كل ما بذل ويبذل من جهد وعناء مع النفقات الطائلة خدمةً للعلم وللملة الكريمة خدمةً نزيهة مجرّدة. اخذ الله بيده لانجاز كل ما ينوي طبعه ونشره في هذا الشأن (المسرة)

مقدمة

لم يُرزق بلد في الشام ما رُزقته صيدنايا من السعادة والحظوة ليس في الشرق فقط بل في الغرب ايضاً ولاسيما في عهد الصليبيين حين كان ذكرها قد طبّق الآفاق وملأ الافواه والاسماع بما اشتهر عنها من اخبار المعجزات والغرائب في كنيستها الكبرى المعروفة بكنيسة السيدة. فكانت طوائف النصارى على تباين فِرَقهم ومذاهبهم واختلاف أُممهم واجناسهم يحجّون اليها من كل الاقطار والبحار. ويعانون من اجل التبرك بها ضروب المشقات والاخطار لما كان يعترض وقتئذ دون الوصول اليها من تراكم العقبات وتنائي المسافات وهول المسالك والمهالك ووفرة المظالم والمغارم وخصوصاً في دولة المماليك. ومع ذلك كانت الملوك والامراء في الغرب اذا استأذنت لوفودها في زيارة بيت المقدس تقتضي معها دائماً زيارة صيدنايا كما نبّه على ذلك شهاب الدين العمري في كتابه مسالك الابصار. فلا غرو من ثم اذا كان اسم صيدنايا مستفيضاً في كتب الغربيين وكان لها في رِحَلهم ذكر نابه ومقام. ومن الغريب ان ما كُتب عنها في الغرب وما نُظم في وصفها ورواية اخبارها يربي كثيراً على ما خطته يد الشرقيين كدأبهم غالباً في قلة المبالاة بما في ديارهم. وغاية ما يعثر عليه اليوم الباحث عندنا من التعريف بهذه البلدة حتى في المخطوطات الدينية بَرض من عِدّ مما يجده من الكلام عليها في الاسفار الاوروبية في كل قرن منذ الثاني عشر الى اوائل التاسع عشر. وقد انفرد ياقوت الحموي بالتنبيه عليها بين مؤلفي كتب البلدان. ولكن لسوء الحظ

لم يزد حرفاً عـلى ذكر اختصاصها بكثرة الكروم وجودة الخمر .
واوحد من تبسط قليلًا في وصفها صاحب مسالك الابصار المشار
اليه في الفصل الذي عقده على تعداد الديارات والخانات . وتقدمه في
ذلـك الشيخ المؤتمن ابو المكارم سعدالله بن جرجس بن مسعود
في ما رواه في كتابه عن الكنائس والاديار نقلًا عن انبا ميخايل
مطران دمياط القبطي سنة ١١٨٤ للميلاد . وما سوى ذلك فكله
اقاصيص دينيـة وازجال عامية ليس للمؤرخ فيها كبير غناء .

وقد اشتهر بين هذه الكتابات الغربية بضع منها في العصور
الاولى اكثرها باللاتينيـة . وهي مرجع كل من تكلم على صيدنايا
حتى في الايام الاخيرة تكاد تكون متشابهة في النص لا تخرج
عن نمط واحد يقلد فيها الاول الآخر . وقد اقتصرَت في الغالب
عـلى نقل حكاية الايقونة ومصيرها الى الدير وتكرار الخوارق
التي اجمعوا على انها كانت تحدث بفضل الزيت السائل منها . واغفلت
لقاء ذلك وصف الكنائس والاديار والتعريف بالقرية واهلها والاشارة
الى زوّارها مجتزئة بالتنبيه على جودة عنبها وخمرها فقط بحيث لا
يجد الباحث فيها ما يقتبسه للدلالة على ما كانت عليه صيدنايا في
الازمان الغابرة والاستعانة به عـلى ايضاح تاريخها الحاضر . ولكن
هنالك اسفاراً اخرى يكاد يكون بعضها مجهولاً كُتبت بالفرنسية
والانكليزية والايطالية والالمانية بين القرن الخامس عشر والتاسع
عشر . ومع انها كالأولى تُعاب بالتقليد وقلة التحقيق فهي لا تخلو
من بعض الاشارات والايضاحات اذا جمعها الناظر فيها وعارض بعضها
ببعض تهيأ له منها قسم صالح لان يعوَّل عليه في درس اخبار صيدنايا

وتوجيح ما يتغلب ترجيحه من شرح احوالها وصفة معابدها وابنيتها وترجمة بعض رؤسائها وخَدَمة الدين فيها . وقد فاتت مراجعة هذه الرَحل كل من كتب عن صيدنايا بين الغربيين انفسهم لما في التنقيب عنها والعثور عليها ودون التوصل اليها والاحاطة بها من المصاعب والنفقات ومواصلة الاسفار واضاعة الاوقات فضلاً عن الجلد والعزم والرغبة المجردة في خدمة العلم بحيث لم يقم الى اليوم حتى في الغرب نفسه من تمكن من استقراء كل ما كتب عن صيدنايا واستقصاء كل اخبارها واوصافها واستنشاء اسرارها من الروّاد والحجاج بين هذه التآليف المنضدة في الخزائن الاروبية

ولما كان تاريخ صيدنايا جزءًا من تاريخ دمشق بل فصلاً من تاريخ النصرانية في الاسلام تتجلى فيه بعض وقائعها واخبارها وتقاليدها واساطيرها وكان الكلام عليهِ غضاً طريفاً يكاد يكون مبتكراً في بعض اقسامه حرصت منذ تهيأت لي زيارة خزانتي الفاتيكان وباريس على ان اضم ما وُفقت للعثور عليه في مطالعاتي فيهما من الفوائد والاشارات الى ما كنت التقطته في الشرق من اخبار صيدنايا حتى اجتمع لي من هذه الذخائر والنوادر ما ظننت ان فيه بعض الكفاية . وما لا يُدرك كله لا يُترك جُله . وكل من عانى استجلاء امثال هذه الغوامض القديمة في الشرق يعلم ما يتطلبه هذا الدرس الشاق من البحث والتنقيب وما يقتضيه من تصفح المخطوطات ومراجعة المطبوعات بحيث اضطررت ان اتي على اكثر ما في الخزانة الفاتيكانية واتتبع معظم ما في الخزانة الباريسية من كتب البلدان والاسفار السورية فضلاً عما تيسر لي تقليبه

قبلاً من محفوظات الدير على قدر ما رُخص لي فيها . وقد اشرت الى هذه المراجع كلها بغاية الدقة والامانة لتسهل مراجعتها على من يشاء نقدها . واتبعت كل رأي او حكم بثَبَتهِ وإسناده ليكون القارئ على ثقة منه . ولا اشك انه فاتني من امثال هذه الخبايا في الزوايا جانب لم يبلغه الباع القاصر وكم ترك الاول للآخر

وقد وجدتَ مكان القول ذا سعةٍ   فان وجدت لسانا قائلاً فقلِ

اقالون (فرنسا) ١٢ تموز سنة ١٩٣٢



صيدنايا

اجمع كل من زار هذه القرية على اطراء موقعها في الشمال الشرقي من دمشق في مُستشرَف من جبل القلمون المعروف قبلاً بجبل سنير يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر نحواً من ١٤٠٠ متر ويُطل منه على سهل متسع تنشرح لمرآه الصدور . وفي اعلاه دمنة مار شربين تتناول الابصار منها سواد غوطة دمشق . والبلدة اليوم من اعمال قضاء دومة . وكانت قديماً في الاعصر الاولى مضافة الى كورة من كور دمشق كانوا يسمونها اقليم سنير[1] تشتمل على معلولا والتينة الى تلفيتا والمعرة وما بينها واليها من القرى والمزارع . ومع ان هذا الاقليم كان داخلاً في جملة اعمال دمشق كان يُقتطع منه احياناً ويُضمَن والي حمص لقربه من عمله كما حدث سنة ٣٧٠ للهجرة . قال ابن القلانسي «كانت العرب قد طمعت في عمل دمشق وافسدت الغوطة . وكان بها القائد ابو محمود واليها في ضعف . وهو ضميمة لقسّام . فملك في دمشق في سنة ٣٧٠ . وكان بكجور (والي حمص) قد ضمن اعمال المغاربة قارا ويبرود والتينة وصيدنايا والمعرة وتلفيتا وغيرها من ضياع جبل سنير فحماها من العرب والحرامية وحسنت حال دمشق بذلك[2] »

ومن جال خلال هذه البلدة وعاين الاطلال الشاخصة فيها والآثار الماثلة في داخلها وخارجها بين كتابات وتماثيل وجُدُر وعُمُد

---

(١) كتاب البلدان لابن الفقيه ص ١٠٥ والمسالك والممالك لابن خرداذبه ص ٧٧

(٢) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٢٤

ومغاور و كهوف ومدافن ورسوم تحقق ان لها ماضياً مجيدًا عريقاً في القدم . ويكفي النظر الى بقايا مار توما ومار شربين والتأمل في بناء كنيسة القديسين بطرس وبولس وبعض دير السيدة لتتجلى عظمة شأن صيدنايا في ايام الرومانيين . وقد نقل موندرِل منذ سنة ١٦٩٧[1] ومن بعده وادنغتون المشهور[2] نص الكتابات اليونانية المرقومة في الصخر خلف كنيسة الشاغورة في ذيل تماثيل ثلاثة مهشمة الرؤوس وفيها تاريخ سنة ٥١٠ للاسكندر (١٩٨ للميلاد) وهو ما يبعث على الاعتقاد ان منشأ هذه القرية كان في اوائل النصرانية اذا كان لم يسبق للوثنية فيها نصيب . بل ان هنالك من التقاليد البلدية ما يرجع بها الى ما وراء ذلك حتى عهد نوح في رواية نقلها عنهم بعض سيّاح الفرنسيين في القرن السادس عشر زعموا فيها ان نوحاً هو اول من غرس الكرم في صيدنايا كما سيجي. . و كأن هذه الخرافة لم تكن تكفي صيدنايا فزاد عليها سائح آخر الماني ان فيها ايضاً اراد ابرهيم ان يذبح ابنه اسحق[3] . وروى الراهب سوريانو الايطالي المعروف في الشرق ان في وادي برزة او وادي صيدنايا صنع نوح الفلك[4]

ولا يخفى ما في التاريخ الشرقي من الفاقة والغموض لقلة احتفالهِ في الغالب بغير ذكر الملاحم والحروب . واقتصاره على تعداد

(1) Henri Maundrell. *Voyage d'Alep à Jérusalm en 1697* Paris 1706 p. p. 223-224.

(2) W. H. Waddington. *Inscriptions Grecques et Latines de la Syrie* p. 588 nº 2562.º

(3) Ludolphe de Sudheim. *Di itinere Terre Sancte* (Archives de l'Orient Latin) t. II, p. 362.

(4) Francesco Suriano. *Trattato di Terra Santa e dell'Oriente.* Milano 1900 p. 152.

الدول وحكاية ما بينها من الفتن والخطوب . فلا تكاد كبار المدن الشامية تجد لها فيه سجلًا جامعاً بين انباء ماضيها وحاضرها وآثارها ومآثرها فكيف صغار البلدان والقرى ولاسيما النصرانية منها . ولذلك لا يظفر الراغب في اخبار صيدنايا بما ينقع بعض الغلّة منها ولا يدري ما حدث فيها من الكوائن وحل بها من النكبات والاوبئة، وما تتابع عليها من السعادة والشقاء منذ اشتهرت بكنائسها وايقونتها وغصت بزوارها وحجاجها الى اوائل القرن التاسع عشر . ومن طاف على ما بقي من اديارها ومعابدها وشاهد هذه الانقاض والدِمَن فيها، لا يعلم هل هي من فعل الايام وتوالي السنين ام من جوائح الظلم والاعتداء، لانه يبعد جداً ان تكون صيدنايا على ما عُرفت به من وفرة الاوقاف والنذور والهبات قد سلمت من استباحة الحكام والطغام حين كانت دمشق طعمة لهم يتناولون كنائسها بالتدمير والحريق والنهب والسلب كما حصل سنة ٣١٢ للهجرة (٩٢٤ م) . قال المقريزي « وفيها يوم السبت النصف من رجب احرق المسلمون كنيسة مريم بدمشق ونهبوا ما فيها من الآلات والاواني وقيمتها كثيرة جداً . ونهبوا ديراً للنساء بجوارها . وشعثوا كنائس النسطورية واليعقوبية »[1]

واشد هولاً من هذه المحنة ما تم على الكنائس والنصارى في عهد الحاكم بامر الله سنة ٤٠٣ للهجرة (١٠١٢ م) مما ليس هنا محل تفصيله . قال المقريزي ايضاً « ذكر من يوثق به ان الذي هُدم الى آخر هذه السنة (٤٠٥ للهجرة ١٠١٤ م) بمصر والشام

(١) الخطط ج ٢ ص ٤٩٤

واعمالها من الهياكل التي بناها الروم نيف وثلاثون الف بيعة . ونُهب ما فيها من الآلات الذهب والفضة وقُبض على اوقافها وكانت اوقافاً جليلة على مبانٍ عجيبة[1] »

في مثل هذه الخطوب الشاملة يستحيل ان تكون صيدنايا بقيت بمنجاة منها وفازت بالسلامة وهي عرضة للصوص والدعّار من كل ناحية . ولكن يتعذر تعيين الكنائس التي خُصت فيها بالهدم والحريق والنهب . ولسوء الحظ لم يبقَ في الدير اقل كتابة او حاشية تشير الى شيء من كل هذه الشدائد . ولا ندري اذا كان في المصاحف السريانية التي احرقها وكلاء الدير بعض التعليقات عنها . ومن عرف الرهبان ورجال الدين في الشرق وقلة اكتراثهم في الاعم الاغلب بتدوين ما يجري عليهم وحواليهم لم يعجب من غياب كل اثر عن ماضي النصرانية في الاسلام

وفي سنة ١١٤٨ قدم الصليبيون لحصار دمشق وتفرقت جنودهم في برّها وضواحيها ينهبون ويخربون و كانت النصرانية وقتئذ معروفة في اكبر القرى كحلبون ومنين وآبل السوق فلحقها منهم اذى عظيم . وفي تاريخ لهم كتب باللاتينية قبل سنة ١٢١٤ انهم عاثوا خصوصاً في صيدنايا وآبل السوق[2] وهي المعروفة اليوم بسوق وادي بردى

ثم دارت الدوائر على دمشق فاخذها التتار بعد حلب في صفر سنة ٦٥٨ للهجرة (١٢٥٩ م) وكان بين كبارهم قوم يدينون

---

(١) الخطط ج ٢ ص ٤٩٦

(2) *Revue de l'Orient Chrétien* 1899 p. 80 note 3.

بالنصرانية منهم ايلسبان امير البلد والقلعة فجعل يتردد الى كنائس النصارى ويحسن الى اساقفتهم وقسوسهم فاعتزوا بـه واوفدوا الى هولاكو ملك التتار يسألونه اماناً لهم ووصية بالعناية بهم والترخيص لهم باقامة شعائر دينهم . وكان مقدم الوفد العلَم ابا الفضائل ابن اخت المكين العميد كاتب الجيش بدمشق المؤرخ المعروف . قال الشيخ شهاب الدين غازي بن الواسطي : « فحضر بفرمان على يده يأمر باظهار الدين واخـذ ثلث اموال الاوقاف . ونزل صيدنايا وسيّر الى النصارى بدمشق يعلمهم بحضوره بالفرمان من هولاكو ونصرتهم على الاسلام . ويقول لهم تلقّوني بالصلبان على العكاكيز والاناجيل في اثواب الديباج والزَرْنَبفت والاطلس والمباخر بالعود مع الشمامسة والقسوس بغفافيرهم . والمطارنة بحلاهم . ومعهم الخمر جهراً . وكان في العشر الاوسط من رمضان المعظم[1] » . وبعـد ايام قليلة كانت هزيمة التتار على عين جالوت « فتبادر المسلمون عند ذلك الى كنيسة النصارى التي خرج منها الصليب فانتهبوا ما فيها واحرقوها . والقوا النار في ما حولها . فاحترق دور كثيرة للنصارى وملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً . واحـترق بعض كنيسة اليعاقبة[2] » . ولعل صيدنايا لم تسلم يومئذ من بعض هذا الانتقام والبـلاء لنزول العلم ابي الفضائل فيها بعد عودته من عند هولاكو وقدومه منها الى دمشق بالفرمان الذي اثار هذه المحنة

وليس لدينا اقل مرجع نتعرف منه كيف كانت صيدنايا في

(1) *Journal of the American Oriental Society* vol. 41 part 5 December 1921 P. p. 407-408 الرد على الذمة ومن تبعهم . تأليف الشيخ غازي بن الواسطي

(٢) البداية والنهاية لابن كثير . رواية الطبراني . باريس رقم ١٥١٦ ص ٨٥ ـ ٨٦

ايام الولاة العثمانيين . ولا ريب انها لم تنجُ من مخالبهم في كل هذه المظالم والمغارم التي كانوا يتدعونها لاستخلاص اموال النصارى . على ان احد سياح الانكليز وهو جون مادوكس الذي زار الدير في شهر كانون الثاني سنة ١٨٢٥ روى مثالاً منها يدل على سائرها . قال في معرض كلامه عن الدير : « منذ سنتين (١٨٢٣) اوشك « ان يخرب كما خربت قبله بيوت اخرى للصلاة على يد الاتراك في « اوقات مختلفة . وذلك ان احد المسلمين نزل به يوماً وطلب ان « يؤتى بطعام وشراب . وبعد ان اصاب منهما حاجته حاول الذهاب « دون ان يدفع بارة واحدة . فامتعضوا منه وعلا الصياح . واخيراً « ضربوه . فانطلق الى دمشق وبالغ في الشكاية بحيث حمل الباشا « على الامر باحراق الدير وتدمير الضيعة . فاراد البطريرك ان « يتلافى الخطب وانطلق وعرض على الباشا جملة من المال استنزالاً « للعفو عن الدير والبلدة . فقبل الباشا وطلب منه عشرة آلاف « غرش فاضطر البطريرك ان يغرمها مع بعض نصارى دمشق وسائر « الضياع المجاورة . وبذلك نجا الدير من الخراب[1] » .

ومن الحوادث التاريخية الكائنة في صيدنايا سنة ٥٢٨ للهجرة (١١٣٣ م) « ان شمس الملوك اسمعيل صاحب دمشق خرج يتصيد . وانفرد عن اصحابه . فوثب عليه احد مماليك جده طُغتكين ويعرف بايليا . فضربه ضربة هائلة بالسيف اراد قطع رأسه فانقلب السيف من يده . فرمى بنفسه الى الارض . فضربه اخرى فوقعت في عنق

---

(1) John Madox, *Excursions in the Holy Land*... London 1834 p. p. 144-145.

الفرس فاتلفته . وحال بينهما الفرس . وكانوا بصيدنايا وجبة عسال . وانهزم ايليا[1] »

ونظراً لقرب صيدنايا من دمشق وكثرة تردد الزوار اليها لا يبعد ان يكون اصابها غالباً ما كان يصيب دمشق من الاوبئة والطواعين في ازمنة مختلفة . ومما ذكر منها ما جاء معلقاً على احدى صفحات تريودي سرياني ملكي رقم ٧٤ من خزانة الفاتيكان ص ١٧٧ بلهجته العامية، قيل فيه :

« في تاريخ سنة سبع آلاف وسبعة لبونا آدم عليه السلام (١٤٩٩ م) فجا فصل في الدنيا فبقي في صيدنايا من يوم اربعة الكبيرة الى اول شهر آب مدة اربع اشهر . ومات من صيدنايا مايتين نفر . وما عاد واحد راح الى عند احد . وبقيوا اهل الميت يحفروا له التربة . وبقا فوق الدنيا قتمة مثل الدخان ... »



(١) ثامن مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي . طبعة شيكاغو ص ٩٠

اسم صيدنايا

لم يرد اقل اختلاف في رسم هذا الاسم بالصاد في المخطوطات العربية فكل تأويل له برسمه بالسين تأويل مبني على مجرد الافتراض. واوحد تغيير وقفنا عليه في كتابته وجدناه في مخطوطين بالسريانية في خزانة الفاتيكان. اولهما رقم ٧٨ فيه الجزء الثاني من الميناون جاء فيه بتاريخ ٦٠٤ للهجرة (١٢٠٧ م) «كتب بصيدنايل بدير مار خريسطوفورس بيد يوحنا الخاطئ...» وثانيهما رقم ٨٠ فيه جزء آخر من الميناون ورد فيه بالسريانية ما تعريبه : «تم في قرية صيدنايل بيد القس ابن عزيز سنة ١٥٤٧» (للاسكندر = ١٢٣٥ م)

واكثر ماورد تحريف هذا الاسم في المخطوطات وكتب الاسفار الاروبية لتعاور الالسنة والاقلام الاعجمية له. فكتبوه بصور متعددة بحسب اختلاف القراءة والسماع

Saydaneia, Saydaneyde, Saydeneida, Sardaneyda, Sardenal, Zardenal, Sardeneira, Sardainne, Sidonaiia, Sardenaï, Sardayne, Cetenaiha, Sartenai, Sardenay.

وعلى هذا الرسم الاخير استقر اكثر اصطلاح الكتبة بعد الحروب الصليبية فصيدنايا معروفة عندهم بلقب Notre-Dame de Sardenay واحياناً باسم Notre-Dame de la Roche اشارة الى قيام كنيسة السيدة والدير على صخرة فيها

ومع اتفاق علماء السريان على ان اللفظة ارامية الاصل كما كثر

نظائرها من اسماء القرى والبلدان في الشام مثل صحنايا وداريا وبيت لهيا (بدلاً من بيت الاهيا) فقد اختلفوا في توجيهها . فذهب المطران يوسف داود وهو من اجلّتهم الى ان معناها « الصيداوي[١] » . واشتقها غيره من لفظة تعني « محل الادوية والمستشفى[٢] » . ورجح آخرون تفسيرها بمكان الصيد[٣] . ولعل هذا الرأي الاخير هو الاظهر لامكان استناده على التقليد القائل ان باني الدير الملك يوستينيانوس في القرن السادس اجتاز بقربة من صيدنايا في مسيره الى اورشليم . قالوا وفيما كان يتصيد في الجبل ظهرت له ظبية تحولت الى امرأة بيضاء غضة كأنها برج فضة[٤] وامرته ببناء الدير . فيكون هذا العلم أطلق على البلدة لوفرة غاباتها قديماً فيما زعموا و كثرة مُتصيداتها

ومن اسماء صيدنايا في قول بعض كتبة الكرسي الانطاكي « دانافا » او « دانابا » بالفاء والباء كما اشار الى ذلك پورتر في كتابه (خمس سنوات في دمشق) نقلًا عن البطريرك مكاريوس الحلبي . وعندنا للشماس بولس ابن البطريرك المذكور تاريخ مخطوط بيده لمدينة انطاكية وبطاركتها نقل في اثنائه نسختين في ترتيب كراسي اسقفيات انطاكية . احداهما عن كتاب رومي قديم ورد فيها بين ابرشيات فينيقية لبنان الثانية ذكر دانافا . قال « وتدعى الان صيدنايا » . والاخرى « عربية مفسرة من القديم من غير زيادة ولا نقصان » عُددت فيها

---

(١) كتاب القصارى ص ٢٣

(٢) المشرق ٩ (١٩٠٦) ص ١٠٤٩

(3) M. Parisot. *Le Dialecte de Maloula* 1898, p. 11 (Extrait du Journal Asiatique).

(٤) تاريخ مختصر لدير سيدة الشاغورة في صيدنايا للحاجة هيلانة طانيوس نهرا الشويرية . بيروت ١٨٩٥ ص ٨

اسقفيات دمشق التسع . ووردت السابعة باسم « دينة » (بالياء المثناة والنون) قال « صار مقامها صيدنايا » . ولم يذكر عمن نقل هذا القول . وقد اشتبه اسم دينة على بعض من اخذ عنه فظنوا ان صحته ديانا اسم الهة الصيد وجعلوه من جملة اعلام صيدنايا . ولا شك ان الشماس بولس التبست عليه قراءة الاصل فكتب دينـة بالياء بدلاً من دَنَبة بالباء الموحدة . او ذَنَبة بالذال المعجمة كما ذكرها ياقوت الحموي في معجمه . قال وهي موضع بعينه من اعمال دمشق . وفي البلقاء ذَنَبة ايضاً[1] والاولى هي التي زعموا انها هي وصيدنايا واحد . ولو كان ياقوت نص على مكانها لسهل علينا اليوم تعيين موقعها . ولكنه جرى على سنن من سبقه من علماء اللغة والبلدان فنقل كثيراً من الاعلام دون ان يتكلف ذكر مواضعها وتخومها ونسبها بحيث يُهتدى الى مكانها دون التباس . ومثل هذا الاقتصار في التعريف والابهام في التحديد هو اليوم من اكبر العقبات التي تعترض الباحث الشرقي دون التوثق من الاخبار والتدقيق في نسبة الدِمن والآثار

وقد سبق الاثري المشهور وادنغتون ونبه على خطإ وضع دنبة في موضع صيدنايا . قال وانما دنبة من اعمال تدمر واحدى المنازل بينها وبين دمشق[2] وطلب الى البحاثين ان يرتادوا موقعها بين جرود والقريتين[3] فارتأى بعضهم انها هي « صَدَد » وجعلها هرتمان في موضع « غُنثُر » في جوار القريتين وحُوّارين . وخالفهم العالم الاثري

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ٧٢٤ طبعة اروبة

(2 et 3) W. H. Waddington. *op. cit. p.* VII.

العصري دوسّو فاثبت انها كانت في مكان « مهين[1] » بعد قارة بينها وبين صَدَد في جوار حُوّارين وقد اغفل ياقوت ذكر مهين ولم ترد في كتاب آخر من كتب البلدان . وقد وُفقنا للعثور على عبارة لابن قاضي شهبة في ذيله المخطوط في جملة حوادث سنة خمس وثمانمائة اشار فيها الى موقع مهين وهو قوله « في رجب اغار التركمان على قارا وما حولها من القرى واستباحوها فاخذوا السرح . ثم اخذوا نحو ثلث البلد ونهبوا مهين وغيرها . وبلغ الخبر النائب فلم يهتم لذلك ولا ارسل عسكراً[2] » وهو نص صريح على وجود مهين في جوار قارة حيث مكانها اليوم في قضاء القريتين من اعمال حمص

ومما سبق يُستنتج بغاية الوضوح ان دنبة كانت في مكان مهين وانها غير صيدنايا . ومن ثم ليس لصيدنايا اسم آخر عرفت به قديماً



(1) R. Dussaud. *Topographie Historique de la Syrie Antique et Médiévale* P. 265 - 271 et 281

(٢) المجلد الثاني من ذيل ابن قاضي شهبة على تاريخ الاسلام للذهبي ـ باريس رقم ١٥٩٩ ص ٢٠٤

اهل صيدنايا

كان جبل سنير قبل قدوم المسلمين مأهولاً بالاراميين سكان سورية الاقدمين بينهم فئة من الروم الذين تركوا في صيدنايا اثاراً جمة . ولما استقرت قدم العرب في الشام تغلب على دمشق اهل اليمن وقوم من قيس . وعلى الغوطة غسَّان وبطون من قيس وقوم من ربيعة . ونزل جبل سنير بنو ضبَّة وبعض بني كلب[1] . وكان بنو كلب معروفين بنصرانيتهم قبل الاسلام وهم قبيل من قضاعة التي ذكر الجاحظ ان النصرانية كانت فيها وفي لخم وغسان والحارث ابن كعب وطيء في قبائل كثيرة[2] . وكانوا من الكثرة والعزة والشرف بمكان بعث الخليفة معاوية على الإصهار اليهم . فمنهم زوجته ميسون بنت بجدل الكلبي فهم اخوال ابنه وولي عهده يزيد . وكانوا منتشرين في بادية الشام وخصوصاً البقاع ولذلك دعاها ياقوت بقاع كلب[3] وغلبوا على قرية المِزّة من غوطة دمشق فاختصت بهم وكان يقال لها قديماً مزة كلب . قال ابن قيس الرقيات «حبذا ليلتي بمزة كلب[4]» واشتهرت بهم بادية السماوة بين دمشق والكوفة وذُعيت من ثم ببادية كلب . قال ابن خلدون نقلاً عن ابن سعيد

---

(١) كتاب البلدان لليعقوبي ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧

(٢) رسالة الرد على النصارى للجاحظ ص ١٥

(٣) معجم البلدان لياقوت . طبعة اروبة ج ١ ص ٦٩٩

(٤) معجم البلدان لياقوت . طبعة اروبة ج ٣ ص ٥٢٢

« وبقيت بنو كلب الآن في خلق عظيم من خليج القسطنطينية منهم مسلمون ومنهم متنصرون[1] »

فلا يخلو ان يكون بعض بني كلب الذين بقوا على نصرانيتهم اتخذوا صيدنايا دار مقام لهم فيما خلا قارة والقريتين وبقية ضياع سنير النصرانية . وهنالك تقليد تناقله بعض زوار الدير في حكاية اصل بنائه في زمن يوستينيانوس زعموا فيه ان هذا الملك لما فرغ من تشييده اقطعه اقطاعات وافرة لمعاشه ووهبه ثلاث مئة من الكرج ومنهم تناسل اهل صيدنايا[2] ولا يخفى ما في هذا الزعم من البعد والوهن لعدم وجود ما يؤيده من النصوص التاريخية ولاسيما انه لم يثبت الى اليوم ان يوستينيانوس هو باني الدير

وقد شهد بعض السياح ان اهل صيدنايا قوم اشداء يفضلون سائر جيرانهم بالعزة والامتناع « فلا يؤدون اقل خفارة للعرب لمقدرتهم على حماية نفوسهم من هذه الامة الظالمة . وفضلاً عن ان بلدتهم مبنية على صخر يستطيعون اذا فاجأهم مفاجئ ان يتحصنوا في الدير حيث يتيسر لهم ان يهلكوا اعداءهم دون اقل خطر عليهم . وقد ترتبت على صيدنايا حقوق تؤديها لمساجد القسطنطينية[3] »

ومن الغريب ان كل من كتب عن صيدنايا في القرون المتقدمة اغفل احصاء اهلها . ولا ريب انهم كانوا من الكثرة والشأن في المكان الذي كان يقتضيه وقتئذ ازدحام الزوار في منازل القرية

(١) العبر لابن خلدون ج ٢ ص ٢٤٩

(2) Richard Pococke. *Voyage en Orient*. Paris 1772, t. III p. 393.

(3) Van Egmont and John Heyman. *Travels through part of Europe, Asia Minor, the Islands of the Archipelago, Sgria, Palestine, Egypt, Mount Sinai*. London. 1759 vol. II, p. 263 - 264.

ووفرة ما ينشأ عن ورودهم من تنوع الحاجات وتعدد القائمين بها ٠
واول من ذكر احصاء لها فيما يظهر من السياح المتأخرين مادوكس
سنة ١٨٢٥ فانه حزر سكانها بنحو الف فقط ٠ قال : ويتبين انهم
فقراء للغاية وبيوتهم خربة[١] ٠ وجاء بعده پوجولا سنة ١٨٣١ فروى
انهم ثلاثة الاف بينهم نحو اربعين من المسلمين[٢] ٠ ويبعد جداً ان
يكون اهل صيدنايا في مثل تلك الايام المعروفة بالظلم والشقاء
بلغوا في مدة ست سنين ثلاثة اضعاف ما كانوا عليه في ايام
مادوكس ٠ واما اليوم فقد اختلفت الاقلام في تقديرهم فادعى
كاهن القرية الخوري اغابيوس الخوري انهم قريب من خمسة آلاف[٣]
وهي دعوى ظاهرة الغلو والمجازفة ٠ واقتصر غيره على مقدار النصف
بينهم ١٦٠٠ من الروم الارثوذكس و٨٠٠ من الروم الكاثوليك
و١٠٠ من المسلمين[٤] وارتأت ادارة الصحة والاسعاف في سورية في
برنامجها الطبي انهم ١٥٠٠ فقط ٠ وقد استعلمنا شيخَي المعرة وصيدنايا
بتاريخ ٢٦ تشرين الاول سنة ١٩٣٠ فقيل لنا ان المسلمين ١٥٠
والروم الكاثوليك ١٠٤٠ والروم الارثوذكس ١١٢٠ جملتهم ٢٣١٠
وكانت صيدنايا قبلًا كجارتَيها المعرة ومعرونة لا يقطنها الّا النصارى
فقط لرغبة المسلمين عن هذه القرى البائسة وايثارهم سكنى الضياع
الاخرى التي هي اغزر مياهاً واخصب تربةً ٠ وحكى اكثر السياح
الذين زاروا صيدنايا بين سنة ١٣٤٥ و ١٧٢٨ ونبهوا على نصرانيتها

(1) John Madox, *op. cit.* p. 144.
(2) Michaud et Poujoulat. *Correspondance d'Orient* 1830 - 1831 vol. VI p. 241.
(٣) كتاب تاريخ دير البتول في قرية صيدنايا (١٩٢٦) ص ٢
(٤) مجلة الاخاء ٩ (١٩٢٤) ص ٥٩٣

ان المسلمين لا يقطنونها لاعتقادهم ان من دخلها منهم يموت في آخر سنتهِ[١] . واشار بعضهم الى ان هذه الدعوى تمويه من النصارى[٢] . ولا يعرف بالتحقيق متى بدأ المسلمون يسكنونها بعد ١٧٢٨ وهي السنة التي زار فيها صيدنايا السائح الروسي بارسكي وشهد انها مأهولة بالنصارى فقط ولم يكن فيها مسلم عربي او تركي[٣]

والمذاهب الغالبة اليوم على نصارى جبل القلمون تنحصر في الطقسين البيزنطي والسرياني في قسميها الكاثوليكي والارثوذكسي فيما عدا المذهب البرتستانتي الحديث العهد فيه . ويؤخذ من كلام المسعودي ان الموارنة في ايامه كانوا ايضاً في جبل سنير[٤] . وروى السمعاني انه كان لهم قديماً في صيدنايا مذبح في كنيسة السيدة في الدير[٥] . ومما يؤيد ذلك ما حكاه الهولاندي كوتفيك سنة ١٥٩٦ ان النصارى الموارنة الذين يقطنون صيدنايا هم الذين يخدمون كنيسة السيدة ويتولون حفظها[٦] . ولا شك انه يعني خدمة المذبح الخاص بهم . ويظهر انه كان ايضاً لبقية فرق النصارى هياكل في الدير مفرزة لهم لحاجة وفودهم من كل اقطار المشرق كما كانت الحال عليه في بيت المقدس حيث كان لكل شيعة من شيع المسيحيين

---

(1) Fra Niccolo de Poggibonsi. *Libro d'Oltremare*. Bologne 1881 vol. II p. 19. *Voyages du Seigneur de Villamont*. Rouen, 1618 p. 552. Joanne Cotovico. *Itinerarium Hierosolymitanum et Syriacum*. Anvers 1619 p. 387. *Mémoires du Chevalier d'Arvieux*, Paris 1735, t. II p. 462.

(2) Van Egmont and John Heyman, *op. cit.* p. 260.

(3) *Relation du voyage qu'entreprit à pied de 1723 à 1747 aux lieux saints d'Europe, d'Asie et d'Afrique* Wassili Gregorovitch Barsky - Plaky - Alboff, moine d'Antioche et natif de Kiew (en Russe), édition de l'Académie des Sciences. St Pétersbourg 1819 t. I, p. 323.

(٤) كتاب التنبيه والاشراف ص ١٥٣

(٥) البشير عدد ١١٨٧ تاريخ ٢٢ تموز ١٨٩٥

(6) J. Cotovico. *op. cit.* p. 387.

مُصلًى خاص معروف بها كما نبه على ذلك كل من زار القبر المقدس . وقد شهد الحاج الالماني ألريك لِمان (١٤٧٢ ـ ١٤٨٠) انه في عيد الدير في ٨ ايلول « في ليالي البدر كان يجتمع هنالك قريب من خمسين الفاً بينهم كثيرون من خبثاء المسيحيين المعروفين باعتقاداتهم الباطلة يتصرفون تصرف المسلمين ولذلك يعدّهم البابا خوارج[1] . » وكانت بعض هذه الهياكل الخاصة بهم باقية في ايدي كهنتهم حتى منتصف القرن السابع عشر كما يستفاد مما حكاه الراهب برناردان سوريوس رئيس القبر المقدس حين زار صيدنايا في ٧ ايلول سنة ١٦٤٦ ومعه راهبان يسوعي يدعى الاب شارل دي باريس . و كبوشي اسمه الاخ الكسيوس . قال « فاحسن استقبالنا فيها ميخائيل من كندية . ومع انه كان رومياً كاثوليكياً كان في خدمة سلطان الاتراك في وظيفة « طوبجي باشا » . وسكان صيدنايا كلهم روم كما ثبت لنا من معاملة كهنتهم لنا لاننا اردنا ان نقدس القداس فابوا علينا خوفاً ان ندنس مذابحهم بطرائقنا الرومانية . واما اليعاقبة والنساطرة وسائر الطوائف الشرقية من الخوارج فاذنوا لنا على شرط ان نذكر في صلواتنا نسطور وديسقورس . وبعد جدال طويل ربحنا القضية بحكم القائد طوبجي باشا . واهل البلدة كما قلنا روم بينهم بعض الخوارج[2] »

ويتضح من شهادة بعض السياح الروسيين انه كان في كنيسة الدير على يمين الهيكل الاكبر المعروف بالسيدة وعلى شماله اربعة هياكل صغيرة يظهر ان احدها كان مختصاً بزوار الموارنة والثاني

(1) R. Röhricht et H. Meisner. *Deutsche Pilgerreisen*. Berlin 1880, p. 106.
(2) P. Bernardin Surius. *op. cit.* p. p. 341-342.

بالنساطرة والثالث على اسم القديس يعقوب للسريان اليعاقبة .
وبقي هذا الاخير ماثلاً حتى امر بهدمه البطريرك متوديوس اليوناني
(١٨٢٣ - ١٨٥٠) كما سيجيء في الكلام على كنيسة السيدة

واهل صيدنايا اليوم كلهم كاهل المعرة ومعرونة ملكيون
بمعنى هذا اللقب التاريخي قديماً اي اتباع الكنيسة الرومية في قسميها
وقد سبق احصاء كل منهما . وقد خرج منهم عدة رجال من
الكهنوت لا سبيل الى تتبع اسمائهم لاغفال الكتبة نسبة كل
منهم الى مسقط رأسه في الكلام عنهم . واشهرهم البطريرك
دورثاوس الاول الذي ذكر عنه البطريرك مكاريوس الزعيم في
كتابه المخطوط « تاريخ بطاركة انطاكية » « انه كان من محروسة
صيدنايا واسقفاً بها » (خزانة الفاتيكان رقم ٦٨٩ ص ١٢٧) تبوأ السدة
البطريركية من سنة ١٤٣٤ الى ١٤٥١ . ومن الاساقفة العصريين
المولودين في صيدنايا سيادة المطران كيرلس رزق اسقف قيصرية
فلسطين شرفاً للروم الملكيين

ومن النساخ والكتبة والقراء وواقفي المخطوطات الذين عثرنا
على اسمائهم في خزانتي رومة وباريس « الخوري يوحنا ابن جرجس من قرية
صيدنايا المعمورة » كتب بقلمه سنة ١٥٦٥ كتاب الميناون السرياني
الملكي رقم ١٣٨ من خزانة باريس . ونسخ سنة ١٥٥٤ كتاب
البركليتيكون السرياني الملكي اي المعزي رقم ٧٦ من خزائن
الفاتيكان . وذكر فيه كنيته « ابن الطبلة من صيدنايا » كما ذكرها
ايضاً في تعليق له على كتاب عجائب القديسين رقم ٧٧ من كتب
دير صيدنايا رممهُ واعتنى بتجليده في سنة ١٥٥١ . وفي خزانة

الفاتيكان تريودي سرياني ملكي رقم ٧٤ نظر فيه « القس فارس الكردي ابن المرحوم توما ابن المرحوم سليمان ابن المرحوم داود . وسركيس ابن توما ابن معمر بتاريخ سنة ١٥٦٣ » . وكلاهما من صيدنايا

وفي الفاتيكان ميناون سرياني ملكي رقم ٨٠ فيه حاشية بالسريانية انه « انتهي منه في قرية صيدنايل بيد القس ابن عزيز سنة ١٢٣٦ » . وفي هامش الورقة ٥١ منه تعليق « للقس موسى ابن القس توما خادم كنيسة السيدة بصيدنايا » . وفي كتاب الرسائل رقم ٢١ من الخزانة المذكورة وقفية بتاريخ ١٢٨٢ « لبولص ابن صهيون من آل قرية صيدنايا » . وفيها ايضاً نسخة خطية من حلبة الكميت للنواجي كتب في الورقة الرابعة منها « نظر في هذا الكتاب فارس ابن يوسف ابن سعيد من صيدنايا المعمورة » بتاريخ ٦ ذي القعدة سنة ٩١٩ (١٥١٤ م)

وبين كتب الدير كتاب المعيّد رقم ٢٤ اوقفه « شماس جرجس ابن فرح التلي الصيدناوي على دير مار جاورجيوس سنة ٧٢٢٢ » (١٧١٤ م) . وهنالك تعليقات ووقفيات اخرى لم نتمكن من استقرائها لضيق الوقت وإعنات وكلاء الدير

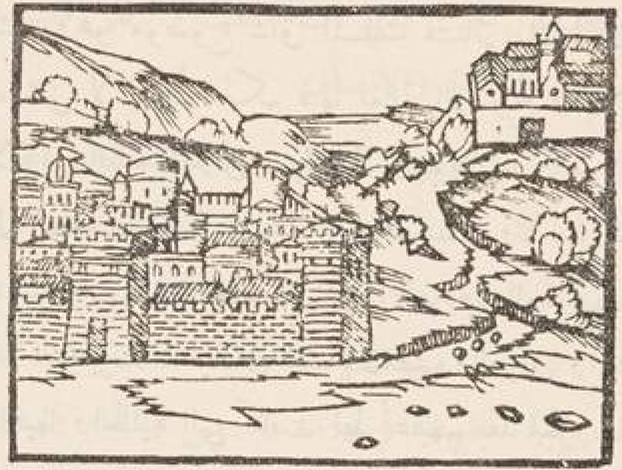
ومن رئيسات الدير التي وردت شهادة صريحة بنسبتها الى القرية حنة بنت دلول الصيدناوية تولت الرئاسة سنة ١٧٠٠ في زمان البطريرك كيرلس الحلبي حفيد البطريرك مكاريوس الزعيم

واشهر المنتمين اليوم الى صيدنايا آل الصيدناوي الذائعو الصيت في القطرين المصري والسوري المعروفون بالثراء والوجاهة وحب البر والاحسان

صورة صيدنايا القديمة

hò vedute con l'occhio, lequali non voglio scriuere per rincrescimento, & anco perche non mi sariano credute, & forsi saria dileggiato, però faccio fine. Nelle montagne d'intorno gli dura la neue per fin alla sua festa di S. Giouanni, & questa neue essi la comprano del Mese di Maggio, & la ripongono nelle loro tuade, ouer caneue, & la mangiano, & ne mettono nelli loro beueraggi.

La Città di S. Maria di Sardinale.



Di froni della N. Dõna, che è nella città di Sardinale, quado tu volesti andare a s. Maria alla detta città di Sardinale nella qual città vi stano i saracini: & si paga una dragma p huomo, & come tu passi quel pòte di un miglio si paga un'altra dragma, & l'altro giorno caminerai di lungo, & arriuerai a vn grosso fiume, & iui si paga meza dragma per huomo, & quādo salirai in su vn mõte, ilqual è alto dui miglia, & è una cattiua salita, & andãdo cosi trouerai una città nominata Celone, e nell'entrar in essa è vna grā fortezza, laquale murata in croce, però che i christiani la fecero edificare, & questa città è ricca, & ha buoni terreni d'intorno, & è un bel paese, e quiui si alberga

Citta di S. Maria di Sardinale
Fo 61
Viaggio da Venetia al Santo Sepolcro
e al monte Sinai
R. P. F. Noe
del Ordine di San Francesco
Venetia 1618

اللغة السريانية في صيدنايا

لما كان اهل صيدنايا كلهم من الطائفة الملكية بمعنى هذا اللقب قبل الانفصال فيها كان البحث في لهجتهم البلدية او لغتهم الطقسية بحثاً في لغة الملكيين الطقسية في كل الديار الشرقية قبل القرن الثامن عشر. وهو موضوع شاق المسلك متنائي الاطراف لاشتماله على وجوه شتى لا يتهيأ الحكم فيها بغاية الوضوح والجلاء الّا بعد اطراح الأثرة واطالة الدرس ومراجعة المخطوطات والسيَر المتفرقة في الخزائن العامة والخاصة في الشرق والغرب . ولا بد للمتخصِص له من التضلع من تاريخ النصارى في الاسلام والوقوف على اخبار الروم منهم الدينية والمدنية في الشام ومصر والعراق واعتبار البيئة التي عاشوا فيها والجالية التي كانت تطرأ عليهم بعد الحروب والمغازي بين المسلمين والبيزنطيين . او الناقلة التي كانت تنتقل اليهم احياناً من بقية فرق النصرانية . ولا بد قبلًا من تجزئة البحث الى ثلاثة اطوار. الاول منذ البدء الى استيلاء اليونانيين على سورية ومصر . وهو عهد لا يحتمل اقل مراء في اراميته فِي الشام . والثاني منذ دولة اليونانيين وخلفائهم من الرومانيين والبيزنطيين الى دخول العرب في القرن السابع . وهو اجلّ الاطوار شأناً واعظمها خطراً واصعبها مراساً . والثالث منذ الخلافة الاموية الى القرن الثامن عشر . وفي هذه الاطوار الثلاثة يتحتم التمييز بين جنس الملكيين وبين لغتهم . واعتبار اللغات التي كانوا يتكلمون بها في مجتمعاتهم ومعايشهم بمعزل عن اللغات واللهجات التي كانوا يصلّون فيها

ويقيمون بها طقوسهم الدينية : فلا يُستدل من اللغة على الطقس ولا من الطقس على الجنس

وقد تنازعت الاقلام الفتوى في هذا الجدال وغلب الهوى على اكثرها فلم يخلُ كل من المتناظرين من الانقياد الى بعض المبالغة والتحزب ولم يبرأ من الخطإ في اطلاق الحكم حيث كان يقتضي التخصيص بحيث بقي باب البحث والنظر مفتوحاً يترقب من يوصده بيد النزاهة والانصاف

ومهما يكن من دعوى الفريقين فلا مشاحة ان اهل القرى والجبال كانوا اكثر ما يتكلمون بالسريانية او يصلّون بها الى حين تعلموا العربية فجمعوا بين اللغتين . وبقيت منهم بقية الى اواخر القرن الثامن عشر . ومن تتبع كما تتبعنا كل هذه المخطوطات الملكية السريانية المحفوظة في رومة وباريس والشام ولبنان فيما خلا لوندرة وبرلين وسواهما من الخزائن الاوربية ، وطالع وقفياتها على كنائس القرى في الاعم الاغلب وخطوط رجال الدين والقراء فيها تحقق ان اتباع الطقس البيزنطي كانوا في المدن الصغيرة والضياع والجبال السورية يتلون صلواتهم بالارامية وحدها او بها وبالعربية كما يتلوها اهل روسية وسربية وبلغارية ورومانية مثلاً بلغاتهم المختلفة . ولو اردنا ان نأتي على تعداد كل هذه البلاد والقرى التي سادت فيها اللغة السريانية قبلاً في المنازل والكنائس لطال بنا البحث وامتد نفَس الكلام . فحسبنا ان نقتصر هنا على بلدة صيدنايا غرضنا اليوم . وكان لنساخها مقام معروف ولهم قلم يقرب من السطرنجيلي الذي دعاه ابن النديم القلم المفتوح . قال « وهو اجل

الاقلام السريانية واحسنها ويقال له الخط الثقيل[١] » . وقد سبق ذكر احدهم وهو الراهب يوحنا بن جرجس الملقب بابن الطبلة . وله في رومة وباريس ثلاثة مصاحف بالقلم المشار اليه من القرن السادس عشر

ولا ريب انه لو كانت سلمت لنا مخطوطات دير السيدة ورقوقها ولم تتلفها يد الغباوة والجهل لامكننا ان نقف فيها على اسماء كثيرين غيره من نساخ صيدنايا في السريانية وبينهم بعض رهبان الدير ورؤسائه واحباره . ومن طالع كتاباتهم وتعليقاتهم التي ترى اليوم على عدة مصاحف سريانية مصونة في الخزائن الاروبية و كانت موقوفة على كنائس صيدنايا او مستعملة فيها يتحقق لاول وهلة ان كلّا من الاساقفة الذين تتابعوا على صيدنايا حتى اوائل القرن الثامن عشر كان يعرف الارامية ويكتبها ويصلي بها الطقوس البيزنطية . وسيأتي في الفصل المعقود لهم تعداد كل هذه الكتابات والتعليقات التي لكل منهم في كتب الصلوات السريانية . نُجمل منهم هنا ذكر بطرس (سنة ١٢٦٤) واثناسيوس (١٤٣١) ومرقص (١٤٤٦_١٤٥١) وسيماون (١٥٦٥ _ ١٥٨٠) واثاناس (١٥٩١ _ ١٦٠٤) وسيماون (١٦٠٤ _ ١٦٣٤) ويواصف (١٦٤٥ _ ١٦٤٨) . ولهذا الاخير في خزانة المرحوم المطران يوسف داود السرياني بدمشق كتاب القنداق بخط يده نسخ فيه الصلوات باللغتين السريانية والعربية بتاريخ ١٦٤٦ . ولسيماون سلفه في خزانة الفاتيكان بضع صفحات اتمها كانت ناقصة من ميناون

(١) الفهرست طبعة مصر ص ١٨

شهري نيسان وايار في السريانية الى غير ذلك مما سيمرّ بنا او يظهره لنا غداً روّاد البحث والتنقيب

ولا شك عندنا ان كل الاساقفة الذين خلفوا يواصف بعد سنة ١٦٤٨ الى سنة ١٧٢٢ كانوا يعرفون السريانية او على الاقل كانوا يتكلمون بها . ومما يؤيد ذلك ما حكاه السمعاني عن آخرهم جراسيموس الدمشقي (١٧١١ ـ ١٧٢٢) بعد زيارته الدير في شهر تشرين الاول سنة ١٧١٥ قال « والاسقف والرهبان يحتفلون الان بالقداس الالهي والصلوات للراهبات في كنيسة السيدة حسب الطقس الرومي باللغة العربية . ولكن قبلاً كانت هذه الصلوات تقام باللغة السريانية ... وهذا الاسقف يدعى جراسيموس وهو رجل بسيط مستقيم يتكلم ليس باللسان العربي فقط ولكن بالسرياني ايضاً » . ثم ذكر حسن استقبال الراهبة الرئيسة والرهبان له . قال : « واعطوني بعض المخطوطات السريانية ومعظمها في طقسيات الكنيسة الرومية . وكانت مطروحة في احدى زوايا الهيكل طعمة للصراصر والعث [1] »

واجل الشواهد على مكانة اللغة الارامية في صيدنايا هذه العقود والصكوك العربية المتعلقة باوقاف الدير التي كان يُرى في ذيلها احياناً توقيعات الاساقفة بخطوط ايديهم بالسريانية . وقد حُفظت منها بعض نسخ في دفترين اطلعتنا عليهما الرئيسة الحاجة مريم صباغ يوم زيارتنا الدير في ٢٩ ـ ٣٠ ايلول سنة ١٩٣٠ وكان في النية تصوير هذه التوقيعات لنشرها هنا مع غيرها من الصفحات والكتابات والفوائد التي ترى في بعض مخطوطات الدير مما له شأن

---

(١) برنامج المخطوطات السريانية الفاتيكانية . باللاتينية ص ٤٧٨

في التعريف بتاريخه وتاريخ الكرسي الانطاكي . ولكن ابى ذكاء بعض الوكلاء ان ننقل شيئاً بدعوى انه قد مضى على الدير نيف والف سنة وليس له تاريخ مكتوب دون ان يسقط ذلك من قدره . قال : ولا ارى ما يستفيد الدير من مثل هذه المنشورات التي لا تزيد شيئاً في ريعه (كذا)

وهذه التوقيعات السريانية القيمة بعضها لاسقف صيدنايا اثاناس بتاريخ ١٠١١ للهجرة (١٦٠٢م) وبعضها الاخر لخلفه سيماون بتاريخ ٧١١٧ لآدم (١٦٠٩ م) و ١٠٣٠ و ١٠٤١ للهجرة (١٦٢٠ و ١٦٣١ م) فعسى ان لا تُتلف صورها كما أُتلفت قبلاً كل الذخائر السريانية التي كان الدير غنياً بها في اوائل القرن الماضي . وحبذا لو نشر مضمون هذين الدفترين بالحرف الواحد لما يمكن تعليقه عنهما من الاخبار والآثار والفوائد عن صيدنايا واهلها واوقافها واسماء بعض البيوت والاملاك والحدود في ما جاورها من القرى والبلاد

وما عدا هذه المصاحف والرقوق والعقود والصكوك بقيت آثارٌ سريانيةِ صيدنايا ظاهرةً محفوظةً حتى في بعض الملابس الكهنوتية . فقد زار كنيسة الدير سنة ١٩٠٢ عالم البيزنطيات الروسي المشهور المرحوم تيودور أسبانسكي ووصف في جملة ما رآه من العاديات فيها حُجراً قديماً وهو قطعة نسيج مربعة يعلقها كاهن الروم على جانب فخذه اليمنى وقت التقدمة . قال «وهو بديع الصنعة مطرز بالذهب وفي وسطه صورة الصليب مطرزاً وعليه المسيح . وباسفله صور الانجيليين الاربعة

بهيئاتهم الشرقية . وتحت كل منهم كتابة باللغة السريانية[1] ...»

وقد عُرفت سريانيةُ اهل صيدنايا قديماً وثبت اختصاصهم بها لدى زوار الدير عموماً ممن مروا بهم او خالطوهم وسمعوا كلامهم وصلواتهم بها . واشهر من نبه عليها من الغرباء انبا مخايل القبطي مطران دمياط في القرن الثاني عشر فقد نقل عنه الشيخ المؤتمن ابو المكارم سعدالله بن جرجس بن مسعود فصلاً قال فيه « وجدت بخط انبا ميخايل مطران دمياط في الثاني والعشرين من برمودة سنة تسعماية كتانسية (١٧ نيسان ١١٨٤ م) يتضمن ان شرقي دمشق على مسيرة نصف وربع نهار ثمّ بلدة يقال لها صيدنايا . تتبعها تصير الى قرنة الجبل تجد كنيسة عالية البناء حسنة جداً بيد قوم « ملكية ولسانهم سرياني » . والكنيسة المذكورة على اسم السيدة العذرى الطاهرة[2] ... » وهذه الشهادة نص واضح صريح على سريانية صيدنايا لا يدع اقل مجال للتأويل او الجدال فحسبنا به حجة قاطعة لقول كل خطيب

وقد كان الدير حتى اوائل القرن التاسع عشر حافلاً بالمخطوطات والاوراق السريانية وبينها كل قديم ونفيس ومعظمها من الكتب الدينية التي كانت موقوفة على الكنائس والاديار . بلغت كثرتها فيه مبلغاً ضاق به ذرع الوكلاء حين ارادوا ان ينفوا عن الدير نسبة السريانية فلم يروا لإبادتها والتخلص منها واسطة اعجل من ايقاد النار بها في خلال اسبوعين كما سيأتي تفصيله . وغنيّ عن

---

(1) *Bulletin de l'Institut Archéologique Russe de Constantinople* (en russe) VII livraison 2-3, p. 108, Sofia 1902.

(٢) كتاب الكنائس والديارات نسخة خطية وحيدة محفوظة عند الاستاذ جرجس فيلوثاوس عوض بطنطا تلطف باطلاعي عليها . ومنها نقلت حرفياً ما تقدم اعلاه وما سيجيء.

البيان ان مثل هذه المصاحف العديدة التي توارثها الدير منذ القدم وحبسها عليه كل الرهبان والزوار حبساً مؤبداً واوجبوا اللعن على كل من اخرجها منه او تصرف بشيء منها لم تجتمع فيه عبثاً ولم تُخزن لمجرد الهوى والمغالاة . وانما اوجدتها فيه حاجة الاستعمال وضرورة الصلاة والتفاهم فهي شهود على لغة كتّابها وقرائها تنادي بعد زوالهم بلسان حالهم

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

ويظهر ان هذه الصبغة السريانية بقيت متغلبة على صيدنايا الى القرن الثامن عشر . ولمّا مرَّ نيبوهر بدمشق سنة ١٧٦٢ قال في جملة كلامه عن اللغة السريانية « حسبما بلغني بدمشق لا يزال في ولاية الباشا في الشام بعض الضياع التي اهلها لا يتكلمون الّا بالسريانية[1] » ومع انه لم يذكر اسماء هذه القرى فالارجح ان صيدنايا كانت بينها مع معلولا ولاسيا ان فولناي حينما زار بعده المدينة نفسها سنة ١٧٨٥ واراد ان يتحقق صحة رواية نيبوهر قيل له « ان ضيعتَي معلولا وصيدنايا قريباً من دمشق لهما لهجة فاسدة يصعب جداً فهمها[2] » ومعلوم ان معلولا الى الساعة لم تتخلَّ عن لغتها الارامية القديمة . فذكرُ صيدنايا معها في قول فولناي دليل على ان السريانية فيها لم تكن تلاشت منها بعد في ايامه . ومما يؤيد هذا الظن ان السائح الانكليزي برَوْن لما خرج في ١٦ آب سنة ١٧٩٧ من دمشق متوجهاً الى صيدنايا ومعلولا وعاد الى يبرود قال :

« وفي يبرود لقيت اسقفاً للروم مسافراً الى ضواحي بعلبك

(1) Neibuhr. *Description de l'Arabie* 1779 t. I p. 127-128.
(2) Volney. *Voyage en Syrie et en Egypte*. Paris 1787 t. I p. 331-332.

ووجدت له فهماً وعلماً . فترافقنا الى بعلبك ووصلنا بعد قليل الى المعرة وهي بلدة صغيرة الى شمال الطريق وفيها وفي معلولا امر لا يخلو من الغرابة وهو ان اللغة السريانية محفوظة يتوارثها الابناء عن الآباء دون دراسة . وكنت اسمع مكارينا اكثر ما يتحادثون بهذه اللغة ايثاراً لها على العربية وهي تشبهها كثيراً في المنطق[1] »

فاذا صح ان المعرة كانت في الشطر الاخير من القرن الثامن عشر تتكلم ايضاً بالسريانية فبالاحرى صيدنايا جارتها وهي اقدم منها عهداً واعرق نسباً في الارامية كما سبق بيانه . وممن اثبت ايضاً سريانيتها من المتأخرين العالم الالماني كارل ريتر . قال في كلامه عليها « وفي هذا القسم وحده من سورية حفظت اللغة السريانية لهجةً بلديةً في بعض القرى الجبلية ومنها صيدنايا »[2]

ومن تدبر ما تقدم بعين النزاهة والاخلاص لا يسعه ألا ان ينقاد لما اوردناه من البينات والآثار التاريخية ويأسف كل الاسف ان جهلها قبل اليوم كان هو الباعث الاكبر على إتلاف ما أُتلف من المخطوطات والاوراق والرقوق السريانية التي كانت محفوظة في الدير وكان إحراقها عمداً وتواطؤاً نكبة من نكبات الشرق لا ينقضي تذكارها وحرقة في صدر العلم لا يخبو أُوارها

---

(1) W. G. Browne, *Nouveau voyage en Egypte, en Syrie et en Afrique* (1792-1798) Paris 1800. p. 242.

(2) Karl Ritter. *Die Erdkunde* p. p. 254-255.

العنب والخمر

اكثر الزرع في صيدنايا عَذْي لا يسقيه الّا ماء المطر لقلة العيون فيها . ولذلك غلب على مغروساتها الكرم والتين واشتهرت بخمرها قبلًا شهرة جارتها حلبون بها منذ القِدَم . وقد اطبق كل زوارها على اطراء خمرها وعنبها . واقتصر ياقوت من كل وصف لها على قوله « انها بلد من اعمال دمشق مشهورة بكثرة الكروم والخمر الفائق[١] » . وسبقه مطران دمياط المشار اليه آنفاً انبا ميخايل ونبّه على جودة خمرها حين مرَّ بها في زيارته لبيت المقدس وقال عنها « جميع من بها نصارى . وخمرها اجمل شيء يكون في تلك البلاد » .
واهلها يعتقدون ان نوحاً بعد الطوفان هو اول من غرس الكرم فيها . وقد نقل هذا التقليد عنهم كارلياي دي پينون سنة ١٥٧٩[٢] وستوشوف سنة ١٦٣٠ والراهب برناردان سوريوس سنة ١٦٤٦[٣] والهولانديان ڤان إكمونت وهيمان سنة ١٧٠٩ ـ ١٧٢٠[٤] وهذا نص ما كتب عنهم ستوشوف قال : « على مرحلتين من دمشق بين الكروم قرية صيدنايا واهلها نصارى من اتباع الكنيسة اليونانية . اخبرونا ان في تقاليدهم ان نوحاً هو اول من غرس الكرم في بلدهم . ولم نرَ قط اجمل ولم نذق اطيب من عنبهم . وفيه ما تبلغ حبوبه حجم بيض الحمام . وهذه الاعناب هي التي تُجَفَّف وترسل

(١) معجم البلدان ج ٣ ص ٤٤١

(2) *Relation du voyage en Orient de Carlier de Pinon.* Paris 1920. p. 284.

(3) Bernardin Surius *op. cit.* p. 342.

(4) Van Egmont and John, Heyman. *op. cit.* p. 260.

الى كل البلاد النصرانية وتعرف باسم زبيب دمشق[1]

وقد كان بين اعناب دمشق وضواحيها صنف يقال له بيض الحمام وهو الذي عناه وشاهده ستوشوف . ومثل هذه الشهادة بعينها وردت في كلام الهولانديين المذكورين آنفاً واضافا اليها « ان الخمر لا نظير لها على الاطلاق واجودها ما يشرب الرهبان . وهي حمراء اللون شديدة ولكنها تصلح للشراب ولا تحدث صداعاً في الرأس » (ص ٢٦١ و ٢٦٤)

واشهر من تغنى بطيب هذه المدامة بعد تطوافه في الآفاق، ولم يُلهِهِ عنها ما ذاقه من اصناف الخمور في الجزيرة وخراسان والهند واليمن والعراق، شاعرُ دمشق الذي شرّده السلطان صلاح الدين عن وطنه، ابن عُنين (٥٤٩ ـ ٦٣٠ للهجرة = ١١٥٤ ـ ١٢٣٢ للميلاد) في ابيات كتبها لاخيه من الهند جواباً عن كتاب ورده منه، قال فيها :

يا سيدي واخي لقد اذكرتني عهد الصبى ووعظتني ونصحتَ لي
اذكرتني وادي دمشق وظلّه الضافي على صافي البرود السلسلِ
ووصفت لي زمن الربيع وقد بدا هرم الزمان الى شباب مقبلِ
وتجاوب الاطيار فيه فمطرب يُلهي الشجيَّ ونائح يُشجي الخلي
ومدامةً من صيدنايا نشرها من عنبر وقميصها من صندلِ
مسكيَّة النفحات يشرف اصلها عن بابل ويجلّ عن قُطْرُبُلِ
وتقول اهل دمشق اكرم معشر واجلّهُ ودمشق افضل منزلِ
وصدقت ان دمشق جنة هذه الدنيا ولكن الجحيم الذّ لي

(1) Fermanel, Fauvel, Baudouin de Launay et Stochove. *Voyage d'Italie et du Levant*. Rouen 1670 p. p. 317-318.

لا الحاكم المصري ينفذ حكمه فيها عليّ ولا العواني الموصلي[١]

وابدع من هذا الوصف وابلغ في الدلالة على فضل خمر صيدنايا قول شهاب الدين العمري في كتابه مسالك الابصار في كلامه على دمشق :

« ومدامتها هي الموصوفة في الآفاق المعروفة في مغارسها بكرم الاعراق تنشر كأساتها الوية حمرا وتتوقد في صفحات الخدود جمرا فمن حمراء كنار تتلهب ومن صفراء كالزجاج المذهب ومن بيضاء كانها نطفة غدير او فضة طافت بها قوارير . او وردية تتضاحك في الشفاه اللعس ثغورها المفترة . ويخالطها الصفاء كخدٍّ ابيض تشرّب بحمرة . تضيء في دجى الليل مصباحاً . وتهدي الى الجلساء بريحها تفاحا . وببلاد الشرق منها ما يرق عن الزجاج . ويخف عن مخالطة المزاج . فيعلق فوق الماء على الاقداح . وتتعلى حمرته عليها كالشفق على المصباح . يطير عليها الشعاع . ويطيب الى قهقهة قنانيها السماع . « وصيدنايا معدن ذهبها . وأفق كوكبها . » (باريس رقم ٢٣٢٥ ص ٢٠٨)

ولا ريب ان شهاب الدين يعني ببلاد الشرق من دمشق كل هذه القرى التي كانت معروفة في عهده بضياع جبل سنير في الشمال الشرقي من دمشق كمعربا والمعرة وتلفيتا ويبرود ومعلولا والتينة وغيرها مما كانت مألف روّاد القصف والطرب ومُنتجع عشاق الصهباء، واكثرها كان معروفاً بطيب الشراب . واليها كانوا يلجأون كلما أقفلت في وجوههم ابواب حانات الفيحاء . فقد حكى ابو

(١) ديوان ابن عنين . خزانة باريس رقم ٣٠٣٤ ص١١٢

شامة ان في سنة اثنتي عشرة وستمائة « ابطل السلطان العادل ضمانة الخمر والقيان في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة . وبقي الامر على ذلك الى ان توفي العادل في سنة خمس عشرة نحو ثلث سنين . وكان الذين يريدون شرب الخمر يتكلفون الخروج الى ضياع جبل سنير في صيدنايا ومعربا ونحوهما »[1]

وفي هذه الضياع كان لابن عُنين مقامات تقلّب فيها بين طيب العيش ولذة الطيش ولذلك لم يبرح ذكر جبل سنير من باله حيثما اتجه من غربته . وقد تشوق اليه مراراً في قصائده . منها قوله من ابيات يمدح بها الملك المعظم

اذا الجبل الريّان لاحت قبابه لعيني ولاحت من سنير هضابه
لثمتُ الثرى مستشفياً بترابه وهيهات ان يشفي غليلي ترابه

وله من قصيدة اخرى يمدح بها الملك العزيز صاحب اليمن سنة ٥٨٧

اذا لاح برق من سنير تدفقت سحاب جفوني في الخدود سيول

وما برحت صيدنايا مشهورة بخمرها بين رجال الدنيا والدين حتى اوائل القرن التاسع عشر . وقد نوّه بذكرها كل من زار الدير من الحاج تِيتمار سنة ١٢١٧ والرحالة مُوند ڤيل سنة ١٣٣٢—١٣٥٦ الى مُونْدرِل سنة ١٦٩٧ وپوكوك سنة ١٧٣٧ وپورتر سنة ١٨٥٢ وقد زار مُوندرل الدير وقال « انه بناء حقير ليس فيه شيء خارق سوى الخمر التي تعمل فيه فانها فائقة »[2] . ولا عجب من شهرة

---

(١) ذيل الروضتين لابي شامة . باريس رقم ٥٨٥٢ ص٩٧ وفي الاصل « ضياع جبل صنين » وهو غلط وتحريف سنير

(2) Henri Maundrell *op. cit.* p.221.

الدير بها لان الديارات في الاسلام كانت موصوفة بحذق الشراب ونظافـة الآنية . ولذلك كانوا اذا ارادوا ان يمدحوا الخمر بالطيب والجودة قالوا عنها راهبية وديريّة . ووصفوها بانها بنت القسيس والمطران . او بنت المذابح وشراب القربان . وغير ذلك من النعوت والاوصاف النصرانية التي وردت في الشعر

وفي مثل هذه الحال كان من البديهي ان يعوّل بطاركة الملكيين بدمشق وهم ارباب الدير على امتيار الخمر لكنائسهم وشرابهم منـه خاصةً . ويظهر من شهادة الشماس بولس الزعيم في كتابه سفرة البطريرك مكاريوس الى البلاد المسيحية ان العادة كانت قد استقرت منذ عهد سلفآء والده ان تُحمل اليهم الخمر من الدير في كل اسبوع . وهذا نص كلامه قال :

« كان لبيت البطرك عادة من زمان البطاركة السالفين ان يجيهم في كل جمعة حملين خمر من صيدنايا فانقطعت العادة في غيابنـا (في روسية) فتعبت كثيراً واجتهدت حتى اجريتها[1] » وبقيت هذه الضريبة جارية في زمان ابنـه كيرلس الذي تبوأ البطريركية بعد وفاة جده مكاريوس . ومن احدى رسائله الى الدير رسالة الى الرئيسة حنة بتاريخ سنة ١١١٥ للهجرة (١٧٠٣م) يقول لها فيها بعبارتـه العامية « بوصول المكتوب اليكي ترسلي لنا حمل بغل . فردي خل طيب . وفردي نبيذ من كل بد وسبب لاننا بعازته نهار غداً »

واما اليوم فقد زالت كل هذه العادات وتنوسي كل ذكر لخمر صيدنايا

---

(١) سفرة البطريرك للشماس بولس . خزانة باريس رقم ٦٠١٦ ص٣٠٥

الكنائس والاديار

ليس بلد من بلاد الشام تعدَّدت فيه الكنائس والاديار واحتفلت فيه الابنية الدينية احتفالها في صيدنايا لكثرة من كان يؤمّها من الزوار والحجاج او يفزع اليها من المرضى والزمنى من كل ملّة وجنس وقطر لاسيما في ايام الصليبيين . ولكن هذه البيع والمعابد كلها على وفرتها لا يُدرى لها تاريخ بناء وانشاء . ولا يعرف من اخبارها بالتحقيق ما تقلبت فيه من سعادة وشقاء . وليس لدينا اليوم شيء مما لعلّه كتبه عنها بعض من زارها او صلى فيها في القرون السابقة سوى بعض فقرات عن كنيسة الدير المشهورة بالشاغورة . وغاية ما تناهى الينا من الاشارة اليها تعداد بسيط لاسمائها دون اقل وصف وتعيين بل ببعض التخليط والابهام . واقدم احصاء لها لدينا بلغنا بطريق الزجل العامي لرجل من نصارى الفرس من السريان يدعى عيسى الهزار قدم حاجاً الى بيت المقدس واجتاز بصيدنايا كعادة اكثر الحجاج المقادسة في القرون المتأخرة فنظم في مديح العذراء نشيداً على منهاج الاناشيد النصرانية العامية التي كانوا وقتئذٍ ينحون فيها منحى الازجال . واتى في اثنائه على ذكر كنائس صيدنايا في عهده ذكراً اقتصر فيه على اسمائها فقط . ولكنه لم يُشر الى تاريخ زيارته هذه فلا يُدرى بالضبط متى كانت . على ان له اناشيد اخرى في ديوان صغير متفرق في بيروت والفاتيكان ومدريد . يؤخذ من نشيد له منها في المسيح قال فيه :

يا رب بالبكر مريم يا من لبس جسم آدم
احفظ لنا ذا العلم انبا يواكيم ابينا
الباطريك المكرم اعطيه دهرًا منعم
وامنحه اسم اعظم باسم البشير الامينا[1]

ان زيارته هذه لصيدنايا كانت في ايام بطريك الملكية يواكيم ولعلّه لقيه فيها واليه مآل الدير والكنائس فاحب ان يتقرب اليه بهذا الدعاء . وكانت الصِلات وقتئذٍ بين فرق النصارى على غير ما هي عليه اليوم من المناظرة والجفاء . وكان قد تعاقب على الكرسي الانطاكي بطريركان باسم واحد اولهما يواكيم ضوّ بين سنة ١٥٨١ و١٥٩١ وثانيهما يواكيم زيادة بين سنة ١٥٩٣و١٦٠٤ ولعلّ هذا الثاني هو الذي اشار اليه عيسى الهزار . فتكون اسماء الكنائس التي ذكرها في مديح العذراء هي كنائس الصدر الاخير من القرن السادس عشر او الصدر الاول من القرن السابع عشر . وهذا نص الابيات على ركاكتها وقبح عبارتها ورسمها :

وزور شربيل يا خلي تراه تتجلّا تلاميذه وراه
وخريسطوفورس قد تراه ووجهه كالهلال اذا استهلّي

ومار جرجس غطى للسر دايم ومار سركيس قاهر كل ظالم
ومار باخوس شفيع بالعوالم ومار بطرس شراريفه تهلي

ومار توما عظيماً في بناه ومار بولص وصوفيا حذاه
بها عيد الصليب لمن يراه حضي بالعمر الى تاليه كلي

(1) Revue de l'Orient Chrétien 1906, p. 259. *Description d'un manuscrit arabe chrétien.*

ويوحنا تراه في عيد الانوار له في الكتب تذكار واخبار
جاه الصوت على الاردن باجهار هذا الابن هو ابني ونجلي

ومار عازر اذا زاره خليلي يلاقي ما يعافي للعليلي
ومار سابا فزوره بالمثيلي وبرباره لها قدرا وفضلي

وعاود حصن العذرى واطلع تلاقي الست للمولا بتشفع
عن اولاد الكنيسة الشر تدفع شفاعتها اليها ما تملي[1]

فاذا جمعنا هذه الكنائس كما ذكرها تبلغ ثلث عشرة كنيسة وهي حسب ايراده :

١ كنيسة مار شربيل او شربين
٢ « « خريسطوفورس
٣ « « جرجس
٤ « « سركيس وباخوس
٥ « « بطرس
٦ « « توما
٧ « « بولس
٨ « القديسة صوفيا
٩ « مار يوحنا
١٠ « « عازر
١١ « « سابا
١٢ « القديسة برباره
١٣ « العذراء

(1) Revue de l'Orient Chrétien 1906, p. 270-272.

والاحصاء الثاني الذي اتصل بنا بعد الاول هو لكاهن انكليزي يدعى هنري مُوندرِل قدم لزيارة بيت المقدس في فصح سنة ١٦٩٧ اي بعد عيسى الهزار بنحو مائة سنة وبلغ صيدنايا يوم الاحد ثاني ايار وعدَّد لها ست عشرة كنيسة نسَقها كما يأتي :

١ كنيسة القديس يوحنا
٢ « « بولس
٣ « « توما
٤ « « بابيلاس
٥ « القديسة بربارة
٦ « القديس خريسطوفورس
٧ « « يوسف
٨ « « لعازر
٩ « العذراء
١٠ « القديس ديمتريوس
١١ « « سابا
١٢ « « بطرس
١٣ « « جاورجيوس
١٤ « جميع القديسين
١٥ « الصعود
١٦ « التجلي

قال وقد زرت اكثر هذه الكنائس ولكن وجدتها كثيرة الخراب فضربت صفحاً عن باقيها[1]

(1) Henri Maundrell, *op. cit.* Paris 1706 p. 221-222.

وبعد موندرل باربعين سنة حضر پوكوك سائحاً في الشرق وطاف على كنائس صيدنايا واحصاها هكذا فيما عدا كنيسة دير السيدة :

١ دير القديس جاورجيوس
٢ « « خريسطوفورس
٣ كنيسة القديس يوحنا
٤ « « سابا
٥ « القديسة برباره
٦ « التجلي
٧ هيكل القديسة تقلا
٨ « القديس لعازر
٩ معبد القديس سرجيوس
١٠ « « خريسطوفورس (كذا ذكره مرتين)
١١ كنيسة القديسين بطرس وبولس
١٢ « القديسة صوفيا
١٣ معبد القديس الياس
١٤ دير « توما
١٥ « « سرفنت (Serphent) كذا غلطاً بدلاً من « Sherpeen » شربين . وفسره بانه هو القديس سرجيوس مع انه كان قد سبق وذكر معبد سرجيوس بعد هيكل لعازر

وقد نبه على ان اكثر هذه البيع خَرِب او متداعٍ للخراب . واشار في جملتها الى سبعة او ثمانية معابد متهدمة في جوار دير القديس خريسطوفورس . ويظهر ان هذا الخراب قد كان بدأ يعمل

عامله منذ سنين عديدة لان الاب برناردان سوريوس لما زار صيدنايا
سنة ١٦٤٧ قال انه لم يكن فيها وقتئذٍ الّا خمس كنائس عامرة
ماثلة بتمامها[1] . ولسوء الحظ لم يحفظ لنا اسماءها . وفي زعمهِ انها
كلها من بناء الملكة هيلانة

واذا قابلنا بين هذه الاحصاءات الثلاثة نجد ان ليس في احد
منها استقصاء تام لكل الكنائس والمعابد . ففي كل منها زيادة او
نقصان لا نراهما في الآخر . وقد انفرد موندرل بذكر كنائس
القديس يوسف والقديس بابيلا والصعود ولم ينبه عليها احد غيره .
وخالف بتسمية كنيسة جميع القديسين والارجح انها كنيسة المجامع
المعروفة بكنيسة صوفيا ووَهِم في ترجمة اسمها . وقد اتفق مع عيسى
الهزار على ذكر كنيستين منفصلتين الواحدة للقديس بطرس
والاخرى للقديس بولس . ولكن پوكوك بعدهما شهد في القرن
الثامن عشر ان لكلا القديسين كنيسة واحدة كما هي اليوم وهي
الملقبة بكنيسة اللولبة . وهناك ايضاً كنائس اخرى لم تذكر اسماؤها
كانت في جملة البيع المتهدمة التي حكى پوكوك انها كانت في ايامه
في جوار دير القديس خريسطوفورس

وقد فات هؤلاء الزوار الثلاثة ذكر بيع اخرى او مُصلَّيات
يُشار الى مكانها اليوم وكانت في عهدهم مهملة لتغلب بعض الخراب
عليها او متهدمة ساقطة للحضيض مهجورة فلم يحتفلوا بها . ولا بد
للاحاطة بمجموع هذه الكنائس كلها والاستدلال منها على مكانة
صيدنايا بين المدن النصرانية من قسمتها الى ثلاثة اقسام الاول ما
لا يزال خراباً مهجوراً . والثاني ما كان متهدماً متداعياً للخراب

(1) Bernardin Surius *op. cit.* p. 341.

ولكنه يُزار حيناً بعد حين . والثالث ما كان عامراً تقام فيه الصلوات في اوقاتها

الكنائس الخربة المهجورة

١ القديس يوسف يظهر ان موقعها كان في اسفل الدرج تحت الدير . ولم يبقَ اليوم منها أثر

٢ القديس بايلاس شاهد مادوكس انقاضها سنة ١٨٢٥ فيما وراء كنيسة الشاغورة في مغارة في الصخر . وكان باقياً منها بعض اساطينها وعقودها وجانب من الهيكل وبضعة تصاوير في الجدار

٣ القديس سمعان حوّل الروم الارثوذكس بعضها الى بيت قهوة وحُفظت في جانبه زاوية اشارة الى انه مقام يُنار احياناً بشمعة او قنديل . وجُعل باقيها بيتاً للسيارات

٤ القديس لعازر اشار بوكوك اليها والى كنيسة تقلا . وقال انهما هيكلان في مغارتين في سفح الجبل . وليس هنالك الّا بعض حجارة متبددة

٥ القديسة تقلا مكانها اليوم معروف بام البزيزات او البزاز وهي الثديّ في اصطلاح العامة . وليس ثمّ معبد في الحقيقة . وانما هو صدع في الجبل المحاذي لدير الشاغورة وصخر قائم ترشح منه قطرات من الماء كما يرشح اللبن من ثدي المرأة . وهم يتبركون به . وربما اعتقدوا ان المرضع اذا جف درّها او ألمت من ثديها تقصد هذا المقام فتنال الشفاء . وقد وصف الاسقف الروسي بورفير أُسبانسكي هذه الكنيسة سنة ١٨٤٣ فقال « هي حقيرة جداً

منقورة في صخر كبير يقطر منها الماء فوق المذبح . وهو نبع القديسة تقلا . ويُصعد الى المعبد بسلَّم صغير وقد علِق في سقفه الصخري قنديل كبير يضيء . وفي الجدار كوة محفورة فيها ايقونة القديسة تقلا والى جانبها في الجدار ذخائرها »[1]

٦ **القديس الياس** يقال انها بالقرب من كنيسة القديس يوحنا . وقل من يعرف اليوم مكانها وقد اصبح حظيرة للغنم
وهذه الخِرَب الخمس للروم الارثوذكس

٧ **القديس سابا** في جهة الشمال زارها پوكوك سنة ١٧٣٧ وقال ان فيها ثلاثة صحون بثلاثة مذابح وشاهد فيها بعض الاعمدة والتصاوير في الجدران . وموضعها معروف اليوم يُوقَد فوقه مصباح حيناً بعد آخر تنبيهاً على انه مقام

٨ **القديسين سرجيوس وباخوس** ذكرها عيسى الهزار بهذا الاسم واقتصر پوكوك على اسم سرجيوس فقط وقال انه مُصلًّى صغير في جهة الشرق . وقد زارها الاسقف أُسبانسكي وسماها ديراً . وهذا ما كتبه عنه قال « اردت ان ازور دير سرجيوس وباخوس وهو للروم الكاثوليك فصعدنا الرابية التي تُرى منها كنيسة القديسة تقلا . ودخلنا دير سرجيوس وباخوس وفيه ساحة وسلّم لطيف . ومدخل الكنيسة من باب صغير . وهي نظيفة . وفيها قبة صغيرة من الخشب[2] »

٩ **مار شربين** دير معروف في قمة الجبل المشرف على دير

(1 et 2) *Le livre de ma vie* (en russe) Journal et récit autobiographique de l'évêque Porphyre Uspenskij, édition de l'Académie Impériale des sciences. St Pétersbourg 1894, p. 233.

السيدة . ولم يبقَ منه ومن الكنيسة الّا انقاض واطلال دوارس . وغربي هذا الدير اشجار تحتها خَربة يعتبرهـا اهل صيدنايا معبداً ويسمونها كنيسة المزار . ولم ينبه عليها احد من الزوار

وهذه الخِرَب كلها للروم الكاثوليك

الكنائس المتهدمة

١ **القديس يوحنا** في شمال دير السيدة . تهدم سقفها فليس فيها الا الحيطان فقط

٢ **القديس خريسطوفورس** في ظاهر القرية . جدران بغير سقف

وهاتان الكنيستان للروم الارثوذكس

٣ **الانجلي** زارها پوكوك سنة ١٧٣٧ وكانت يومئذٍ عامرة . وفي النية اليوم ترميمها وبناء مدرسة بجانبها تكفَّل المطران كيرلس رزق المولود في صيدنايا ان يقوم بجانب من نفقاتها

٤ **القديس توما** في اسفل البلد شرقاً . لم يبقَ منها الا حيطانها ماثلة دون سقف . وهي غير كنيسة مار توما في الجبل

وهاتان الكنيستان للروم الكاثوليك

الكنائس العامرة

١ **القديس ديمتريوس** في جانب مقام الشاغورة

٢ **القديس تادورس** في حارة الراهبات داخل الدير . وفيها صلى الاسقف الروسي پورفير أسبانسكي في ١٦/٤ تشرين الثاني سنة ١٨٤٣

٣ البيعة هي الكنيسة الكبرى في الدير

٤ القديسة بربارة الى جانب المدفن شمالاً

٥ القديس نقولاوس تحت البلد على طريق البستان . يُقدس فيها مرة في السنة يوم عيد سميّها . وقد زار مادوكس سنة ١٨٢٥ كنيسة كانت قريبة من البستان . ووصفها بقوله « بناؤها لا بأس به . وفيها بعض الصور . منها اثنتان تمثلان الملائكة وهم يستنقذون الصالحين من مخالب الشياطين . وثالثة تمثل بدء الخليقة وغواية آدم وسقوطه وطرده من الفردوس مع حواء[1] » . ولا شك ان هذه الكنيسة كانت كنيسة القديس نقولاوس

٦ القديس جاورجيوس في الدير المعروف به . كانت متداعية للخراب فرُممت منذ سنوات

وهذه الكنائس الست للروم الارثوذكس

٧ القديس اندراوس قرب البيادر . اغتصبها البطريرك دانيال اليوناني من الكاثوليك سنة ١٧٨٤ ـ ١٧٨٥ ثم استردوها منه مع ثلاث كنائس أُخر

٨ القديسين بطرس وبولس هي المعروفة بكنيسة اللولبة

٩ القديس موسى الحبشي في جوار الكنيسة السابقة

١٠ القديسة صوفيا او آجيا صوفيا وتعرف ايضاً بكنيسة المجامع . ومكانها معروف

وهذه الكنائس الاربع الاخيرة للروم الكاثوليك

(1) John Madox, *op. cit.* p. 144.

واذا جُمعت هذه الكنائس كلها بين عامرة وخربة ودارسة بلغت ثلاثاً وعشرين فيما خلا ما لا يزال مجهولاً من المعابد التي سبق من قول پوكوك انه كان حوالي دير القديس خريسطوفورس منها سبعة او ثمانية متهدمة . وروى السائح الروسي بادسكي انه حين كان في صيدنايا سنة ١٧٢٨ كانت جملة الكنائس بين عامرة وخربة اربعين كنيسة . على ان اكثر هذه البيع لم يكن في الواقع الا مُصلّيات صغيرة او هياكل منقورة في الصخور لا يُصلى فيها ألا قليلاً او مرة في السنة كما نبه على ذلك مادوكس . ومهما كان من صغرها وقلة اتساعها فان مثل هذا المقدار الحافل الذي لم تدركه مدينة اخرى في الشام كافٍ للدلالة على المكانة والشهرة الطائرة التي بلغتها صيدنايا قديماً بين نصارى الشرق والغرب . وهو ولا جرم مما يجب ان يُعَدّ في جملة خوارق هذه البلدة المتفردة بالغرائب والعجائب

ومما يشهد ايضاً بوفرة هذه المعابد والهياكل فيها قديماً ما كان يزعمه بعض الغلاة والمجازفين في دمشق ان الاديار البائدة في حيّز صيدنايا بلغت على توالي الاحقاب عدداً يوازي عدد الايام في السنة فكان لكل يوم منها خربتهُ . وقد نقل هذه الخرافة الرائد الانكليزي بوكنغام سنة ١٨١٦ وهذا ما كتبه عنها قال :

« ومثالاً لما استقر في نفوس الشرقيين على اختلاف طبقاتهم من الميل الى الإطناب والإغراق اذكر ان كثيرين من وجهاء النصارى ذكروا لي اعتقادهم ان في قرية تدعى صيدنايا تبعد عن دمشق شمالاً بعض يوم « ثلاثمائة وستة وستون ديراً كلها خراب » واورد هذه

العبارة بالانكليزية بلفظها العربي واندرأ على اثرها بتقريع الشرقيين
عامة بالجهل وقلة التروي والانطباع على الكسل والانخداع، في
صفحة كاملة شحنها وعظاً وحذلقة[1]

وبين هذه الكنائس والاديار السابقة ما يستحق ان نفرده
بالذكر . وأولاها كلها بالتنويه بعد كنيسة السيدة كنيستا بطرس
وبولس وصوفيا او الجامع

كنيسة القديسين بطرس وبولس

اشار اليها كل من رآها من الزوار ونبه على قِدَمها وقدرها .
وهي اول ما يستوقف الناظر الصاعد الى القرية . تُرى قائمة في
متوسطها كما قال الاعشى ميمون

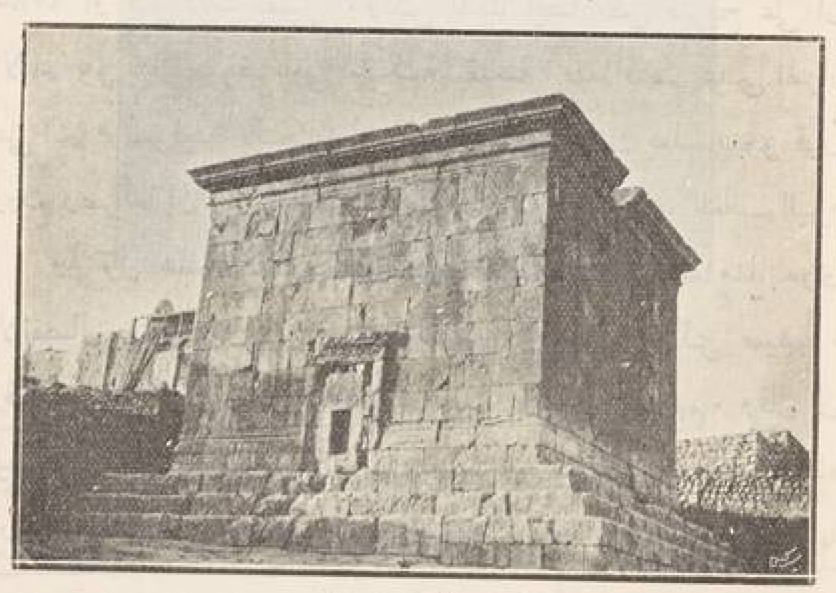
في مجدل شُيِّد بنيانه   يزلّ عنه ظفر الطائر

وهي من اجل الآثار الباقية من عهد الرومان، وثيقة
الاركان، شامخة البنيان، اشبه بالبرج المنيع او الحصن المربّع،
معقودة بحجارة ضخمة أُجيد نحتها ورصفها . تعلو عن الارض ثلاث
درجات تطوقها من جهاتها الاربع، وتزيد في فخامتها وبهائها .
يُدخل اليها من باب صغير ويُصعد الى سطحها على درج كاللولب
دائر . ولذلك اطلقت عليها العامة لقب اللولبة . وليس له ذكر في
كل الرِحَل التي وقفنا عليها . وتطيف باعلاها شرَفات او طنوف
محكمة الصنع . ولكن داخل الكنيسة لا يفي بجمال خارجها . فلا
تقع العين فيه الّا على فقر وحقارة . وليس هنالك من ادوات

(1) J. S. Bukingham *Travels among the arab Tribes inhabiting the countries east of Syria and Palestine*. London 1825, p. 380.

التزيين والتصوير ما يستر قبح الهيكل ورثاثة الحجاب . ولو قُدّر لهذا البناء على صغره وهو لا يتجاوز ٢٩ قدماً طولاً وعرضاً و٢٦ ارتفاعاً من يحسن ترميمه وترويقه بما يلائم طرزه القديم لجاء منه معبد عاديّ فريد في جملته، يفوق سائر الكنائس بجماله وروعته

ومما يزيد في قيمة هذا الصرح انه اقدم مصانع صيدنايا الباقية من ايام الوثنيين، واتمها حفظاً وكياناً، وارسخها موقعاً ومكاناً . ولكن ليس فيه اقل كتابة او اثر يستدل منهما بوجه التقريب على تاريخ بنائه او زمن تحوُّله الى كنيسة . فلا يُدرى هل سبقت هذه الكنيسة بناء الدير ام تأخرت عنه . وقد تقدم انها كانت معروفة قبلاً باسم القديس بطرس وحده . وقد دعاها بهِ السائح الروسي بارسكي سنة ١٧٢٨ ولكن بوكوك الذي جاء بعده بتسع سنوات ذكرها باسم القديسين بطرس وبولس . ويُستدل من قول



كنيسة القديس بطرس

تصوير الخواجا جورج شاوي (دمشق)

عيسى الهزار « ومار بطرس شراريفهُ تهلّي » انها هي التي كانت قبلاً مختصة باسم زعيم الرسل لمكان الشرَفات التي لا تزال ترى في اعلاها . ولعل كنيسة القديس بولس التي نص عليها موندرل سنة ١٦٩٧ كانت قريبة من كنيسة صوفيا . وهو ما يستفاد ايضاً من قول عيسى الهزار « مار بولس وصوفيا حذاه »

كنيسة صوفيا او المجامع

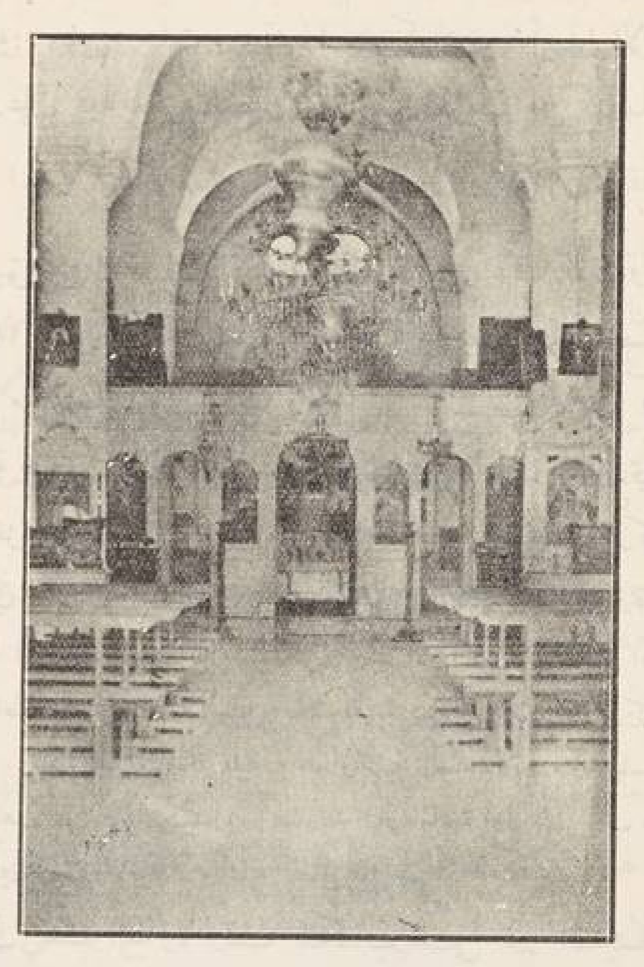
لا يعرف متى أُطلق اسم المجامع على هذه الكنيسة وهل هو قديم ام حديث . وقد اشار اليه موندرل ضمناً حين وَهِم بتسمية الكنيسة كنيسة جميع القديسين . ولكن ورد ذكره صريحاً في بعض صور موقوفة « على هيكل مار الياس في كنيسة المجامع » وقفها جرجس عيد وغيره على يد الكاهن كيرلس بيطار الدمشقي سنة ١٧٨٥ او قبل ذلك بقليل[1] . وليس لدينا ايضاً نص صريح على ان الاسم هو اجيا صوفيا بمعنى الحكمة المقدسة . فقد اقتصر عيسى الهزار على اسم « صوفيا » بالتجريد وجاء بارسكي وپوكوك بعده بنحو قرن وربع وصرّحا ان اسمها القديسة صوفيا بالتعيين . وهو الغالب اليوم

ولم تزل هذه الكنيسة في حوزة الروم الكاثوليك منذ جرى الانفصال بينهم وبين الروم الارثوذكس واقتسموا كنائس صيدنايا . وقد شهد پوكوك سنة ١٧٣٧ انها كانت باقية في ايديهم . وقال ان فيها صفَّين من عُمُد رفيعة يظهر انها أُخذت من بناء آخر[2] . ووصفها قبله بارسكي فقال « هي في وسط الضيعة ، كبيرة ، ولها بابان . وفيها

(١) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ص ٩٨

(2) R. Pococke *op. cit.* t. III, p. 395.

اساطين من حجر قطعة واحدة . وهي متينة حسنة البناء . وفيها عدة ايقونات . والكهنة يقدسون فيها[1]



كنيسة القديسة صوفيا من داخل

وهي اليوم الكنيسة الجامعة للروم الكاثوليك جدَّدها البطريرك الطيب الذكر غريغوريوس يوسف منذ سنة ١٨٩٦ ولم ينجز تزيينها وزخرفتها . وكان مكان النساء فيها اولاً في الصحن الشمالي فرفع الى اعالي الكنيسة واتُّخذ لهن في الجهتين الغربية والشمالية شعريات

(1) Barskij *op. cit.* p. 324-325.

كالتي تكون في كنائس دمشق[1] . وهي على سعتها وحسن موقعها من احسن كنائس البلدة . وفي القسم الايمن منها مقام القديس الياس يُنزل اليه ببعض درجات . وقد زار پو كوك معبداً بهذا الاسم كان متهدماً وعاين فيه بعض التصاوير وقال انه قريب من كنيسة صوفيا

دير القديسة بربارة

لم يبقَ من الدير الّا الكنيسة عند المدفن . وقد رُممت وأُصلحت سنة ١٨٩١ فتغيرت عما كانت عليه قديماً . ويُصلى فيها خصوصاً ايام السبوت من اجل الموتى . وقد زارها بو كوك سنة ١٧٣٧ وقال ان فيها ثلاثة صحون تنتهي بثلاثة هياكل على الطرز السوري

وفي خزانة الفاتيكان نسخة سريانية ملكية من كتاب البركلتيكون اي المعزي رقم ٧٦ كُتب في الورقة ٢٢٩ منها بشكل دائرة

« هذا الكتاب المبارك البركلتيكون برسم الاخ الروحاني ... الحاج عيسى الراهب القاطن يومئذٍ بدير ستنا بربارة بقرية صيدنايا المعمورة . وكتبه لنفسه دون غيره . جعلهُ الله مباركاً عليه ... وكتبهُ العبد الاثيم ... باسم خوري يحنا بزي راهب من قرية صيدنايا . بتاريخ نهار الجمعة اول شهر آب سنة سبع آلاف واثنين وستين لابونا آدم عليه افضل المراحم (١٥٥٤ م) »

وتحت هذه الدائرة وقف للكتاب على دير القديسة بربارة بمعمورة صيدنايا بخط سيماون اسقفها بتاريخ الثلاثا حادي عشر كانون الثاني سنة ٧٠٨٨ لآدم (١٥٨٠ م)

دير القديس يوحنا

يبعد عن دير السيدة قريباً من ست مئة متر . وموقع الكنيسة

(١) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ص ٩٨

الباقية منه اليوم في الشمال الغربي . وهي جدران قائمة دون سقف . وقد وصفها بو كوك بما وصف به كنيسة القديسة بربارة من اشتمالها على ثلاثة صحون بثلاثة هياكل سورية . ويؤخذ من تعليق على مصحف اخبار الرسل رقم ١٣ من مخطوطات دير السيدة انه كان متهدماً فقامت بعمارته الرئيسة مخضالينى سنة ١٧٤٥ وهذا بعض ما جاء في الحاشية بعاميَّتِهِ :

« جمعنا اوراق الرسائل مع بعضهم لاجل تهديهم برضا خدام الدير العامر في زمن الرئيسة مخضالينى خادمة الست الحنونة . وهي كانت مشغولة في عمارة دير القديس يوحنا . وقالة للذي رمّوا هل كتب هي وخدام الدير كهنة ورهبان « شدوهم هيك . احسن ما هم كل ورقة وحدها . لحين تدبر صاحبة المقام في غيرهم » . وحرر الاحرف بيده جبرايل بسم حجّ هل احرف نهار الاثنين ثاني وعشرين يوم خلت من شهر نيسان سنة سبع الاف ومايتين وثلاثة وخمسين آدمية وللتجسد ١٧٤٥ مسيحية »

ويستفاد من قول عيسى الهزار السابق

ويوحنا تراه في عيد الانوار جاه الصوت على الاردن باجهار

ان سَمي هذه الكنيسة هو يوحنا الصابغ المعروف بالمعمدان كما صرح بذلك الاسقف أُسبانسكي . وقد وَهم السائح بارسكي بقوله انه القديس يوحنا فم الذهب

وفي خزانة دير السيدة اليوم مخطوط رقم ٣ فيه « قراءات الانجيل على مدار السنة . . . للناسخ الحقير الاثيم قس ياني الاپروطوپاپاس » . وفي ظهر الورقة الاخيرة منه « اوقف هذا الانجيل المبارك العبد الحقير الى رحمة الله يوسف ابن بطرس ابن الياس على كنيسة مار يحنا بقرية صيدنايا غفر الله له » دون تاريخ

دير القديس خريسطوفورس

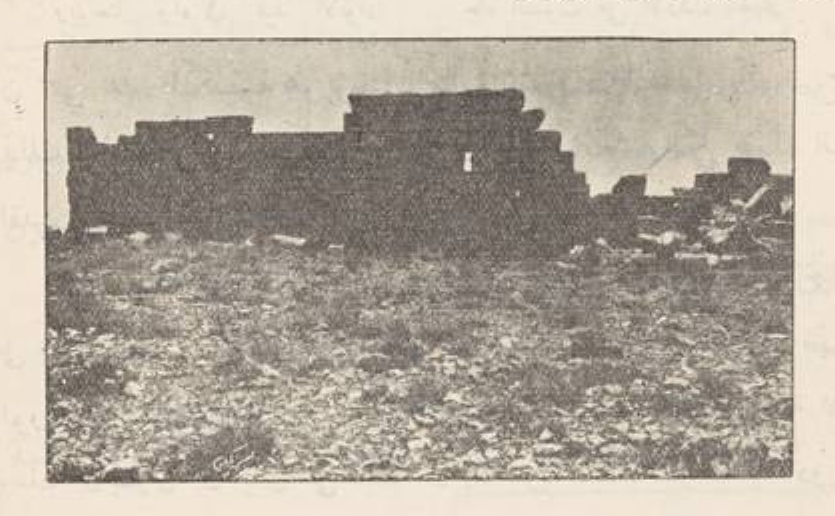
في خارج القريـة الى الجنوب الغربي من دير السيدة . وهو جدران ماثلة دون سقف . وقد كان الخراب غالباً عليه منذ زاره بوكوك سنة ١٧٣٧ وقال ان في كنيسته بعض الحسن

ومن المخطوطات السريانية الملكية التي كانت موقوفة عليه تريوديون رقم ٧٤ في خزانة الفاتيكان ورد في جملة التعليقات عليه في الصفحة ٣٢٨

« هذا الكتاب وقف محبس على دير القديس خريسطوفورس بارض صيدنايا . . . وكتب بتاريخ . . . سنة ست الف وثمانماية وخمسة وعشرون لابونا آدم (١٣١٧م) »

وفي الخزانة نفسها مخطوط آخر سرياني ملكي رقم ٨٢ فيه ميناون شهر حزيران . كتب باعلى ورقة منه « برسم دير القديس خريسطوفورس . . . »

وفيها ايضاً مخطوط ثالث رقم ٧٨ فيه الجزء الثاني من الميناون جاء فيه بالسريانية ما تعريبه : « انتهى . . . من سني الهجرة ٦٠٤ (١٢٠٧م) بيد . . . يوحنا الراهب بالاسم وليس بالفعل . القسيس ابن يوسف . . . كتب بصيدنايل بدير القديس مار خريسطوفورس »



دير القديس خريسطوفورس

دير القديس جاورجيوس

بالقرب من دير خريسطوفورس رُمِّم وأُصلح مراراً . وصفه بارسكي سنة ١٧٢٨ بقوله « كنيسته صغيرة جداً . ولكنها على قدمها في غاية المتانة لبنائها بالحجر المنحوت . وبجانبها قلاليّ احدث منها يتألف منها « الدير الصغير » في جهة الجنوب . وليس فيه رهبان سوى كاهن واحد لحفظ الكنيسة » (ص ٣٢٤)

ويظهر انه كان للروم الكاثوليك حينما زاره بوكوك سنة ١٧٣٧ . قال عنه :

« وبالقرب من صيدنايا بناء صغير يدعى دير القديس جاورجيوس يتولى خدمته كاهن للروم الكاثوليك يقطن البلدة » (ج ٣ ص ٣٩٤) . ولكن ما عتم الروم الارثوذكس ان استولوا عليه وانفردوا به . وقد ذكره الخوري ميخايل بريك في تاريخه فقال:

« وفي هذه السنة ١٧٨١ تعمر دير القديس المعظم في الشهدا جاورجيوس الذي في قرية صيدنايا . وكان اولاً مسقّف وداخله صخرة . فبنظر القديس جاورجيوس وبهمة الخوري خريسطوفورس ابن المصابني المتوحد شال الصخرة من وسطه وسقّفه قبو . وزينهُ وصار نزهة للناظرين[١] »

وفي سنة ١١٩٩ للهجرة (١٧٨٤ ـ ١٧٨٥) عدا بعض لصوص المتاولة على خوري الدير وقتلوه شر قتلة بعد ان نهبوا ما في الكنيسة من آنية وصدقات . وكان بطريرك الروم الارثوذكس وقتئذٍ دانيال الصاقسي وهو من ظَلَمة اليونانيين الذين اذاقوا الكاثوليكيين اصناف المغارم والعذابات . واضرموا نيران العداء

(١) تاريخ الشام للخوري ميخايل بريك ص ١١٢ ـ ١١٣



ايقونة القديس جاورجيوس

والشحنا بين الطائفتين . فاتهم عنده ارثوذكس صيدنايا كاثوليكيّيها بانهم هم الذين عملوا على قتل الخوري ونهب الدير . فسعى بهم عند حاكم دمشق محمد بطال باشا، واغراه بهم . فامر بالقبض على ثلاثة من الكهنة الملكيين وأحد مشايخهم . واثخنهم ضرباً وجراحاً الى ان مات الشيخ تحت العذاب . وبقيت الكهنة اياماً في السجن يغدى ويُراح عليهم بانواع العقوبة والنكال . حتى رق

لهم قلب الحاكم . فاطلق سراحهم بمال حُمل اليه . واستعان البطريرك دانيال بقاضي الشرع واستمد منه حكماً بنزع كنائس الكاثوليك من ملكهم . وهي المجامع، ومار بطرس، ومار اندراوس، ومار توما . فاستولى عليها وظل الكاثوليك بغير بيعة ولا معبد حتى تولى ابراهيم باشا الدالاتي وزارة الشام سنة ١٧٨٦ فاعادها عليهم بشفاعة غندور الخوري كاخية الامير يوسف الشهابي حين لجأ اليه في قرية منين بجوار صيدنايا[١]

ومن الكتب الباقية الموقوفة على هذا الدير في خزانة دير السيدة كتاب المعيّد رقم ٢٤ جاء بآخره :

« اوقف هذا المعيـد المبارك . . . العبد الخاطي باسم شماس جرجس ابن فرح التلي صيدناوي على دير مار جاورجيوس وقفاً مؤبداً على اسم الدير . . . حرر سنة ٧٢٢٢ » (١٧١٤ م)

دير مار توما

هو من افخم الآثار الرومانية، واجملها موقعاً . في ذروة جبل مطلّ على صيدنايا في شماليها يبعد عنها نحو نصف ساعة . يشرَف منه على مناظر فتانة تنفسح لها الصدور، وترتاح لرؤيتها النفوس . والمرتقى اليه صعب لوعورة الطريق . وهي حافلة بالآثار والمدافن والمغاور العاديّة . بينها مغارة واسعة قدّرها بوكوك بطول ٥٥ قدماً وعرض ٢٠ وارتفاع ١٠ اقدام . منقورة في الصخر الاصم بعُمُدها وطاقاتها ومساطبها . يُظن انها كانت قديماً من اجلّ مدافن السلف . ويدعي اهل صيدنايا انها كانت في الدهر الغابر مجلساً للشيوخ .

(١) تاريخ حوادث الشام ولبنان من سنة ١١٩٧ ـ ١٢٥٧ للهجرة ص ٢ ـ ٦

ولذلك يسمونها مغارة الديوان . وهو ما نقله عنهم بوكوك .
ولكنه ظن انها كانت مجتمعاً لشيوخ الرهبان وفيها خزانة كتبهم
وسجلاتهم

ويستدلّ من بقايا الدير الشاخصة من كتابات واعمدة
وحجارة منقوشة، على ما كان له من الجلالة والوثاقة والرواء .
وقد زاره بارسكي سنة ١٧٢٨ فرآه مهملاً داثراً لم يبقَ من قلاليّه
سوى اسافل الجدران . ووجد الكنيسة صغيرة ولكنها ماثلة سالمة .
وفي زواياها الاربع سوارٍ من الحجر الصلد يبلغ عرض بعضها ثلاثة
او اربعة اذرع . ولما صعد اليه مادوكس سنة ١٨٢٥ الفى الكنيسة



كتابة يونانية في صخر مار توما لجهة الشرق



كتابة يونانية اخرى في دير مار توما

مقفلة . ونظر في داخلها بعض الاساطين والقناطر قائمة مع الهيكل .
خلا السقف فانه كان قد خرب وسقط بتمامه . وفي سنة ١٩٠٢
عاينه عالم البيزنطيات تيودور أسبانسكي وذكر ان في جدران
الكنيسة بعض الحجارة المرقومة . وبينها ما هو منكَّس وقرأ في
بعض الرُقم اسم فيلبس باليونانية . وهو ما يدل على ان هذه الحجارة
أُخذت من مكانها الاول ووضعت في غير موضعها . وابصر في
الجدران آثار بعض التصاوير . وفي السور الخارجي قطعاً من رؤوس
اعمدة وما اشبهها من الانقاض . ولا يخلو ان يكون بعض هذه
المنقولات حُوِّلت في اثناء ترميم الدير . وكان البطريرك غريغوريوس
يوسف الطيب الذكر قد همَّ باصلاحهِ واقامة جانب مما تهدم منه
وباشر بناء بعض قلاليّه . ثم عدل عنه الى ما كان امسَّ حاجة .
وآثر اصلاح كنيسة المجامع . فبقي مهملاً تتعاقب عليه معاول البلى

والفناء . على انه اجدر اديار الملكيين في الشام ان يُنظر في شأنه، ويعاد له بعض بنيانه

ولا تزال الكنيسة ماثلة يُصلى فيها احياناً . وبعض جدران السور الخارجي قائمة الى اليوم . وحبذا لو تيسرت قراءة الكتابات اليونانية التي ترى في بعض الحجارة قبل ان تمحوها يد العفاء والقِدم

ومن المخطوطات القديمة المحبسة على هذا الدير، في خزانة دير السيدة، كتاب عجائب القديسين رقم ٧٧ مخروم في اوله واخره واثنائهِ . جاء في ختام الاعجوبة السابعة : « نظر فيهِ . . . سعيد ابن قضيب . وانهُ وقفية للقديس مار توما . . . وكتبهُ القس سعيد ابن القس يحنا في سنة ستة الآف وتسعماية واربع » (١٣٩٦ ـ ١٣٩٧ م)

دير مار شربين

في اعلى الجبل المشرف على دير السيدة على بعد من القرية في شمالها الشرقي . قدَّر بورتر ارتفاعه بنحو خمس آلاف قدم . وقد ذكر الدير شهاب الدين العمري في كتابه مسالك الابصار في جملة ديارات الشام . وقال عنه :

« هو دير مار شربين، ويُقصد للتنزه، من بناء الروم بالحجر الجليل الابيض . وهو دير كبير وفي ظاهره عين ماء سارحة . وفيه كُوى وطاقات تشرف على غوطة دمشق وما يليها من قبليّها وشرقيّها . وفيها ما يُطل على بواطن ما وراء ثنية العقاب . ويمتد النظر من طاقاته الشمالية الى ما اخذ شمالاً عن بعلبك » (ص ٣٥٦)

وقد كان هذا الدير حين صعد اليه بوكوك سنة ١٧٣٧ مأهولاً . وفيه راهب واحد وكنيستهُ عامرة لم تتعطل بعد . قال « وهي تشبه



دير مار شربين شمالي دير مار توما

كنيسة مار توما » . واما اليوم فلم يبقَ من كل ذلك الّا آثار دارسة واطلال طامسة

دير السيدة

ومن اسمائه ايضاً فيما سلف الحصن . ودير الشاهورة بالهاء . قيل انها مشتقة من لفظة سريانية بمعنى الحمى والكهف[1] ويصعب تعيين الزمن الذي دخلت فيه بالاستعمال . وقد وردت في زجل لميخايل بن عبدالله حاتم في اوائل القرن السابع عشر قال فيه في مديح عذراء صيدنايا

يا من حبها في وسط قلبي والفؤاد   قربك لي وفا . لكن جفاي من البعاد
عدّي ما مضى من جمعنا قبل المعاد   في شاهورة وامدح لك حسن انعام[2]

(١) مجله المشرق ٨ (١٩٠٥) ص ٤٦١

(٢) مجلة المشرق ٧ (١٩٠٤) ص ١٠٩١

والمعروف اليوم دير الشاغورة بالغين . ولا يتبين لهذه اللفظة تخريج صحيح

وانما قيل له الحصن اشارة الى بنائه فوق الصخر في ذروة الجبل كالقلعة المنيعة « يعز على من رامهُ ويطول » . وفي اعتقاد بعض الزوار والكتبة، ومنهم السائح الانكليزي موندفيل (١٣٣٢ ـ ١٣٤٦) ان الدير كان حصناً ثم حُوّل الى كنيسة[1] . وهو ما يغلب على تقدير الناظر اليه لاول وهلة . ولا يُدرى بالضبط الى اي عهد ترجع هذه التسمية . وفي خزانة الفاتيكان نسخة مخطوطة من كتاب الحاوي الكبير لنيكن رقم ٧٦ يُقدر انها من القرن الثالث عشر، وفي هامش الورقة ٢١٠ منها انها « وقف مؤبد وحبس مخلد على دير وكنيسة ستنا السيدة بالحصن الشريف بعمورة صيدنايا . » وقد تقدم ايضاً من نشيد عيسى الهزار قوله

عذرى وحصنها شاهق وعالي ما له في البلاد بنيان مثالي

وممن استعملها ايضاً غير مرة الشماس بولس الزعيم والقس جبرايل فرحات الماروني في القرنين السابع عشر والثامن عشر

وقد سبق من شهادة الهولانديين ڤان اكمونت وهيمان ان اهل صيدنايا كانوا دائماً ممتنعين على اعدائهم معتزين بمعقلهم لوثاقته، وارتفاع اسواره، ووعرة مكانه، وصعوبة المرتقى اليه والولوج فيه من بابه الصغير قبل ان تُستحدث له منذ بضع سنوات هذه الدرج القبيحة الشكل التي لا تلائم طرزه ونوع بنائه . وفيه كان يعتصم قديماً كل خائف وهارب في ايام المحن والخطوب . واليه لجأ البطريرك

(1) *The voyage and Travaile of Sir John Maundeville.* London 1864, p. 124.

متوديوس الارثوذكسي مع بعض الأُسر النصرانية بعد مقتل الوزير محمد سليم باشا في فوضى دمشق سنة ١٨٣١[1] . ولما قصد الدروز معرونة والمعرّة بعد منصرفهم من مذبحة نصارى عربين سنة ١٨٦٠ وجدوا القريتين خاليتين خاويتين لتحصن اهلها في صيدنايا كما يستفاد من رسالة قنصل فرنسة في بيروت بتاريخ ٧ تموز ١٨٦٠[2] . وبه احتمى ايضاً كاثوليكيو المعرة ايام ثورة دمشق سنة ١٩٢٥ . ولذلك حرص بعض ابنائهم المهاجرين في مدينة كوردبا من الارجنتين على تشييد هذه القبة الشامخة لاجراس الدير رغبة في المكافأة والشكر كما يُقرأ في الكتابة المنقوشة في دائرها تخليداً للذكر

وقد انفرد شهاب الدين العمري بذكر هذا الدير في جملة ديارات الشام فقال :

« هو في القرية من بناء الروم بالحجر الابيض ايضاً ويعرف بدير السيدة وله بستان وبه ماء جارٍ في بركة عُملت به . وعليه اوقاف كثيرة وله مُغَلّات واسعة . وتأتيه نذور وافرة ... ومما قلته فيه :

في جانب الدير لنا منزل ومنهل عذب به ننهل
وشادن قد جاءنا احور في كفه كأس له تشعل
وروضة تشرق انهارها قد شقها في وسطه جدول
ومطرب تطرب الحانه كأنه اسحق او زلزل

(١) مذكرات تاريخية بقلم احد كتّاب الحكومة الدمشقيين. نشرها الخوري قسطنطين الباشا في مطبعة القديس بولس في حريصا ص ٣٦

(2) *Les Derniers Evénements de Syrie* par F. Lenormand Paris 1860 p. p. 127 - 128.

فدونك الراح في دنّها شهد وفي الطعم بها فلفل
وافى بها في الكأس لكنها عذراء من خطّابها تخجل[1]

واختُلف في اصل بناء هذا الدير وزمنه . فروى الحاج تيتمار وهو اقدم من زار صيدنايا سنة ١٢١٧ ان في زمن الروم البيزنطيين ارادت احدى سيدات دمشق التقيات ان تهجر الدنيا لتتوفر على الصلاة وعبادة الله . فاعتزلت في صيدنايا . وابتنت لها فيه معبداً انصرفت فيه الى خدمة الحجاج الفقراء . ثم روى قصة الايقونة ومجيء الراهب بها من اورشليم واقامته في صيدنايا من اجلها . وانه اول من ابتنى كنيسة الدير اكراماً لها[2] . ووافقه على اكثر هذا الرأي المؤرخ متى باريس في حولياته التي اتمها قبل وفاته في سنة ١٢٥٩[3] والراهب لودلف دي سودهم سنة ١٣٤٨[4] فليس من ثم في كل روايات الحجاج والزوار الاولين حتى اواخر القرن الخامس عشر اقل اشارة الى ان الملك يوستنيانوس هو اول من امر بتشييد الدير في القرن السادس كما جاء في رحلة موندرل سنة ١٦٩٧ (ص ٢٢١) وبارسكي سنة ١٧٢٨ وپوكوك سنة ١٧٣٧ (ج ٣ ص ٣٩٣) . وهذا القول هو الشائع في بعض كتابات الشرقيين . واليه جنح رينو في مقالة في مجلة رومانيا في اعجوبة صيدنايا[5] . ويظهر انه ورد في الاصل المخطوط الذي كان محفوظاً قبلاً في الدير في مجموع

(١) مسالك الابصار ص ٣٥٦ _ ٣٥٧

(2) *Epistola Magistri* Thetmari (Mémoires de l'Académie Royale de Belgique) t. XXVI, 1851, p. p. 26-28.

(3) *Grande Chronique* de Mathieu Paris, traduite en Français par A. Huillard-Bréholles, Paris 1840-1841 vol. II, pp. 358-365.

(4) Ludolphe de Sudheim: *De Itinere Terræ Sanctæ* (archives de l'Orient Latin) t. II, p. 361-362.

(5) G. Raynaud. *Le Miracle de Sardenai* (Romania) 1882 vol. II p. 527.



قناطر داخل دير الشاغورة بجانب صالة الاستقبال

اخبار لخصت عنها الرئيسة تقلا غزال[١] ما نقلت جله الحاجة هيلانة طانيوس نهرا الشويرية سنة ١٨٩٥ في «تاريخ مختصر لدير سيدة الشاغورة». ونظراً لضياع الاصل المذكور لا يعرف هل كان غلط التاريخ الوارد في هذه الرواية قديماً من الجامع او الناسخ ام هو من

(١) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ص ١١٩ ـ ١٢٠

غفلات التلخيص . لانهُ جاء فيه ان سفر الملك يوستينيانوس الى اورشليم ومروره بصيدنايا كان في سنة ٤٧٦ وان بناء الدير كان سنة ٥٤٦ ومعلوم ان يوستينيانوس ملك بين سنة ٥٢٧ و ٥٦٥ فلا يمكن اذاً ان يكون زار صيدنايا في سنة ٤٧٦ . وهذا نص ما ورد في المختصر المذكور ننقله هنا لا لأنه مما يُكترث به ولكن حرصاً ان يكون صدى رواية قديمة في الاصل المخطوط الضائع . قال :

« في سنة ٤٧٦ للميلاد شخص الملك يوستينيانوس من القسطنطينية الى اورشليم قصد زيارة الاماكن المقدسة . وبالهام الهي وافق مروره ببستان الدير الحالي الكائن على مقربة منه . وقد كان اذ ذاك برية جرداء فنزل فيه مع جنوده وبات تلك الليلة . وفيما كان هـذا الملك يسرّح طائر الطرف في الجبل واذا بنور سموي اضاء عليه فهرع الملك حالاً مع بعض جنوده ومعهم ادوات الصيد . ولما دنا من المكان ظهرت ظبية بهية الطلعة فرماها الملك فاخطأها . ومع ذلك بقيت مقيمة في مكانها ولم تبرح فوقع الملك في حيرة وارتباك من جراء وقوفها وبينما هو يفكر منذهلاً تحولت الظبية فجأة من الهيئة الوحشية الى الهيئـة البشرية . فصارت امرأة بيضاء غضة كانها برج فضة . يكتنفها نور سموي ابهى وابهر من الشمس . فالتفتت له بوجه باش وابتدرته خطاباً مؤداه « من تصيد يا يوستينيانوس ومن قصدت ان ترمي بنبالك ؟ اتصيد مريم العذراء او ترمي بنبالك والـدة الاله شفيعة الخطاة ؟ اعلم يا يوستينيانوس انك بمشيئة العناية الالهية مررت بهذا المكان وبتّ ليلتك فيه قرب هذا الجبل . وظهرتُ لك قائلة ان تبني لي عليـه ديراً للنساك والمتوحدين يدوم الى يوم الحشر » . قالت هذا وتوارت حالاً عن عينيهِ فعلم الملك حينئذٍ ان ذلك كان رؤيا سموية . وفي اليوم المقبل امر الملـك يوستينيانوس فاتوه ببنائين وامرهم ان يبنوا ديراً على اسم السيدة في المكان الذي ظهرت لهُ فيه وقد عينهُ لهم . فأخذ من ثم البناؤون في تقطيع الصخور . ونظراً لوعرة الجبل لم يتمكنوا اولاً من تعيين الاساس حتى ظهرت ليلاً السيدة والدة الاله الطاهرة عليها اشرف السلام . ووضعت لهم الرسوم . وهـذه اول اعجوبة فعلتها قبل بناء الدير . ولمـا استيقظوا ووجدوا تلك الرسوم، اخذوا في حفر

الاساسات التي بنوا عليهـا دير سيدة الشاغورة الشهير . وألسنتهم تنطق بقدرة السيدة وعجائبها . وكان ذلك سنة ٥٤٦ للميلاد » (ص ٧-٩)

ولا حاجة الى التنبيه الى ما في هذه الرواية من بينات التخيل والوضع . وفي عبارتها ما يدل على ما اعتور الاصل من التبديل والتصرف . فلا بدّ من التنقيب عن نسخة اخرى من النص المخطوط القديم . وعلى كل فليس في التاريخ والآثار اقل اشارة الى نسبة الدير الى الملك يوستينيانوس . واول ما يُعترض عليها انها غير واردة في جملة ما عدده المؤرخ بركوبيوس من الابنية والمعاهد التي قام بها هذا الملك في مدة حياته . فلا مناص من تنحية هـذا الرأي بينما يتيسر ما يؤيده او يصححه

وذهب آخرون الى ان ادوكسية زوجة الملك ثاودوسيوس الثاني هي التي اشادت هذا الدير في عداد الاديار والكنائس التي تولَّت بناءها بعد ان اعتزلت في اورشليم لتغيُّظ زوجها عليها سنة



احد مناظر دير السيدة والى يساره كنيسة اللولبة

٤٤٩ . ورَووا انها قبلًا اهدت بولخارية اخت زوجها صورة العذراء من اورشليم من رسم لوقا البشير . وقدّروا من ذلك انه لا يبعد ان تكون ايضاً هي التي ارسلت الى صيدنايا صورة الدير[١] . وفي كل هذا ما لا يخرج عن حدّ الظن والتأويل

وزعم المؤرخ الكنسي بارونيوس ان تاريخ اول خوارق الصورة او بناء الدير كان سنة ٨٧٠ (ج ١٠ ص ٤٧١) واستدرك عليه رينو ان في نص بركارد دي ستراسبورج الذي نقل عنه بارونيوس تاريخ ٣٧٠[٢] وهذا التصحيح يقتضي ان يكون الدير بُني قبل السنة المذكورة في القرن الرابع . ولا يخلو هذا الافتراض من المجازفة والبعد

وليس للدير اليوم طراز ظاهر معروف . ولا شك ان الزلازل والنوازل بدلت قوامه ، وشوشت نظامه ، وجعلته خليطاً من طبقات داخلة بعضها في بعض بين اروقة ودور ، وحُجر وقصور ، تتلوّى تلوّي ما تحتها من الصخور . ولا تزال فيه بعض ابنيته القديمة على صغرها وضيقها . وفيه ثلاث دوائر ، للبطريك ، وللراهبات ، وللزوار والمتنزهين . وهذه الدائرة الاخيرة اوسعها غُرفاً . وربما بلغت ثلاثمائة لكثرة من يغشى الدير من المصطافين بحيث يشبه في ايام الموسم اكبر الفنادق مرجاً وهرجاً واوفرها دخلًا وخرجاً . ولا يزال صحيحاً فيه قول ابن فضل الله العمري الدمشقي فيما تقدم : « عليه اوقاف كثيرة وله مُغلّات واسعة وتأتيه نذور وافرة[٣] »

(١) تاريخ مزارات البتول في لبنان مخطوط للاب مارتين اليسوعي ص ٨٩٧ في خزانة كلية القديس يوسف في بيروت

(2) G. Raynaud. *Le Miracle de Sardenai.* (Romania) 1882 vol. II p. 526

(٣) جاء في رسالة بتوقيع « ارثذكسي قرية صيدنايا » بتاريخ ١٩/٦ نيسان

ويستفاد من شهادات السياح ان دار الضيافة لم تكن قبلًا في الدير بل خارجاً عنه في بناء تحته مستقل . وفيها عدة غرف صغيرة ، كان الغرباء يحتلونها اثناء زيارتهم . وآخر من اشار اليها بوكوك سنة ١٧٣٧ (ص ٣٩٣) وفيها نزل الهولانديان ڤان إكمونت وهيان (سنة ١٧٠٩ ـ ١٧٢٠) وشاهدا فيها مدة مقامهما « جماعة من الروم مع نسائهم واولادهم يُقال انهم حضروا للنزهة لا للعبادة» (ص ٢٦٠و٢٦٤) . ولعل بناء قصور الضيافة في الدير بدأ في النصف الاول من القرن الثامن عشر وخصوصاً في ايام الدولة المصرية

وفي ما بقي من خزانة الدير كتب كثيرة موقوفة عليه . ومثلها كان ولا ريب في مخطوطاته السريانيـة قبل إحراقها . وفي هذه الموقوفات كلها خطوط و كتابات وتعليقات لبعض البطاركة والاساقفة والرهبان والكهنة بتوقيعاتهم باليونانية والعربية يجدر ان تُصوَّر وتنشر لما في إذاعتها وحفظها من الفوائد لتاريخ الكرسي الانطاكي

ومن المخطوطات السريانية الموقوفة على الدير الباقية في باريس كتاب المزامير رقم ٢٠ خُط سنة ٧٠١٨ للعالم (١٥٠٩ م) في ٥ تشرين الثاني بقلم الشماس عبد المسيح ابن الشماس يوحنا بطرابلس واوقفه على الدير اسقف صيدنايا كير سيمون سنة ٧١٣٤ لآدم (١٦٢٦ م)

سنة ١٩٣١ نشرتها جريدة الحوادث في طرابلس في عددها رقم ١٥٢٨ ان اوقاف دير السيدة تؤتي سنوياً مقدار عشرة الآف ليرة ذهباً تُنفق في غير وجهها . وفي هذا الاقرار تحقيق لقول صاحب مسالك الابصار

زوار الدير والحجاج

بلغت شهرة الدير أوجها في القرن الثاني عشر . وطبقت آفاق المغرب في عهد الصليبيين . فكانت صيدنايا لهم - اذا صح هذا التمثيل - شبه لورد المشرق يؤمونها من كل الامصار والبحار . ويتقاطرون اليها من كل الملل والنحل . فكم ازدحمت على ابواب كنائسها ركائب الرسل والامراء . وكم تعفرت في ترابها جباه الاغنياء والفقراء . وكم توقلت هضابها محامل الزمنى والمرضى . وكم ذرفت في طرقها دموع الباكين والمصلين . وكم دوت في ارجائها اصداء اللهجات واللغات . وكم تجاورت في منازلها غرائب الازياء والشارات . قال ابن فضل الله العمري الدمشقي وقد تولى كتابة ديوان الانشاء السلطاني في الدولة المصرية: « وطوائف النصارى من الفرنج تقصد هذا الدير وتأتيه للزيارة . وكنت اراهم يسألون السلطان ان يمكنهم من زيارته اذا كتب لهم زيارة قمامة (كنيسة القيامة) ولم يكتب معها صيدنايا . ويعاودون السؤال في كتابتها لهم . ولهم فيها معتقد

« وجاءت مرة كتب ريد افرنس (ملك فرنسة) وكتب الادفونش (ملك اسبانية) على ايدي رسلهم . ومما سألوا فيها تمكين رسلهم من التوجه لصيدنايا للتبرك بها فاجاب السلطان سؤلهم وحمل الرسل على خيل البريد اليها[١] »

---

(١) مسالك الابصار ج ١ ص ٣٥٦ - ٣٥٧ طبعة مصر

وكانت زيارة الكنائس الكبرى في الشام وفلسطين مثل القيامة والناصرة وبيت لحم وجبل صهيون وطور سينا وصيدنايا لا يؤذن بها للافرنج الا بمرسوم سلطاني وغالباً برسوم يؤدّونها . ولسوء الحظ لم ينقل لنا صاحب كتاب صبح الاعشى مثالاً من هذه الكتابات السلطانية . على ان صاحب مقالة « اعجوبـة صيدنايا » اشار الى مضمون واحدة منها بتاريخ ٤ تشرين الثاني سنة ١٤٠٣ = ١٨ ربيع الثاني سنة ٨٠٦ بعد اتفاق جرى بين سلطان مصر يومئذٍ - وهو ولا شك الملك الناصر فرج (خلافاً لظن دينو انه السلطان برقوق لانه كان توفي سنة ٨٠١) - وبين الفرير فيليب دي نيلهاك مقدّم فرسان رودس Frère Philippe de Neilhac, Grand Maitre de Rhodes بسفارة رسول السلطان الحاج محمد (؟) وفيها أذِن السلطان للفرسان المذكورين بما معناه « ان يقدموا زائرين على ظهور الحمير والجمال والخيل . وللحجاج والحاجات ان يطالبوا بحسن الضيافة وان يُمكنوا من الترميم في القدس وبيت لحم وجبل صهيون والناصرة وصيدنايا [1] »

وانما عُدّدت انواع الحمولة في المرسوم السلطاني لانها لم تكن كلها مباحة للنصارى في الاسلام . وكانت الخيل خصوصاً محظورة عليهم قصد إذلالهم . وقد اشتهرت دمشق غاية الشهرة بالتشدد في منعها وتحريم اللباس الافرنجي على كل زوارها من الاجانب . ولم تبدأ بالتساهل والاغضاء الّا قسرًا في ايام الدولة المصرية منذ سنة ١٨٣٣ . ولذلك كان كل من اراد دخولها او الصعود الى الدير من

(1) Sebastiano Pauli, *Codice Diplimatico del sacro militare Ordine Gerosolimitano* 1737 (Lucca t. II p. p. 108 - 109) cité par G. Raynaud, *Le Miracle de Sardenai* (Romania) 1885 vol. 14, p. 87.

الحجاج والرواد الاروبيين يضطر الى التنكر واتخاذ العمة والتزيي بالزي البلدي. وهو ما أكره عليه الرحالة جون مادوكس حين قدم صيدنايا سنة ١٨٢٥ . وقد نشرنا صورته بلباسه الشرقي نقلاً عن كتابه المطبوع



الرحالة جون مادوكس

ولما حضر بعده في ايار سنة ١٨٣١ الكاتب الفرنسي جان بوجولا واراد زيارة دمشق لم يرَ بداً من نزع شارته الاروبية . واتخاذ الشارة الشرقية . ولا بأس حباً بالفكاهة وحرصاً على ما في وصفه للباس السوري من الفائدة التاريخية ، ان نعرب هنا ما كتبه في هذا الصدد قال :

« تزيّيتُ في بيروت بالزيّ الاسلامي لان المسافر الاروبي لا يستطيع ان يدخل دمشق بلباسه الخاص فجعلت على رأسي بدلاً من القبعة الفرنجية طاقية بيضاء تحت طربوش احمر تتدلى منه شرَّابة طويلة من الحرير الازرق . ولبست دامراً عريضاً من الجوخ الاحمر فوق سراويل بيضاء على الطريقة العربية . ووضعت قدميَّ في بابوج ضيق رفيع اصفر كما تحتذي الخيالة في هذه البلاد . ولكي يكون رأسي مثل رأس المسلم حضر حلاق من بيروت وحذف من شعري وسالفي بالمقص والموسى . ولا اكتم اني شعرت اولاً بتأثر شديد وشقّ عليَّ حقيقة فراق شعري . ولعنت وقتاً تعصّبَ الدماشقة الذي اضطرني الى مثل هذا التنكر ... على ان هذا الزي الشرقي الذي ارتبكت به باديْ بدء اعتدته فيما بعد . وكنت لا أرى بأساً في المحافظة عليه بقية عمري . وكان من نظر الي فيه ، وعليَّ زوج من الطبنجة الكبيرة في زنار من الجلد ، وعاين شاربيَّ ووجهي الذي سوَّدته شمس فلسطين لا يشك انني خيّال عربي[1] »

وما خلا هذا الزي السوري كان على كل نصراني شرقي ام

(1) *Correspondance d'Orient* par M. Michaud et Poujoulat 1830 - 1831 vol VI. p. 137.

غربي اراد زيارة صيدنايا رسوم مفروضة يؤديها قبل ذهابه او بعد ايابه . قال الهولانديان ڤان اكمونت وهيمان « ولما عدنا راجعين الى دمشق في الطريق نفسه بلغنا باب المدينة فطولبنا بالخفارة (الغفر) لقاء السماح لنا بالذهاب الى صيدنايا » (ص ٢٦٤)

واكثر ما كانت ترد قوافل الحجاج في شهري آب وايلول ولاسيما في الثامن من ايلول عيد ميلاد العذراء ولذلك غلبت على هذا العيد تسمية « حج السيدة » المعروف بها الى اليوم . وقد بلغ مجموعهم مرة بتقدير الزائر الالماني أليريك لمان خمسين الفاً ، في اخلاط من النصارى يتعاطون كل قبيح[1] من قصف ولعب وغناء وشرب . كما لا تزال امثاله باقية الى الساعة . وقد شهد احد علماء المشرقيات في باريس كليمان هوار حضور قوافل الحجاج الى صيدنايا في ١٩/٧ ايلول سنة ١٨٧٨ رآهم اقبلوا مدججين بانواع الاسلحة . وقد اختلط راكبهم بالراجل . وغلب جاهلهم على العاقل . فسمع من ضوضائهم وقد ملأوا جوانب الفضاء ، بدوي البارود وصدى الغناء . وشاهد من عربدة السكارى منهم وهم يحتسون الكؤوس ، وقد جحظت عيونهم من الرؤوس ، ما تخيّل معه انه امام قوم من الغزاة اقبلوا للسلب والغارة ، لا امام حجاج قدموا للصلاة والزيارة . قال « ومن رآهم ظنهم عصائب من البرابرة النهابة في اطمار من الثياب . ولاسيما ان طلقات البندقيات التي كانوا يصدعون بها اذاننا وهيئاتهم الوحشية كانت لا تنفي عنهم هذا الشبه[2] » . ثم وصف حلقاتهم في الرقص واللعب ومجالسهم في القصف والشرب .

(1) R. Ritter et H. Meisner *op. cit.* p. 106

(2) Clément Huart. *Notes prises pendant un voyage en Syrie*. Extrait du journal Asiatique Paris 1879, p. p. 7-12

في خمس صفحات ملأها شرحاً وجرحاً . ولما أشار الى الدير والحجر والكنيسة لم يحتفل بشيء منها ونبَّه على صغرها وضيقها . قال « والغريب الذي أَلِف النظر الى جلالة اكثر ابنيتنا يصعب عليه ان يعتاد حقارة الابنية الشرقية الحاضرة »

وعاين من وَلَع الزوار بالقصف واقدامهم على تناول المسكرات حتى في الدير في جوار بيوت الصلاة ما بعثه على القول ان العرق في الشرق ضرورة من ضرورات الاعياد ولوازمها لا تتم الّا به . وقد وصف قبلـه الكاتب پوجولا السابق الذكر مجلس شراب دُعي اليه في الدير، وقد اجتمع فيه عشرون من نصارى دمشق مع نديم تركي حول زجاجات من المدام، وقناني من العرق، واسمطة من النقل، فسمع من اغانيهم الغرامية ما كان مضغة في كل فم . وادرك التركي بينهم « سكران طينة » لا تحمله رجلاه . قال فدعاني الى الشرب والاقتداء به . فابيت في حديث نضرب عنه صفحاً [1]

ومهما يكن من كثرة الحجاج واقبالهم على زيارة الدير ولاسيما في ليالي العيد التي يقع فيها إبدار القمر وهي التي يكثر فيها القصف والطرب . فلا شك ان تقدير الزائر الالماني مجموعهم بنحو خمسين الفاً لا يخلو من المبالغة، لانّ ابا المكارم سعد الله بن جرجس ابن مسعود روى عن انبا مخايل مطران دمياط في القرن الثاني عشر ان القس متولي خدمة الطاق حزر له المجتمعين في عيد السيدة في اوان العنب « نحو اربعة خمسة الاف نفس » . ولعلهم كانوا كذلك

(1) *Correspondance d'Orient op. cit.* p. 241 - 242.

في عهده . قال « وبينهم النصارى والمسلمون والنسطور والملكية والسريان وغيرهم[١] » . وقد نبه غير واحد من الحجاج المتقدمين على ان المسلمين كانوا في جملة الزوار يأتون ايضاً للتبرك والدعاء[٢] . وفي الرحلة المنسوبة الى بركارد دي ستراسبورج بين سنة ١١٧٥ و١٢٢٥ ان في عيد انتقال العذراء وعيد ميلادها يأتي كل مسلمي الناحية مع النصارى للتبرك . ويقدم المسلمون نذورهم بكل تقوى[٣] . وروى سينور دي ڤيلامون في رحلته سنة ١٥٨٩ ان كنيسة الدير كانت معظمة عند المسلمين يصلون فيها كثيراً حسب ديانتهم[٤] . واضاف الى ذلك الشفاليه درڤيو « انهم كانوا حسني المعتقد في هذا المقام يزورنه بكل احترام . بعد ان يكونوا قد توضؤوا كما يفعلون قبل دخول الجوامع[٥] » . وكان الدير يحسن الى فقرائهم ويبرهم . وقد وجدنا في جملة اوقافه قديماً نسخة وقف سنة ١٠٠٢ للهجرة (١٥٩٣ م) في ايام المطران اثاناس قيل فيه « لاجل المترددين على الكنيسة من الفقراء والمساكين من مسلمين ونصارى »

واشهر من تردد الى الدير من البطاركة الانطاكيين مكاريوس الحلبي المعروف بالزعيم . فقد زاره مطراناً سنة ١٦٤٢ ـ ١٦٤٣ في السنة السابعة من رئاسته على حلب، حينما شخص الى اورشليم في قافلة كبيرة من الكهنة والشمامسة والحلبيين . ومرّ بهِ بين تشرين

(١) كتاب الكنائس والديورة . نسخة خطية في خزانة جرجس افندي فيلوثاوس عوض في طنطا

(2) Michelant et Raynaud. *Itinéraires à Jérusalem* (1261) p. 173.

(3) *Chronica Slavorum d'Arnold de Lubeck.* Ed. Lappenberg M. G. Ser. t. XXI. p. 235

(4) *Les Voyages du Seigneur de Villamont* (1589) Rouen, p. 553

(5) *Mémoires du Chevalier d'Arvieux*, p. 462

الاول وتشرين الثاني سنة ١٦٤٧ لما استُدعي ليتولى السدة البطريركية في دمشق . ولم يَنسَهُ في موسكو عندما اراد وداع الملك الكسيو ميخايلوفيتش . والتمس منه « خمسة خريصوفولات اي ختومة الذهب (chrysobulle) . الاول للكنيسة الرسولية الانطاكية . ان في الثلاث سنوات يأتي ارشمندريتية او رئيس كهنة مع اثنان ثلاثة من الرهبان والخدام يأخذون صدقة الملك مهما الهمهُ الله وينصرفون . وخريصوفولو ثاني لدير القالمند في طرابلس . وخريصوفولو ثالث لدير مار جرجس الحميره . وخريصوفولو رابع لدير صيدنايا » .

ولما قفل راجعاً الى دمشق سنة ١٦٥٩ عقد فيها مجمعاً على نائبه اسقف حمص اثناسيوس بن عميش . وكان من جملة ما انكره عليه فيه « انه مضى الى دير صيدنايا وطلع الى الكرسي وقدس بغير اجازة بعد ان ارسلوا له الكهنة والاكليروس واعيان الشعب المذكورين، وانهوه عن ذلك فلم ينتهي » .

وكان هذا المطران قد التجأ الى دير صيدنايا بين ايار وحزيران في السنة نفسها لبغض الدمشقيين له لكثرة اساءته اليهم . فجعل يغري من الدير الحكام بهم زيادة في اضرارهم . فاوعز اليه البطريرك ان يتوجه الى حلب وفي اول ايلول من السنة المذكورة خرج البطريرك لزيارة صيدنايا واقام مكانه بدمشق ابنه الشماس بولس . وبعد ستة ايام جاءه نعي مطران حلب مطروفانس بشارة . وكان شراً من مطران حمص . قال الشماس « وكان مجيء الساعي لعندنا العصر . فبالحال شيّعتُ خيّال أولاق الى صيدنايا يبشر سيدنا البطرك بذلك . فوصل الى عنده بعد العشا قبل ان ينام فازداد سروراً . لا شماتة بموته . ولكن لخلاص الحلبيين من شره . وقام للحال عمل باركليسي لوالدة الاله شكراً ومديحاً لها الذي جاءته هذه البشارة في ديرها »[1]

---

(١) سفرة البطريرك مكاريوس . خزانة باريس رقم ٦٠١٦ ص ٧ و٨ و٢٥٠ و٣٠٤ و٣٠٥ ـ ٣٠٦ و٣٠٩

وفي خزانة الدير اليوم كتاب انجيل مصور مطبوع في رومة سنة ١٥٤١ بالعربي واللاتيني وعليه وقفية على كنيسة الدير بخط الشماس عن لسان والده البطريرك مكاريوس قال في ختامها « جرى ذلك وحرر في اواخر شهر تشرين الاول افتتاح سنة سبعة الاف ماية وثمانية وستون لكون العالم (١٦٥٩م) وهي بعد عودة الاب السيد البطريرك المذكور من غيبته من بلاد المصكوف الى محروسة دمشق . وجاء وزار هذا الدير وقدس به . شفاعة صاحبته العذرى تكون معنا آمين . وكتب ذلك الفقير بواص بسم شماس نجله في التاريخ المذكور احسن الله العاقبة الى خير » . (وتحت ذلك توقيع البطريرك باليونانية)

وفي سنة ١٦٦٠ بعد ان اقام البطريرك بدمشق سنة واربعة ايام عاد وصعد الى صيدنايا في الخامس من تموز وتوجه منها الى الراس وبيروت وطرابلس وحماة وحلب

وفي ايام هذا البطريرك كان بعض المرسلين اليسوعيين يترددون الى الدير ويعظون من فيه كما تشهد بذلك بعض رسائلهم المحفوظة. منها رسالة للاب نقولا پوارسون Nicolas Poirresson بين سنتي ١٦٥٤ و١٦٥٥ قال فيها :

« زرنا دير صيدنايا على بعد اربع او خمس ساعات من دمشق شمالاً . وهو دير قديم مشهور بالمعجزات التي تحصل فيه حتى للمسلمين. ولذلك لا يمسّون الدير والقرية باذًى . وليس في البلد الّا النصارى . وفي الدير راهبات روميات يذهبن احياناً الاب (الذي بدمشق) ويسمعهن كلام الله[1] »

(1) A. Rabbat : *Documents Inédits.* t. II p. 241. *Relation des Missions de la Cie. de Jésus en Syrie.*

ومثل ذلك ما حكاه الاب بسّون في كتابه (سورية والارض المقدسة) قال :

« هو دير عظيم للراهبات ملجأ للبنات البائسات والارامل الروميات . تحيط به جدران شاهقة تصدّ عنه غارات العربان لارتفاعه فوق هضبة حصينة الموقع . وقد ذهب اليه احياناً آباؤنا الذين بدمشق ووعظوا فيه خادمات الله اللواتي يعشن فيه ببرارة عجيبة وبساطة[1] »

وانما اقتصرنا على اسم البطريرك مكاريوس الزعيم بين البطاركة الانطاكيين لا لأنه انفرد دونهم بزيارة صيدنايا وهي كانت منهم قريبة المتناول . ولكن لان التاريخ لم يحفظ لنا لشؤم الطالع ذكر سواها في هذه الصفحات القليلة التافهة التي جمعها ابنه الشماس بولس من اخبار البطاركة منذ انتقالهم من انطاكية الى دمشق . ولا شك ان كل خلفاء مكاريوس لم يدعوا فرصة لم ينتهزوها للمصير الى هذا الدير الانيق . واحقهم بالذكر بعد انفصال الطائفتين البطريرك المجاهد الهمام الذائع الصيت مكسيموس مظلوم . وكان قد خرج في الحادي والعشرين من تموز سنة ١٨٥١ للطواف على كنائسه في بر دمشق وبلغ صيدنايا عند الغروب وفي صحبته السيدان باسيليوس شاهيات اسقف الفرزل وزحله والبقاع وملاتيوس فنده مطران القلّية الاورشليمية نائبه في دمشق . وبعد ان احتفل صباح الاحد بالصلاة في كنيسة المجامع . واعقبها في الغد بالقداس في كنيسة القديس بطرس . وفصل بين المختلفين من ابناء رعيته في الخطبة

(1) P. Besson. *La Syrie et la Terre Sainte au XVII^e siècle* p. 66

والزواج . صعد مع حاشيته الى الدير اجابةً لدعوة رئيسه حين حضر للتسليم عليه[١]

وممن زار الدير من القوالين والشعراء المتأخرين عيسى الهزار المشار اليه آنفاً . والشيخ المعلم ميخايل بن حاتم الحمصي الملكي . ويوحنا ابن المصري . ويوحنا السمين الحمصي . ونعمة ابن الخوري توما الملكي . والقس جبرائيل فرحات الماروني . ولا شك ان هنالك غيرهم لم تقع الينا اخبارهم . وقد تقدم لهذا الاخير ثلاثة ابيات من قصيدة قالها في زيارته لصيدنايا سنة ١٦٩٤ اولها :

رويداً رويداً يا حُداة الركائب لقد عسفت اخفافها في الترائب

ثم زار الدير سنة ١٧١٩ ونظم فيه هذه الابيات :

رعى الله ديراً كنت فيه مسلماً على من عليها قبل جبريل سلما
فمن صيدنايا كان مطلع نوره فاحسن ببدر طلّ من اذلك الحمى
فان سما شاغور طاقة صورة مجسمة تبدي شموساً وانجما
فكنت بعقل ناطق متعجبا وكان لساني عن بياني ابكما
فلم ترَ قبلي ناطقاً متبكما ولم ترَ بعدي صامتاً متكلما

(ديوانه المخطوط في باريس رقم ٣٢٣ ص ٤٤٢)

ومما نظمه نعمة ابن الخوري توما في الدير حين زار صيدنايا :

أنخْ حصن الكبير وادخل ضارعاً باتضاع يرفع المتضعا
لُذ بها تحظى بنصر عاجل فاز مرءٌ لحماها اسرعا
كم نحاها غائم في اثمهِ واتاها قاصداً مستشفعا
فتزكى من ذنوب جمة بانسحاق لبه قد صُدعا
فاليكِ يا ملاذ الخلق قد جئت ارجو العفو منك طمعا

---

(٢) وثائق تاريخية . البطريرك مكسيموس مظلوم ١٨٤٨ ـ ١٨٥٥ مطبعة القديس بولس في حريصا ص ٨٢ ـ ٨٤

فلكم مثلي اثيم قد حظي   منك بالغفران لما ضرعا

وليوحنا السمين الحمصي خمس زجليات في مديح العذراء وذكر سيدة صيدنايا افتتح الاولى بقوله :

البتول فخر الانام   حبها صار لي غرام
من قصدها يا خليلي   من قصدها لا يُضام

وليوحنا ابن المصري ثلاث زجليات اثنتان في العذراء مريم قال في اول الثانية منها :

رأيت في صيدنايا الخَيل نامي   وفيها النور في شكل الغمام
ونوراً ظاهراً منها عياناً   تعاينه الخلائق على الدوام[1]

وقد سبقنا وروينا لعيسى الهزار بعض ادوار في تعداد كنائس صيدنايا وهي من « مديحة في ستنا السيدة في زيارة صيدنايا على وزن « جفاني وارسل يقول لي » نوردها هنا بحرفها العامي :

بتولة قدرها قد زاد فضلي   لها انوار شبه البدر تجلي
ايا خلان زوروا صيدنايا   لها برهان من معطي العطايا
سالت الله منشي للبرايا   يعمرها طوال الدهر كلي

***

لها طاقة تزرها الخلائق   بها جرنا وفيه الحيل دافق
روايحه شبيه المسك عابق   منارتها عليها الشمع شعلي

***

جميع الخلق جاوْوا يقصدوها   وتتجلا والاعيان يبصروها
وفيها راهبات يخدموها   والنعمة على الزوار تجلي

***

لها حصناً مليح وشاهق   تلتي اليه الخلائق
بالله يا خليلي قوم رافق   نزرها كل عام ولا نملي

(١) المشرق ٢٥ (١٩٢٧) ص ٣٤٥ ــ ٣٤٦ و٨٥٣

***

عذرى حصنها شاهق وعالي ما له في البلاد بنيان مثالي
سقاه الله من سحب الهطالي فمن قصدك عمره ما يذلي

***

يجوا الزوار يحضوا بالزيارة يزوروا الست مع باقي الدياره
الّي يارحمة عطيوا النصاره بذي الطاقة والنعمة تجلي

***

عطينا الخير فيها والامانِ لها الرحمان طول الدهر صاني
سألت الله يعمرهـا زمانِ وزادت البتول قدرا وفضلي

***

وزور شربيل ياخلي تراه تتجلا تلاميذه وراه[1] ...

***

وجبرايل الملاك سلم وبشر وشعيا النبي نادى وخـبر
عن العذرى تلد للابن مجهر يخلصنا من ابليس المضلّي

***

وموسى النبي في طورسينـا وداوود قد تكلم من سنينا
وميخا وايرميا الرجل الامينا وحبقوق ثم الياس المصلي

***

هولا. كلهم قـد خبرونا عن العذرى فيهـا بشرونا
بميلاد المسيح قـد اعلمونا ويضحي ابليس عن حكمه مولي

***

فارس قد نظم هذا المديح في العذرا البتول ام المسيح
فكوني عونه يوم يصيح من الحسنات انا راجل مقلي

***

والسامعـين فاحفظيهم ومن الشدايـد استريهم
وفي يوم القيامـة اعزليهم على جنب اليمين نكون كلي

(١) طالع ادوار الكنائس السابقة ص٣٨ ـ ٣٩

ومما نسب له ايضاً في مجلة الشرق المسيحي هذا النشيد :

امدح لزين البرايا عذرى بتولة تمام
الساكنة لصيدنايا مني اليها السلام...[1]

وهذا النشيد نفسه مرويّ في دفتر صغير في خزانة الفاتيكان رقم ١٩ (بورجيا) تليه طلبات وصلوات مختلفة باخرها « مديحة مباركة في رجل الله مار ريشا في ١٢ ورقة كتب في ختامها « تمت هذه المديحة في اورشليم المقدسة على يد العبد الخاطي القسيس عبد المسيح نجل شماس شمعون ابن الحاج كرابيد ملكي الجنس مجاور القدس الشريف جار دير السيدة دير البنات . وذالك سادس عشر تموز سنة سبع الف وماية وثلثين لكون العالم (١٦٢٢ م) ترحم على المسكين يكون لك نظير ذالك » ولا يعرف هل هو ناسخ فقط ام هو ناظم . وهل الناظم هو ام عيسى الهزار ام غيرهما لانه ورد في النشيد بيت قيل فيه :

منصور انا جيت قاصد وقلت فيك القصائد

وعلى كل فهذا نص النشيد ننقله من الدفتر المذكور على علاته :

امدح لزين البرايا عذرى بتولة تمام
الساكنة صيدنايا مني عليها السلام

قد بت طول ليلي دمعتي شبه سبيل
بالله قف يا خليلي واسمع لهذا الكلام

الشوق اليها قتلني والقلب مني حرقني
سبحان من قد نطقني حتى اقول فيها النظام

(1) Revue de l'Orient Chrétien 11 (1906) p. 268-243. *Description D'un manuscrit arabe Chrétien.*

في بكر عذرا بتولُ شعيا وميخا قالوا
الرب فيهـا حلولو طوبى لها على الدوام

راحت الى عين تملا ما كان لها فيها علما
واذا بصوت قد ارمى ناديك يا بنت الكرام

وقـد اتاك رسولا من عند ربنا ومولى
قال لـك يا بتولا يقريك ربي السلام

فاسمعي كل اموره يشرق حشاك بنوره
والناس تترجى حضوره في كل يوم وعـام

وتحمليه منذ صغرا ويبدل المـاء خمرا
وتحبلي فيـه جهرا تسع شهور تمـام

وترضعيه وهو ربك وفيه ينسر قلبـك
يا ويل عبـد يسبك يروح للنـار قوام

يا صيـدنايا يا نيتي من اهلك لا خليتي
في الطاهرة قد حظيتي وصار فيـك مقام

حصناً مليحاً وشاهق تأتي اليـه الخلايق
والحيل قد عاد دافق في وسط جرن الرخام

من البحور يقصدونك بالعاج قد رصعونك
والراهبات يخدمونك مع الصلاة والصيام

والريسة لـك تخدم وموضع الحيل تكرم
ومن لا يزورك يندم ولا يطيب له مدام

يا طاهرة يـا ام ربي يا من تفرج لكربي

يا من مدحتك بقلبي وقلت فيك النظام

منصور انا جيت قاصد وقلت فيك القصائد
وقدرك اليوم زايــد يا خـيرة في الانام

قد جيت اليوم اليكي وارميت حملي عليكي
وانا طريح بين يديكي فاحمي عني الاثام

والسامعين احفظيهم بسترك من الردى انشليهم
وفي سترك استريهم يا كوكباً في الظلام

ونختم هذا الفصل بنشيد ميخايل بن عبدالله حاتم عـلى وزن « بالله عليك يا ايها الحادي بالاظعان »

بالله عليك يا ايها الساري الى الشام من مصر التي ارمت بقلبي كل سهام
بلغ صيدنايا ما بـدا من فاي بسلام وارفع قصتي للطـاهرة مريم باحكام

واقصد حصنها العالي عـلى صُمّ الحجار واطلب منها يا من سعى مع كل من زار
تقبل دعوتي مع انها تعلم بمـا صار مني وابنها بالعدل يخصم كل ظـلام

قلبي والحشا قـد ذاب من الم الفراقِ والاعين ساحت من فيض ماءها كالسواقي
من اجـل التي من شأنها زاد اشتياقي مريم عز ابكار الانام وكل من هام

يا من حبهـا في وسط قلبي والفواد قربك لي وفا لكن جفاي من البعاد
عيدي ما مضى من جمعنا قبـل المعاد في شاهورة وامدح لك من حسن انعام

انتِ فخري والملتجا يا خـير من جار انت مطلـبي والمرتجى يا نور الانوار
وانتِ مكسبي والمنتجا يا كنز الاسرار قلبي ما سلا لو سلا والجفن ما نام . . .

وفي اخرها

لكِ مني السلام التام بالعرف الزكية مـا ناح الحمام التام بالدوح الزهية

تاهت فكري في مدحك يا مصطفية واقبلي مني سلام الروح بسلام

نجل عبدالله الخاتمي ميخايل اسمي سامحي بالله الحاضرين ابناء رسمي
يا سلام الله انهي لمريم كل قسمي بالله عليك يا ايها الساري الى الشام[1]

وانما حرصنا هذا الحرص على ايراد كل هذه المنظومات الساقطة التافهة على خلوها من كل فائدة تاريخية ليكون كتابنا هذا ديواناً شاملاً كل ما قيل في صيدنايا وايقونتها محيطاً بجميع اخبارها ورواياتها وتقاليدها

ويؤخذ مما نقله ابو المكارم سعدالله بن مسعود ان انبا ميخايل مطران دمياط في القرن الثاني عشر زار الدير وفي صحبته دون ريب بعض حجاج الاقباط . وكانت اخبار صيدنايا وما ينسب الى ايقونتها من الآيات والمعجزات معروفة ذائعة بينهم . وسيمرّ بنا بقية كلامه عليها . وهو اوحد من وقفنا على شهادة له من حجاج مصر

وقد اخطأنا التوفيق للعثور على شيء من اقوال النساطرة والارمن . وانحصرت روايات السريان اليعاقبة في ما نقلناه من نشيد عيسى الهزار مع ان وفود الاولين والآخرين كانت من الكثرة بحيث اضطر اصحاب الدير الى إفراز هيكلين لهم من هياكل كنيسة السيدة

واما الموارنة فاشهر من زار الدير من علمائهم السيد يوسف السمعاني وقد تقدمت شهادته في اللغة السريانية في صيدنايا . واجتماعه باسقفها جراسيموس الدمشقي . واقتناؤه بعض المخطوطات الملكية

(١) مجلة المشرق ٧ (١٩٠٤) ص ١٠٩١

السريانية من كنيستها في شهر تشرين الاول سنة ١٧١٥ في عهد البطريرك الشيخ كيرلس الزعيم الحلبي ورئاسة الحاجة تقلا . وقد تقدمهُ في هذه الزيارة القس جبرايل فرحات واشرنا سابقاً الى بعض ما نظمه فيها

وممن زار صيدنايا في هذا العصر من الشرقيين الادباء و كتب عنها شيئاً حنا الخوري سكسك (١٨٣٠ـ١٨٩٥) في رحلته الى دمشق سنة ١٨٥١ ولم تطبع بعد . واول من توسع في الكلام عليها الاستاذ الصديق عيسى افندي المعلوف . قدم اليها في جملة المدعوين للاحتفال بجر الماء الى الدير في ٢٢ ايلول = ٥ تشرين الاول سنة ١٩٢٤ ونشر مقالته في مجلة الاخاء بمصر (٩ [١٩٢٤] ص ٥٨٨ـ ٥٩٥) و١٠ [١٩٢٥] ص ٦٥٨ـ ٦٦٤) ووصف في ختامها بعض مخطوطات الخزانة

واما حجاج الافرنج وروّادهم فقد كان يُظن ان اول من عرف صيدنايا منهم بركارد و كيل مطران ستراسبورج Burchard Vidam de Strasbourg قالوا قدم سنة ١١٧٥ للميلاد رسولاً من الانبراطور فريدريك الاول الى السلطان صلاح الدين . وطبعت رحلته في تاريخ ارنولد لوبك باسم Gerardus Argentinensis . ولكن العالم البولندي الاب بترس المشهور اثبت ان هذه الرحلة وكل ما استُمدّ منها موضوعة في الحقيقة . وان بركارد المذكور لم يطأ قط ارض صيدنايا[1]

---

(1) P. Paul Peeters. *La Légende de Saidnaia*. Analecta Bollandiana t XXV, fas. II p. 155

وهذه اسماء من زار الدير من الغربيين ممن تيسر لنا الوقوف على كتاباتهم

Maitre Thietmar	en 1217
John Maundeville	1332
Jacques de Vérone	1335
Guillaume de Boldenselle	1336
Nicolo de Poggibonsi	1345
Jacob von Bern	1346 - 1347
Ludolphe de Sudheim	1348
Leonardo di Niccolo Frescobaldi	1384
Bertrandon de la Broquière	1432 - 1433
Gabriel Muffel	1465
Ulrich Leman	1472 - 1480
Carlier de Pinon	1579
Seigneur de Villamont	1589
Johann van Kootvyck ou Cotovico	1596
Don Aquilante Rochetta	1599
Fermanel, Fauvel, Baudouin de Launay et Stochove	1630
Bernardin Surius	1646
Gabrielle Bremond	1652
Chevalier d'Arvieux	1660
Albert Jouvin de Rochefort	1660
Henri Maundrell	1697
Paul Lucas	1699
Van Egmont et John Heyman	1700 - 1709 et 1720
Wassili Gregorovitch Barsky-Plaky Alboff	1728
John Green	1736
Richard Pococke	1737
John Madox	1825
Jean Poujoulat	1831
Porphyre Uspenskij	1843
J. L. Porter	1852
Clément Huart	1878
Joseph Goudart S. J.	1898 - 1902
Theodore Uspenskij	1902
J. Segall	1907

وهنالك ايضاً زوار آخرون كثيرون لم يكتبوا شيئاً او لم تبلغنا اسماؤهم . وقد تقدم من شهادة ابن فضل الله العمري الدمشقي (١٣٠١ ـ ١٣٤٨ م) انه حينما كان متقلداً كتابة ديوان الانشاء السلطاني بمصر وردت كتابات من ملكي فرنسة واسبانية يسألان فيها تمكين رسلهم من زيارة صيدنايا والتبرك بها . وبقيت هذه الوفود تتابع حتى ما بعد الايام الصليبية . وكان بينها فريق من العظماء والاعيان من رجال الدنيا والدين . ذكر التاريخ في جملتهم مطران مرسيلية بناديكتوس . قالوا وكان كاسمه مباركاً . قدم دمشق في اثناء الهدنة بين الافرنج وبين الملك الصالح اسمعيل الايوبي سنة ١٢٣٨ فعين السلطان من يرافقه الى صيدنايا بعد ان اعتاقه بضعة ايام بدمشق[1] . واخص من اشتهر بالحج الى الدير الفرسان المعروفون وقتئذ بالاسبتالية والداوية . وقد مر بنا التنبيه على مرسوم السلطان فرج لمقدم فرسان رودس بالترخيص لهم في هذه الزيارة . وكان هؤلاء الفرسان جميعهم على اختلاف طرائقهم يعودون دائماً من صيدنايا وحقائبهم ملأى بقوارير الزيت السائل من الايقونة لتوزيعه على كنائسهم ومريديهم

وقد نقل المؤرخ متى باريس في جملة وقائع سنة ١٢٠٤ (ج ٢ ص ٣٦٢ ـ ٣٦٣) خبر سلطان بدمشق أُصيب بعينه فزار الدير ونال فيه الشفاء كما سيجيء شرحه . وورد مثل ذلك في بعض كتب الاسفار والاشعار القديمة . وهذا السلطان ممثَّل اليوم في المقام بصورة رجل في اثواب تبعد ان تكون اثواب ذلك العصر . ولا

(1) Fr. Benedictus de Alignano (Biblioteca Bio-Bibliographica della Terra Santa) par P. Gerolamo Golubovich. t I p. 241

حاجة الى القول انه ليس في الآثار الدمشقية اقل إلماع الى هذه الحكاية

وكانت الديارات النصرانية في الاسلام تقصد دائماً للنزهة لحسن موقعها . وجودة شرابها . ونظافة آنيتها . وقد عُرف بعض منها بايثار الخلفاء والملوك فضلاً عن الولاة والامراء . ومنها في دمشق وضواحيها دير صليبا ودير يُونّى (يوحنا) ودير مُرّان . فلا يخلو ان يكون دير السيدة وقد ترامت شهرة خمره في البلاد، قد نال حظاً من اقامة بعض السلاطين فيه، وتردد النواب اليه، لاسيما وانه كان في طريق المتوجه منهم من دمشق الى حمص وحماة وحلب

وفي هذا الدير حلّت ركاب بطل مصر فاتح الشام ابرهيم باشا في مسيره الى يبرود سنة ١٨٣٤ مرّ به مُنصرَفه من منين . ولبث في قصر البطريرك ثلاث ساعات . وكانت رئيسة الدير يومئذ الحاجة كاترينا مبيّض فيما يظهر . فتلطف بها، وحادثها ملياً، وسألها عن عدد الراهبات، فالتمست منه ان يأذن لها ببناء بعض الغرف . فاشار عليها بارسال معروض اليه في يبرود . ففعلت وطلبت ان يُرخص لها بإحداث خمس عشرة غرفة . وما لبث المعروض ان عاد من مصر وفيه اجابة ملتمسها[1]

---

(١) مذكرات تاريخية بقلم احد كتاب الحكومة الدمشقيين ص ١٦٤ ـ ١٦٥

كنيسة السيدة

وصفها وبعض اخبارها . مذابحها والطوائف الشرقية . الصور والاواني . المصاحف والمخطوطات

وصفها وبعض اخبارها

من الاساطير التي حفظها لنا بعض الحجاج ان هذه الكنيسة قائمة في نفس المكان الذي اراد ابراهيم ان يذبح فيه ابنه اسحق[1]، وكانت تُعد في جملة معابد النصارى التي اشتهرت بالتعظيم والاجلال، وهي كما ذكرها صاحب مسالك الابصار « قامة بالقدس . واليها حجهم من اقطار الارض يأتون اليها في البراري والبحار . وبيت لحم . وبه مولد عيسى المسيح عليه السلام . وكنيسة صيدنايا ببرّ دمشق . وكنيسة صور، ومن ملوكهم من لا يصح تمليكه حتى يُصلَّى عليه فيها . وكنيسة مر يُحنا بالاسكندرية وهي معتقد اليعاقبة منهم[2] »

ومن الغريب انه مع كثرة زوار كنيسة صيدنايا وتتابع الحجاج اليها لم يُعنَ احد منهم بوصفها لنا وصفاً كافياً يشف عما كانت عليه من هندسة وبناء، وعظمة وبهاء . وغاية ما ذكره عنها جاك دي فيرون سنة ١٣٣٥ « ان فيها اثني عشر عموداً من الرخام . ستة من

(1) Rohricht et Meisner. *op. cit.* p. 105

(٢) مسالك الابصار للعمري . خزانة باريس رقم ٢٣٢٥ ص ١٨٨

الجهة الواحدة . وستة من الجهة الثانية . تقوم عليها اقبية الكنيسة[1] »
ووافقه على ذلك نيكولو دي بوجيبونسي سنة ١٣٤٥ وقال « ان
فيها ثلاثة صحون واثني عشر عموداً[2] » . واقتصر درفيو سنة ١٦٦٠
على قوله « انها كبيرة مسنّمة حسنة البناء[3] » . وروى الاب بسون
اليسوعي قريباً من هذا التاريخ « انها تماثل اعظم كنائس فرنسة
واجملها[4] » . واوحد من توسع في وصفها الحاج دون أكويلانتي روكِتا
سنة ١٥٨٩ ـ ١٥٩٣ . وهذا تعريب ما كتبه عنها ننقله باجماله لما
تضمنه من الشرح الذي لم يرد في كلام غيره قال :

« امام الكنيسة رواق قائم على خمس قناطر مرتكزة على اربعة
« اعمدة من الحجر ثخينة شاهقة . وفي يمين الكنيسة ويسارها جناحان
« يتوسطهما صحن تفصله عنهما صفوف من الاعمدة الحجرية بعضها
« اربعة وبعضها خمسة من طرز مختلف . وفي منتهى الصحن بعد
« العمود الرابع حجاب (قنسطاس) فيه عدة صور تمثل القديسين
« والقديسات تتجلى بينها خصوصاً صورة للسيدة بديعة الرسم قديمة .
« وبعض هذه الصور قديم ايضاً من الطرز الرومي . ومن هذا
« الحجاب يُدخل الى قدس الاقداس حيث الهيكل الذي يقيم عليه
« الكاهن القداس الالهي . وفي الارض فرش من الفسيفساء غاية
« في الجمال . ويلي الهيكل حنيّة فيها صور قديمة فائقة الحسن .
« ووراءه حجرة مستديرة ارضها مفروشة بالفسيفساء يدور بها شبه
« روشن صغير تَقِد فيه دائماً قناديل عديدة . وباب هذه الحجرة

(1) *Liber Peregrinationes*. Fr. J. de Verone (Revue de l'Orient Latin) 3 (1895), p. 294
(2) Fra Niccolo di Poggibonsi. *op. cit.* p. 20
(3) *Mémoires du Chevalier d'Arvieux*, p. 463
(4) P. J. Besson. *op. cit.* p. 68

« من الفضة في اطار بديع جداً من رخام شديد النعومة مُكفَّت
« بالصدف والابنوس. وخلف هذا الباب ضرب من الرخام الاسود
« مغشى بستار من الاطلس الاحمر المطرز. وفي هذا الرخام ايقونة
« للعذراء تعظمها اكثر الطوائف والشعوب لاشتهارها بالمعجزات.
« وباسفله تحت الايقونة جرن فيه قارورة من الفضة ملأى بنوع
« من الماء تضع منه الراهبة الرئيسة بعض قطرات في اداة من
« الفضة تقطرها في عيون زوار هذا المكان المقدس. وهذا السائل
« شديد الحراقة يلذع العين اذا اصابها فتدمع منه[1] »

وفي سنة ١٧٢٨ وجد السائح الروسي بارسكي ان الكنيسة تشابه كنيسة طورسينا بل تفوقها جمالاً وسعة. قال « وليس لها
« قبة ولكن سقف محدَّب من الجهتين (جملون)[2] وارضها مفروشة
« بالحجارة المصقولة وفيها اربعة صفوف من الاعمدة في كل صف
« خمسة. وهذه العشرون عموداً طول احدها اربعة امتار يحوق به
« الرجل بذراعيه. وللكنيسة ثلاثة ابواب بابان من الشمال. وباب
« كبير من الغرب امامه رواق في غاية الحسن قائم على اربعة اساطين
« من حجر واحد

(1) Don Aquilante Rochetta. *Peregrinatione di Terra Santa e d'alter Provincia.* Palermo 1630, p. 90-91.

(٢) يؤخذ من كلام الخوري بريك الذي سيأتي على الاثر ان هذا الجملون كان مفروشاً بالبلاط. والظاهر ان هذا الفرش كان من الخارج. وكان اذا وقعت عليه اشعة الشمس يتلألأ للناظر اليه من بعيد كما يستفاد من قول بعض الزجّالين في دفتر عندنا ورد في جملتِهِ مديح للعذراء لبولص الحموي يتبعــه نشيد آخر لعله له ايضاً جاء فيه :

من بعد تقشع جملون يلمع كالشمس تسطع ...

وهو معنى قول الخوري بريك « كان نزهة للناظرين »

« وفي داخل الكنيسة حجاب للهيكل جميل جداً تزينه قناديل
« كبيرة بالشموع الطويلة. وارض الهيكل مفروشة بالفسيفساء .
« وبناء المذبح من حجر بديع تعلوه قبة على اربعة اعمدة من الرخام .
« ولم ارَ قط ما يقارب هذا الجمال في كل الاديار التي زرتها[1] »

وجاء بعده بو كوك سنة ١٧٣٧ وشهد . انها لا تزال على هيئتها القديمة مع انها هُدمت وأُصلحت مراراً . وهي منقسمة الى خمسة صحون بينها اربعة صفوف من الاعمدة يتقدمها رواق امام مدخلها . ووراء المذبح الاكبر صورة للعذراء يقال انها من رسم القديس لوقا ولكن لا يطلعون عليها احداً[2] »

وفي قوله « انها باقية على هيئتها القديمة » نظر لان الزائرين الايطاليين في القرن الرابع عشر شهدا في سنوات مختلفة كما تقدم انه كان فيها ثلاثة صحون واثنا عشر عموداً في حين ان بارسكي وبوكوك وجدا فيها خمسة صحون وعشرين عموداً وهو ما يقتضي طبعاً ان الكنيسة هُدمت او سقطت وتغيرت عن خطتها السابقة في اوقات ليس لدينا اليوم ما يعين على معرفتها وتعيينها . ولا يخلو ان يكون للنوازل الطبيعية او المظالم السلطانية نصيب في هذا الهدم والخراب

وفي سنة ١٧٥٩ أُصيبت ايضاً بزلزال شديد تقوض منه سقفها برمته ذكره الخوري بريك في تاريخه فقال :

« ليلة خامس عشر من تشرين الثاني سنة ١٧٥٩ ليلة الاثنين ليلة اول صوم
« الميلاد الموافق في ٦ ربيع الثاني في ساعتين من اول الليل . . . حدث بغتة بعجلة
« عظيمة زلزلة عظيمة مرهبة مخيفة . . . ووقع جملون كنيسة دير صيدنايا المشهور .
« وما نعلم كيف سمح الله بان يقع ذلك الجملون المعظم وتصير كنيسته خراب[3] »

(1) Barsky *op. cit.* p. 322
(2) R. Pococke *op. cit.* t. III, p. 393

(٣) تاريخ الشام لميخايل بريك . نسخة برلين المخطوطة ص ٢٧

وقال بعد ذلك :

« وفي هذه السنة ١٧٦٢ تعمرت كنيسة دير صيدنايا التي كانت وقعت في
« الزلزلة . وليست كانت عمارتهـا بواسطة البطريرك ولا لها وكيل . بل اولاً
« بواسطة سيدتنا والدة الاله مريم الطاهرة صاحبة الكنيسة الساكنة في الطاقة
« الشريفة التي الهمت الى بعض المسيحيين محبي فعل الخير والرحمة ان يتحركوا
« الى العمارة . وثانياً بواسطة الشيخ علي المرادي المفتي الذي الهمته ان يتحرك
« ويقول « روحوا عمروا . الدير ديري » . فعمروا السقف الموجود الان وزينوها .
« ولكن يا حيف الجملون المبلط الذي كان نزهة الناظرين . ولكن ماذا نقول .
« هي رضيت تكون الكنيسة هكذا . ويا ما اظهرت عجايب في هذه العمارة .
« فنسألها متوسلين . كما انها دبرت عمارة كنيستها تدبر نظام ديرها ورهبانها
« وراهباتها الغير منظومين ولا مروضين . امين[1] »

ويُستدل من الابيات السخيفة المنقوشة فوق باب الكنيسة انه في سنة ١٨١٠ أُعيد فيها وفي الدير بعض الاصلاح في زمن البطريرك افتيميوس القبرصي وقد زارها بعد ذلك الاسقف پورفير أُسبانسكي سنة ١٨٤٣ فوجدها على اتساعها مظلمة . قال « وامام
« الهيكل الاوسط ووراءه فرش من الفسيفساء الملونة تمثل بعض
« الحيوانات . وخلف المذبح مُصلًى جدرانه وارضه مزوقة بالقاشاني
« والرخام المجزّع . وفيه ايقونة الانجيلي لوقا ولكن لا تظهر للعيان .
« بل هي مخبوءة في صندوق طويل من الحديد . يزعم الروم
« الكاثوليك (مكسيموس[2]) ويخطبون ايضاً في الكنائس ان
« الايقونة الحقيقية رسم البشير لوقا أُخذت منذ زمن طويل من
« الدير لا يُدرى الى اين . وان الصندوق ليس فيه الا نسخة عنها

(١) تاريخ الشام لميخايل بريك . نسخة برلين المخطوطة ص ٢٩

(٢) يعني به البطريرك مكسيموس مظلوم

« وهذا الصندوق موضوع في طاق في الحائط وراء مشبك من
« الفضة . وامامه صلبان صغيرة وصور للعذراء القديسة حسنة
« الصنع مغشاة بالفضة والحجارة الثمينة . وفي المقام عدة مصابيح
« مُسرَجة . وفي الوسط اناء فوق مائدة يَقد فيه الزيت المقدس[1] »

ثم رُممت الكنيسة ايضاً بعد فتنة سنة ١٨٦٠ تولى اصلاحها مهندس المريمية بدمشق في ايام البطريرك ايروثيوس (١٨٥١-١٨٨٥)

المذابح والطوائف الشرقية

تقدم انه كان قبلًا في كنيسة السيدة خمسة صحون بشهادة بارسكي وبوكوك . في كل صحن منها مذبح . اكبرها في الوسط وعن جانبيه اربعة مذابح صغيرة . ذكر بارسكي انها كانت في جهة اليمين تدعى باسم القديس يوحنا فم الذهب . والقديس نقولاوس . وفي جهة اليسار باسم القديس ميخايل زعيم الملائكة . والقديس يعقوب . ولم ينقل اسم المذبح الاوسط . وفي اسبانسكي انه كان على اسم ميلاد العذراء . وقد وافق بارسكي على تسمية كل المذابح خلا احد مذبحَي اليمين فانه دعاه باسم القديس ديمتريوس بدلاً من القديس يوحنا فم الذهب . ونبّه على ان هذه المذابح الاربعة كان الواحد منها وراء الآخر في الصحن الواحد

وقد سبق من شهادة الاب برناردان سوريوس والهولاندي كوتفيك انه كان للنساطرة واليعاقبة والموارنة مذبح خاص بكل فرقة منهم . ولعل المذبح الرابع كان للاقباط اسوة بسائر الطوائف

(1) Porphyre Uspenskij *op. cit.* p. p. 231-232

الشرقية . وكان للايقونة عندهم عيد يعيدونه قديماً . وانفرد الملكيون وهم اصحاب الدير بالمذبح الاكبر في الوسط ووراءه المقام بايقونتهِ المشهورة في ما عدا ما كان بايديهم ايضاً من معابد الدير و كنائس البلد وبقية الديارات . ولاشك انهم اضطروا ان يفسحوا مكاناً في كنيستهم لكل من هذه الفِرق النصرانية تقرباً منهم واستئناساً لهم واستدعاء لحجاجهم لما كان يترتب على وفودهم من الفائدة للدير . وقد اشرنا قبلاً الى كثرة القادمين منهم

ويصعب جداً تعيين المذبح العائد لكل طائفة على حدة سوى مذبح القديس يعقوب في شمال الكنيسة فانه كان دون ريب قسمة السريان اليعاقبة . واكثر ما كانوا يردون من حمص وما جاورها . وقد بقوا مستأثرين به الى قريب من منتصف القرن التاسع عشر كما روى ذلك الاسقف أسبانسكي . قال ولكن البطريرك متوديوس امر بهدمه . اي قبل زيارته صيدنايا في سنة ١٨٤٣

ولا يخلو مثل هذا الاشتراك في مذابح الكنيسة الواحدة على غير مُنازعةٍ في ملكها من بعض الغرابة من قِبل طوائف متعادية تكفّر الواحدة منها الاخرى، لولا ما هنالك من الاغراض والمصالح الداعية الى المجاملة واللين، فضلاً عما سبق من الأسوة والامتثال بما كان جارياً في كنائس بيت المقدس . ويظهر من بعض الروايات ان اليعاقبة طالبوا يوماً بقيمة مذبحهم المهدوم وتقاضوا حقهم المهضوم . ولا ريب ان هذه المطالبة كانت هي الباعث الاكبر الذي حمل البطريرك متوديوس على إضرام النار في المخطوطات السريانية التي كانت متوفرة في الدير تلافياً منه لخطر احتجاج السريان

بها لاثبات حقوقهم عليه. وبذلك يتضح لنا اليوم سرّ هذا الإحراق المشؤوم الذي لن يبرح تذكاره سبّة للدير بين الاديار وسوءة فاضحة يبقى ميسمها في جبين اربابه ما بقي الليل والنهار

الصور والاواني

ذكر الحاج روكتّا انه شاهد في الكنيسة حين زيارته لها في ختام القرن السابع عشر جملة من الصور القديمة بديعة الرسم، فائقة الحسن. ولا شك انها فُقدت منها كما فُقد اكثر الذخائر امثالها او تلفت في احدى نكبات الدير. وفي سنة ١٨٥٢ طاف الكنيسة بورتر الانكليزي فلم يجد فيها ما يجدر بالذكر بل وصف صورها اقبح وصف ولاسيما صورة الدينونة العامة هجّنها غاية التهجين وعدّها من المخزيات التي يندى لها الجبين وعاب جميعها بقلة الاحسان وزعم انها اشبه بما تخطه اعواد الصبيان على الحيطان[1]. وقد عاين هذه الصور بعده سنة ١٩٠٢ عالم البيزنطيات تيودور أُسبانسكي المعروف ولم ينكرها هذا الانكار بل وجد هنالك بين مقتنيات الكنيسة بعض الاعلاق النادرة والعاجيّات القديمة وعُني بوصفها في ثلاث صفحات من مقالته عن صيدنايا[2]. وقد تقدم لنا ذكر الحُجر القديم الذي نبه عليه في كلامنا على اللغة السريانية

ولا بدع ان يعثر الباحث اليوم في مستودعات الكنيسة على بعض النفائس التي كانت خزائنها ملأى بها قبلًا لكثرة ما كان يرد اليها من النذور والهبات والتحف والطرائف في كل هذه القرون

(1) J. L. Porter, *op. cit.* vol. I p. p. 342-343

(2) Th. Uspenskij *Bulletin de l'Institut Archéologique Russe de Constantinople* VII livraison 2-3 Sofia 1902 p. p. 106-108

التي تتابعت عليها وبين هذه المِلل والنِحل التي كانت تتوارد اليها . قال الخوري اغابيوس الخوري في كلامه عن الكنيسة الحاضرة :

« هي بيعة كثيرة الاثاث والمتاع النفيس . فيها القناديل الثمينة والذخائر الرفيعة الاثمان . وفيها من التقدمات والهدايا ما يمكنه ان يملأ بيعة اخرى مثلها . . . وان المحفوظ المخبوء من الحلي والاواني الثمينة اكثر من المعروض فيها لدى الانظار . وعلى الاجمال فكنيسة السيدة فخمة غنية جداً . وذلك كله من فضل المحسنين من المؤمنين[1] »

ومثل هذا الغنى الفاحش هو الذي اغرى البطاركة اليونانيين بالدير واطمعهم في ما اجتمع في خزائنه من الاموال والذخائر كما شهد بذلك احد رؤسائه قبلاً، معاصرهم الخوري ميخائيل بريك في كتابه حيث قال :

« سنة ١٧٦٧ خرج البطريرك فيليمون ليفتقد الابرشية الانطاكية. ولما وصل « الى قرية صيدنايا وكان معه جرجي الوكيل الشرير . فدخل الى ذلك الدير « المعظم . وعلى ما تحققنا انه فضح احوال الدير وسلبه وعرّى الطاقة الشريفة « من زينتها . وذهب الى معلولا . واراد ان يباص نصارة الكاثوليكية . فقاموا « عليه واخرجوه من عندهم باهانة . . . ولما وصل الى اللاذقية . فهناك انتهت « ايام حياته . . . وكان غير ممدوح وفرحت المسيحيون بوفاته . وكانوا يقولون اماتته « العذرا سريعاً لكونه سلب ديرها وعرى طاقة الشاهورة من زينتها . وهذا يمكن « يكون لان البطريرك سلبستروس الطيب الذكر سنة ١٧٦٤ ارسل مكاريوس « مطران صور وصيدا ليضبط مدخول دير صيدنايا في ذلك الموسم فراح واخذ « مفتاح طاقة الشاغورة من الريسة نفضورة واعطاه لقسيس راهب كان معه . وفي « تلك الليلة نفسها خرجت نار من طاقة الشاهورة واحرقت القلايد المعلقات والقون « التي فوق الطاقة . فدخل المطران المذكور ليطفي فما قدر . فدعا الريسة « نفضورة . وللوقت دخلت واطفت النار . واوصى المطران ان لا يطلع هذا الخبر

(١) تاريخ دير البتول في قرية صيدنايا ص ١٧

« واعطى المفتاح للريسة . وانا هذا الخبر اعلمني به المطران المذكور نفسه »[١]

ومن عرف الدير والفوضى السائدة فيه وعرف الاطماع المتألبة حوله وتحقق غياب كل سجل او جريدة إحصاء فيه لا يعجب من كثرة ما يؤخذ من كنيسته ومايضيع كل عام من اموالها ونذورها واوقافها . وفي السنة الفائتة ١٩٣١ نشرت جريدة الحوادث في طرابلس رسائل بتوقيع « ارثوذكسي قرية صيدنايا » اقاموا فيها الحجة على ذهاب كأسين من الذهب من اجل الآثار قدروا مرة قيمة كل منهما بالف ليرة ذهباً وزعموا انهما بيعتا بمبلغ اربع مئة فقط اقتسمها بعض الوكلاء . فبادرت رئيسة الدير الى التظلم من هذه المنشورات ونظرت المحكمة في القضية . وقضت بتبرئة صاحب الحوادث بعد ان وجد النائب العام الكأسين في قرية بشمزين من اعمال الكورة[٢]

المصاحف والمخطوطات

كانت المصاحف السريانية هي الغالبة في الكنيسة . وقد مرّ بنا من كلام السمعاني انه وجد طائفة منها في الطقسيات الملكية ملقاة في احد جوانب الهيكل مأكلاً للعث والارضة، وان ارباب الدير اذنوا له باخذها . ولا ندري هل هذه المخطوطات محفوظة اليوم في جملة ما في خزائن الفاتيكان، وليس فيها نص بنسبتها الى صيدنايا او وقفيتها على الدير ام انها غرقت في عداد ما غرق

(١) تاريخ الشام لميخايل بريك . نسخة برلين الخطية ص ٣٣ ـ ٣٤

(٢) جريدة الحوادث : اعداد ١٥٢٠ و١٥٢٨ و١٥٣٥ و١٥٦٠ و١٥٧٦ و١٦٠٢ و١٦٠٥

من الكتب التي كان انفذها الى رومة . وغاية ما وجدناه من موقوفات صيدنايا في الفاتيكان كتابان وهما

الاول . الرسائل بالسريانية رقم ٢١ وقد سبق ذكره . وفي ظهر الورقة ٨٧ منه هذا التعليق بلفظه :

« هذه ما اوقف وحبس وتصدق بهذه البسطلس المبارك بواص بن صهيون
« من آل قرية صيدنايا . وقف موبد وحبس محرم على كنيسة السيدة بصيدنايا . . .
« بتاريخ حادي عشر من شهر تموز سنة ستة آلاف وسبع ماية وتسعين لكون العالم »
(١٢٨٢ م)

والثاني . كتاب الحاوي الكبير لنيكن رقم ٧٦ جاء فيه انه :

« برسم الاب الروحاني الخوري يحنا بعمورة صيدنايا . . . واذا اراد الله تعالى
« ونقله من هذه الدنيا الفانية يكون وقفاً موبداً وحبساً مخلداً على دير وكنيسة
« ستنا السيدة بالحصن الشريف بعمورة صيدنايا المأيدة بقوة ستنا السيدة . . . »

ولا تاريخ فيه

وقد كانت المصاحف والمخطوطات المُحبسة على هذه الكنيسة عديدة وافرة وبينها النادر والنفيس ذهب اكثرها في حريق كتب الدير السريانية في القرن الماضي . او تفرق في الخزائن الاوربية . ومن جملتها انجيل رقم ٣٥ في خزانة باريس على رق فرغ منه الراهب يوسف من حصن كيفا في دير مار صليبا في طور عبدين في تاريخ حُكّت بعض ارقامه . ولعله ١٣١٣ لليونان (١٠٠٢ للمسيح) . وفي الورقة الاولى منه بخط جميل واضح بالقلم العربي :

« هذا الانجيل الطاهر والمصباح المنير الزاهر وقفاً موبداً وحبساً مخلداً على
« كنيسة ستنا السيدة بحصن صيدنايا . . . وسبيل كلمن يقرا به ان يدعي للتلميذ
« نعمه بزي راهب بغفران الخطايا له . . . بتاريخ سنة سبعة الاف احد وتسعين »
(١٥٠٩ م)

وتحت ذلك توقيع بالرومية

ولا تزال في خزانة الدير عدة كتب ومخطوطات ذكر فيها انها محبسة على الكنيسة فيه

معابد الدير

روى بارسكي انه كان بين قلالي الدير معبدان احدهما للقديس جاورجيوس الشهيد . والثاني للقديس تاودورس . وقد انفرد بنسبة الاول ولم نجد من سماه غيره . ولعله وهم فيه . والمعروف معبد القديس ديمتريوس . ومكانه الى جانب مقام الشاغورة . وقد ذكر الثاني الاسقف أسبانسكي وصلى فيه . وهو في حارة الراهبات

وقد سبق في احصاء موندرل الانكليزي ذكر كنيسة القديس ديمتريوس . ومن المخطوطات الموقوفة عليها في خزانة الدير كتاب « صلاة الاغربنية وترتيب افاشين السحرية وخدمة اسرار القداس » جاء في ختامه :

« كان النجاز من كتابة هذا القنداق الشريف... نهار الاثنين ثالث وعشرين
« شهر اب المبارك سنة سبعة آلاف ومابة وسبعة وسبعين لآدم عليه السلام
« (١٦٦٩ م) وذلك بيد فاعل المساوي الذميمة ... المسمى قس عبد العزيز
« ابن المرحوم رزق‌الله بن ابي هلال احد خدام الكنيسة الكاطوليكية بدمشق
« الشام سنة الف وثمانين للهجرة تمام ... »

وفي الورقة الأخيرة منه :

« هذا القنداق المبارك اوقفه نيوفيطس الحلبي على دير ستنا السيدة صيدنايا
« على كنيسة مار ديمتريوس وذلك عن روحه ... وذلك بتاريخ سنة سبع الاف
« مابة وخمسة وثمانون للهجرة » (كذا بدلاً من لآدم) — ١٦٧٧ م

مقام الشاغورة

مر بنا وصف هذا المقام من كلام الحاج الايطالي دون روكتا.
وقد اجمع كل زوار الدير منذ القرن الثاني عشر على ان ايقونة
العذراء المشهورة كانت في طاق وراء الهيكل الاكبر حيث كانت
تُلمس وتقبَّل قبل ان تحتجب عن الابصار . واوسع وصف لهذا
الطاق واقدمه اتصل بنا منذ سنة ١١٨٤ للميلاد برواية الشيخ المؤتمن
ابي المكارم ابن مسعود عن مطران دمياط القبطي انبا ميخايل
وهو قوله :

« يتوصل الى هذه الكنيسة من الوجه البحري . فاما ظاهر الكنيسة من شرقيها
« وقبليها فجرف عظيم اقل ما يكون خمماية قامة واظن اكثر . ومن ناحية
« الغرب فسحة لطيفة لا غير برسم دواب الزوار . وليس لها طريق الا من البلد.
« وخلف شاقَ الكنيسة (الحنية) بيت مربع له بابين وشاق . وفي الشاق طاق
« تجي ثلاثة اشبار في عرض شبرين عليها شباك حديد واسع . وعلى الشباك باب
« درفتين مصفح نحاس اصفر . وكله مخرّم . فيه اربع صلبان . مغلق لا يفتح
« الا والكهنة المتولين خدمة الكنيسة حاضرين . وقدام هذا الطاق عامود عليه
« قنديل لا يطفى ليلاً ولا نهاراً . فاذا فتح الباب رأيت داخل الطاق ستور من
« كتان خِرَق بيض بما دارها . وخلف الشباك سوا جرن رخام مثل الحوض
« مربع يكون طوله لعله شبر في عرض اربعة اصابع . او اكثر قليل . عليه قونة
« راقدة غير منتصبة » (ص ١٤٣)

ولا يعرف بالتحقيق السنة التي فُصل فيها المقام عن الكنيسة
وحوّل مدخله الى جنوبيها حيث يُفضى اليه اليوم من دهليز ضيق
وقد زاره پورتر سنة ١٨٥٢ ونعته بانه واسطة عقد الدير قال :

« اردنا الدخول اليه فاستقبلونا بعد تكلف كثير . واضطررنا

« ان نكشف رؤوسنا ونخلع احذيتنا في المقام المقدس . وهو مزين
« اجمل تزيين وابدعه مفروش بالرخام المجزّع . واسفل جدرانه
« بالاصداف . وقد عُلق في اعلاه صف من القناديل الفضة المنقوشة
« وصور للقديسين لا تحصى . وفي جانبه الشرقي باب من الفضة
« مربع يبلغ ١٨ عقدة ينفرج عن كوة صغيرة حيث ايقونة العذراء
« من رسم لوقا البشير مخبوءة ضمن صندوقة من الفضة . وطبعاً
« كل من نظر اليها يموت . قال لي الكاهن الذي كان يتبعنا ان
« نصفها حجر والنصف الآخر لحم . وان المعجزات التي صنعتها
« لا تُعد[١] . . . »

ولا يخفى ما في قوله الاخير وهو كاهن بروتستاني من الاستهزاء والازدراء

وفي جملة الصور التي تشاهد اليوم في المقام صورة غريبة لم يشر اليها بورتر مع انتباهه وانتقاده كل ما رآه من الصور . وهو ما يدل على انها لم تكن في زمانه وهي بجانب صورة القديس يوحنا المعمدان تمثل رجلًا من المسلمين بعمامته وفروته الخضراء . زعم قوم انه الملك الظاهر بيبرس البندقداري . وآخرون انه السلطان الملك العادل اخو السلطان صلاح الدين الايوبي . مرض ونال الشفاء في المقام فنذر للعذراء خمسين كيلة زيت لايقاد مصابيحها . تحمل في كل سنة الى الدير . فحفظت صورته تذكارًا لهذا الشفاء[٢] . ولا يتعذر على من له إلمام بالفن والتاريخ إثبات ما في نوع هذا التصوير ومثل هذه النسبة من البعد والامتناع . ولم ترد اقل

(1) J. L. Porter *op. cit.* volume I p. 343

(٢) مجلة الاخاء ٩ (١٩٢٤) ص ٥٩٥

اشارة الى هذه الحكاية في كل الكتابات والآثار الشرقية . على ان كتبة الافرنج ما فتئوا يتناقلون روايتها نثرًا ونظماً دون ان يعينوا السلطان الذي كان وقتئذٍ بدمشق او يذكروا زمانه . واقدم من نقلها منهم المؤرخ متى باريس سنة ١٢٠٤ ومن بعده الحاج تيتمار سنة ١٢١٧ وهذا نص ما اورده منها قال :

« واتفق ايضاً ان احد سلاطين دمشق كان اعور وأُصيب
« بالعين الاخرى فاصبح اعمى . وبلغه ما يفعله الله من المعجزات
« بايقونة والدته العذراء فجاء اليها ولم يمنعه اسلامه عن زيارة مقامها
« لثقتهِ بالله واملهِ بالشفاء . فسجد عندها وصلى . ولما فرغ من
« الدعاء رفع عينيه الى السماء فابصر نور المصباح يضيء امام
« الايقونة . ثم حدَّق بمن حوله وسبح الله مع الحاضرين . وبما ان
« نظره اول ما وقع على نور القنديل نذر لله ان يزور المقام كل
« سنة ويحضر له تسع كيلات زيت كانت تحمل كل عام الى ايام
« نور الدين[1] »

ومن هذه الرواية يتضح جلياً ان الصورة ليست صورة الملك العادل ولا السلطان الظاهر بيبرس لتأخرهما عن نور الدين . وانما هي رسم حديث تخيلوا فيه مثال احد حكام دمشق حفظاً لصدى الحكاية المزعومة فيه . ومهما يكن من بطلانها او صحتها فهي تثبت على الاقل ان المسلمين كانوا قبلاً كالنصارى يزورون هذا المقام ويتعهدونه بالنذور كما تقدم لنا دليله من شهادة الاقباط والافرنج . وهو ما صرَّح به ايضاً زين الدين الجوبري في كلامه عن

(1) *Epistola Magistri Thetmari, op. cit.* p. 28

كنيسة صيدنايا كما سيجي. حيث قال « وقد ارتبط عليها جميع الطوائف »

ويؤخذ من كتاب كتبه الروم الكاثوليك بدمشق الى الخوري سابا الكاتب بتاريخ ٢٧ صفر سنة ١٢٣٤ ان في هذه السنة (١٨١٨ م) جرى ترميم الدير وتبليط حجرة الشاغورة وتزيينها . وهذا نص ما قيل فيه :

« واما سبب تغليظ خاطر منلا افندي عليه (على البطريرك سيرافيم الارثذكسي)
« هو التجديد الواقع بدير صيدنايا في حجرة الشاهورة من تبليط وزينة . واما عمار
« الأود ومرمّة الدير فذاك بموجب بيورلدي من المرحوم افندينا كنج يوسف باشا
« وبموجب مراسلة من الشرع الشريف . فجناب منلا افندي تعلل بخصوص
« التجديد الواقع في حجرة الشاهورة بحيث ما فيه اذن[1] »

ايقونة العذراء

اختلفت الاقوال في من صور هذه الايقونة ومن احضرها الى الدير . فذهب فريق من اقدم الكتبة والزوار الى انها صُورت في القسطنطينية . وجاء بها احد البطاركة الى اورشليم حيث رأتها الراهبة رئيسة الدير فابتاعتها ورجعت بها الى الدير . وارتأى آخرون وبينهم الحاج تيتمار سنة ١٢١٧ ان الذي احضرها الى الدير راهب من القسطنطينية قدم لزيارة بيت المقدس واجتاز بصيدنايا . فتوسلت اليه الراهبة ان يبتاع لها قبل رجوعه من اورشليم صورة تمثل العذراء تضعها في معبدها . فوعدها وسأل اين تباع الايقونات . واختار

(١) خزائن الكتب ص ١١٤

منها واحدة وخرج بها من المدينة . وبعد ان حاول في طريقه ان يستأثر بها اضطر اخيرًا بعدما ظهر منها من الايات ان يفي بوعده ويحضرها الى الدير . وورد مثل ذلـك في قسم من الكتابات اللاتينيـة وفي المنظومات الفرنسية الاولى[1] واقتصرت الروايات العربية على مثل هذه الحكايات ولم تشر الى ان اصل الصورة من رسم القسطنطينية ام من اورشليم

والمعروف اليوم من هذه الاصول العربية التي رويت فيها قصة الايقونة بالتفصيل خمسة :

الاول نسخة حديثة في مجموع خطي بقلم ديمتري اللاذقاني سنة ١٨٤٩ نشرها المرحوم الاب لويس شيخو في المجلـد الثامن من المشرق سنة ١٩٠٥ (ص ٤٦١ ـ ٤٦٧) بعد مقابلتها على نسخة اقدم منها محفوظة عند الاب قسطنطين الباشا الراهب المخلصي مكتوبة سنة ٧٠٦٩ للعالم (١٥٦١ م) بيد « الشماس ميخايل ابن الابروطس سليمان ابن الخوري يوحنا ابن الابروطس داود ابن القسيس يوحنا من كفربهم من معاملة حماة في مدينة دمشق التي اقام فيها سنتين وخمسة اشهر » ولا تختلف النسختان الا في قصر مقدمة الثانية . واختصار بعض عباراتها ونقص صحيفة منها

الثاني نسخة واردة في مجموع في خزانة باريس رقم ٢٦٢ مشتمل على اخبار قديسين وقصص وميامر تبلغ ٢٣ كتاباً . الكتاب السادس منها بعنوان « يسير من عجايب الست السيدة المجترحة في صيدنايا وتجسدها » في ثماني ورقات (٥٨ـ ٦٥) وهذا المجموع دون تاريخ . وفي الورقة

(1) G. Raynaud. *Le Miracle de Sardenai*, Romania t. XI. (1882) p. 519 et t. XIV (1885) p. p. 82-93

١٩١ منه انه « برسم الولد توما ابن جرجس الراسي من اهالي قرية الراس المحروسة »
وتحت ذلك :

« نظر في هذا الكتاب الشريف الفقير اليه خليل ابن عطاالله يكنا بابن
« الراعي . ويسال لكل (واقف) على هاذِ الاسطر الحقيرة يدعي له في المغفرة
« له ولوالديه الى جميع الشعب المسيحي الارطكسي المستقيم الامانة . وجرى
« ذلك نهار السبت ثاني جمعت الصوم المقدس في سنة الف ماية خمساً وثلاثين »
(للهجرة = ١٧٢٢ م) . ولا يبعد ان يكون الكتاب المذكور والمجموع كله من القرن الخامس عشر طبقاً لرأي المستشرق البارون دي سلان

الثالث في صدر مجموع قبطي عربي رقم ١٥٥ من خزانة باريس يتضمن ١٣ خطبة او خبراً لعدة قديسين واساقفة في العذراء البتول كتب في جزيرة رودس المحروسة سنة ١٢٠٢ للشهدا اي سنة ١٤٨٦ للميلاد . وهذا التاريخ مسطور ايضاً في ختام خبر الاعجوبة صيدنايا . وهذا الاصل اقدم الاصول العربية كلها المعروفة اليوم واوثقها . وهو كما قلنا رواية الاقباط . وقد علق على هامشه احد كهنتهم حاشيتين الاولى في اليمين كتب فيها « لا يكون في حل من قبل الله كل من يقرا هذا الخبر في كنيسة »، والثانية في الشمال كرر فيها القول « محروم ثم محروم كل من يقرا مثل هذا الخبر الكذب في كنيسة » . وتحت كل منهما توقيعه بخط يده « القمص جرجس الحكيم » . وهذا الخبر يشغل اثنتي عشرة صفحة من صفحات المجموع

الرابع محفوظ في المخطوط رقم ١٧٠ من خزانة الفاتيكان . وهو « كتاب عجايب السيدة العذرى الطاهرة مرتمريم وجميع سيرها المقدسة » . كان الفراغ من كتابته « يوم الاحد المبارك الرابع من شهر ابيب المبارك سنة

الف واربعماية خمسة وثلاثين للشهدا الاطهار . الموافق ذلك الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة الف وماية واحد وثلاثين هلالية » (١٧١٨ م) . وفيه من الصحيفة ٢٣٦ الى ٢٤٦ « ميمر وضعه الاب القديس المكرم الطوباني انبا كيراص اسقف المدينة المقدسة بايروشليم من اجل قونت الست السيدة مرتمريم الطاهرة الكاينة بدير صيدنايه . وهي قرية من اعمال دمشق . وكيف كان بدو امرها . وبعض العجايب الذي اظهرهم الاله منها عند دخولها الى هذا الدير . الذي هو العاشر من شهر توت المبارك . بركاته تحفظ المهتم والناسخ والقاري والسامع . امين »

وقد عارضنا هذا الاصل بالثاني والثالث السابقين فاذا هو يكاد يكون مأخوذاً بالتمام عنهما . الفاتحة من الثاني . والخبر والخاتمة من الثالث فليس فيه من ثم ما يؤثر

الخامس مكتوب بالقلم الكرشوني في جملة مشتملات المجموع السرياني رقم ٢٠٢ من خزانة الفاتيكان من الصحيفة ١٩٨ الى ٢٠٣ اوله :

« خبر ايقونة ستنا السيدة العذرى الطاهرة مرتمريم البتول في صيدنايا وما جرى فيه . نعرفكم يا اخوة ان صيدنايا قرية من معاملة دمشق . . . »

وقد علق عليه السمعاني في برنامج المخطوطات السريانية (ص ٤٥٨ ـ ٤٨٤) شرحاً وافياً باللاتينية اورد في مقدمته من اخبار صيدنايا ما نقلنا بعضه في ما تقدم من كلامنا على اللغة السريانية . وهو كالسابق ليس فيه جديد يستفاد . او قديم يستعاد

وقد رأينا ان ننشر هنا الاصلين الثاني والثالث حرصاً على ما فيهما من الاشارات التاريخية . وهذا نص كل منهما بالحرف الواحد

الاصل الثاني

« بسم الاب والابن والروح القدس اله واحد

« نبتدي بعون الله وحسن توفيقه نكتب يسيراً من عجائب الست السيدة
« المجترحة في صيدنايا وتجسدها . شفاعتها تكون معنا وتحرسنا من العدو امين

« نعرفكم يا خوة ان صيدنايا قرية من اعمال دمشق ونعلمكم كيف كان
« تجسد هذه الايقونة المقدسة ونوضح لمحبتكم بعض الجرائح الذي ظهرت منها
« ونحن متوسلين بشفاعتها ان نكون في يوم الدين من اهل اليمين وان نحظى
« بالصفح مع جملة القديسين امين

« المجد لله الذي جعل في المجد رضاه واختص لمجده ملائكته ومن احبه من
« عباده . المثلث في معاني (ص ٥٨) اقانيمه الروحانية . وخواصه العقلية . رب
« البرايا . وعالم الخفايا . الذي لا تبلغ الاوهام كنه معرفته . ولا تدرك حقيقة
« جوهريته . المتعالية عن النعوت والصفات . خالق الارض والسماوات . ديان
« الاحيا والاموات . الذي هدانا الى الامور كلها وارشدنا الى ما يخلصنا من
« المحذورات . واظهر لنا مواقع منفعتنا وبيَّن لنا مواضع خلاصنا بما يجب علينا ان
« نقصده وان كنا نقصر عن بلوغ نهايته فله السبح والمجد امين

« وبعد ان الانسان يتكبد الجهاد عن الارضيات ولاسيما اذا رأى ربحاً . فكم
« بالحري ينبغي لنا ان نواقع الجهاد في الروحيات. فلعلنا ان نربح شيئاً ونضاعف
« الذي اودعه الرب الينا اضعافاً كثيرة . فان الفلاح انما يصبر على الحر والبرد لعله
« ينال ربحاً يسيراً . كذلك المسافر لا يفكر باسباب المكاره اذا لحقته الاهوال.
« وقطع الطرقات . وما يجري عليه من الحوادث . وكذلك الصياد فانه انما يتهاون
« ببرد الماء لعله ينال صيداً . فاما العناية بالاقوال الالهية فاقول ان ليس فيها حزن
« ولا تعب ولا نصب ولكن رجاء وسرور . وهو كنز (ص ٥٩) الى الدهر
« مذخور . فكيف ينبغي لي ان اتوانى فيها وخاصة اذا رأيت مثابرتكم
« وحرصكم وانتم محبين ان تعلموا ابتدا خبر تجسد صورة السيدة التي قد ظهر
« فيها الآيات العظيمة والقدرة العجيبة التي بها تنال البركة وبها تنزل النعمة
« بشفاعتها معنا امين

« يا اخوة اعلموا وتحققوا انه كان في هذا الدير الذي هو كان مسكناً

« للرهبانات الذي هيكله على اسم السيدة انه كان فيه راهبة فاضلة قديسة نفيسة
« تقية نقية ملازمة العفة والطهارة . ومثابرة على الصوم والصلاة والنسك . وكان
« اسمها مارينا . وكانت تقبل الضيوف والغرباء ببشاشة روحانية . وتكرمهم
« غاية الكرامة . وفي سنة الف ومايتين واثني عشر للاسكندر[1] طرقها رجل
« راهب خيّر عفيف ناسك تقي نقي طاهر مجمل بجميع انواع الطهارة اسمه انبا
« تاودورس . وكان عزم على التوجه الى البيت المقدس لان هذا الموضع مدرج
« لكثرة القوافل الاتية من الشرق . فقبلته الراهبة احسن قبول واكرمته غاية
« الكرامة . فاقام بالدير ثلاثة ايام . فلما عزموا رفقته على الرواح طلب الى
« الراهبة (ص ٦٠) وسألها وقال صلي عليّ فاني مسافر اتبارك من المواضع
« المقدسة التي ببيت المقدس . واستعرضها . واقسم عليها ان تستقضيه بحاجة الدير .
« فاجابته الى سؤاله وقالت له اشتهي من قدسك تأخذ هذا الشيء اليسير تشتري
« به لهذه الكنيسة ايقونة تكون فيها صورة السيدة . فابى ان ياخذ منها شيئاً .
« بل قال صلي علي . وفارقها . ومضى وشاهد جميع المواضع الشريفة وتبارك منها
« وقضى سائر حوائجه . واراد المسير . خرج عن البلد مقدار رمية سهم . واذا
« صوت يقول نسيت ما اوصتك به الراهبة . فصار في حيرة عظيمة (ص ٦١)
« ولم يعلم من اين جاءه الصوت بل انه انثنى وعاد الى المدينة المقدسة . فوجد
« هناك قوناً كثيرة . فلم تعجبه غير هذه الايقونة لان كان عليها نعمة فايضة .
« وجماعته واقفين يشاهدون حسنها . فاعطى الراهب ثمنها وخرج مسرعاً يلحق
« رفقته . وساروا تلك المرحلة . فاخذ الراهب القونة ولفها في قطن ودرجها في
« منديل رفيع ووضعها في مخلاة

« وفي غد ذلك اليوم وهم سائرون وقع عليهم حرامية وارادوا قتله واخذ
« ما معه . فسمع صوتاً يقول له اعبر ولا تخاف . فعبر بين ايديهم ولم يضع احد
« يده عليه . وكان بوادي الجيب . فلما وصل نابلس صاحب اقوام اخرين وبعضهم
« يريد السفر في البحر . وبعضهم في البر . لان الطريق كانت مخيفة جداً من
« الوحوش وقطاع الطريق فسار (ص ٦٢) بعضهم في طريق الناصرة . فسار

(١) ٩٠٠ للميلاد

« معهم . وكان في الطريق اسد . فلما رأوه خافوا خوف شديد . فخاطبه الصوت
« من المخلاة « اعبر ولا تخاف » . فقوى قلبه وشجع اصحابه . فصوت اخر
« ينتهر الاسد ويقول ليس لك عليهم قدرة واذا بالاسد نكس راسه وانهزم . وان
« الراهب لما راى خلاصه من الحرامية والاسد تعجب . وازداد في القونة رغبة
« وقال في نفسه اخذ هذه القونة لتكون لي بقية امانة لا على سبيل الخيانة .
« فوصل الى الناصرة وتبارك من الاثارات المقدسة وقصد يسير مع السائرين الى
« عكة ويركب في البحر ولا يعبر على قرية صيدنايا . فاصاب مركب سائراً
« فهاج عليهم ريح عاصف وكادوا يغرقوا وايسوا من الحياة وابتدوا يرموا
« قماشهم . واذا بصوت من تلك المخلاة يقول لا تخاف فاني انا معك وسكنت
الرياح وهدت الامواج . فلم يشعروا الا والمركب رجعت للموضع الذي اقلعت
« منه . ففكر الراهب في نفسه ان ذلك من رغبته في القونة فاستصحب
« رفاقه ودخل الى طبرية ووصل الى دمشق ومنها الى صيدنايا . ولم يعلم
« الراهبة بنفسه ولا هي ايضاً عرفته من كثرة الطارق . فبات تلك الليلة وهو
« يطلب من الله يغفر خطاياه وقام حل المنديل عن القونة فوجد القطن مبلول
« والمنديل غير مبلول واذا الايقونة مكللة بالعرق ففرح وقال في نفسه
« اخذها معي اينما توجهت . فاخذ القطن رده الى مكانه ولفها بالمنديل ووضعها في
« المخلاة كما كانت . وودع الراهبة وخرج يطلب الباب فلم يجده . فعاد الى
« موضعه فنظر الباب مفتوح (ص ٦٢) وكان اذا جاء للباب لم يجده واذا جلس
« موضعه يصيبه مفتوح . واقام هكذا ثلاثة ايام والراهبة متعجبة منه .
« وتجيب له ما يأكل ويشرب . فما كان يذوقه . فظنت انه مختل . فتقدمت
« اليه وقالت له . ما الذي يؤلمك وما الذي تشتكي . وانه سلم عليها وعرّفها
« بنفسه واخبرها بجميع ما جرى له وبالاصوات الذي نادوه الى اخر وقت .
« فلما فرغ حديثه . فسبحت الله وصنعوا مطانيات لبعضها . واخرج لها الايقونة .
« ففرحت بها فرحاً عظيماً . فلما مسحوها من تكلل العرق وهو برائحة زكية
« فقال لها الراهب اريد منك حفظ هذه الايقونة والقيام في خدمتها كما
« يجب . فوضعوها في طاقة مطينة بالتراب . وكانت ترشح بزيادة الى ان كان
« يخرج حتى يقع على الارض . وان الراهب اقام في خدمة الموضع الى ان مات

« وقبر خارج الكنيسة بشمال، وكذلك الراهبة، وتناشت الرهبان رجال ونساء

« وفي سنة الف وثلثماية وسبعين للاسكندر[1] حضر انبا موسى مطران من ديار
« القسطنطينية ليتبارك من الايقونة . ولما ابصر الحيل ينزل على الارض فانكر
« على الراهب يوحنا ونقل الايقونة من ذلك الموضع . واخذ المطران البركة .
« وانطلق وهو يسبح الله . واما الراهب زخرف الموضع بالرصاص . وعمل فيه
« صينية في الطاقة . وفي الصينية جرن رخام . وفي صدر الطاقة منديل حرير
« مرقوم بغزل دهب . وكان هناك كاهن يدعى مرقص . عمل قداس . فقال له
« الراهب يوحنا قبل ان تنزع البدلة انقل الايقونة من هـذه الطاقة (ص ٦٣)
« الى هذه الاخرى . فكانت رجفة من زَعَف (مثل سعف) النخل اذا هزها
« الهوا حتى ان الحاضرين ظنوا ان الدنيا تنطبق عليهم . وان القسيس يبست يديه .
« واعتقل لسانه من الفزع . واقام ثلاثة ايام وتنيح . فلما راوا ذلك امروا ان لا
« يخدمها الا راهب بتول . او راهبة عذراء . وصار يظهر فيها في هـذا الدير
« المذكور قوات عظيمة في كل وقت من شفا الامراض والاسقام . وكم من اعمى
« ابصر . واصم سمع . واخرس نطق . وزمن فقام . ومحموم شُفي . ومجنون
« بري . وان تشفي كل الامراض وتقضي كل الحوائج وكل من يجي لها بامانة واخذ
« منه، زاد عنده وفاض وبغير امانة فلم يزيد عنده ولا ينقص . وتظهر الايات
« والعجائب في بيوت كل من ياخذ بامانة صحيحة

« فاذا كان هذه الصورة شاع في البلاد وسائر المسكونة وعرف فضلها
« ومعجزاتها وقوتها، واشتاق كل احد الى نظرها، والتبرك منها، فسبيلنا ان نزيد
« في كرامتها . والتحفظ بها . والافتقاد لها بالادهان الفائقة، والروائح الطيبة،
« والشمع الفاخر، والزيت النقي . ونبعد عنها الردية ودفن الموتى عندها . وكان
« المعتني بهذا الخبر الراهب يوحنا المقدم ذكره . ويغفر خطايانا وخطاياه ويسكنه
« مع صديقيه واصفياه بشفاعة السيدة ام النور . وماري موسى وهرون . وجميع
« القديسين امين . ونسأل ربنا والهنا ومتولي خلاصنا . يسوع المسيح ان تكون
« نعمته حالة عليكم، كباركم وصغاركم، وشيوخكم وشبانكم . وان

---

(١) ١٠٥٨ للميلاد

« يغني فقراكم . ويستر حريمكم . ويبارك في (ص ٦٤) منازلكم . ويثمر
« ارزاقكم . ويحيي اولادكم . ويدفع عنكم الوبا والبلا، والقحط والغلا .
« ويقيكم الافات . ويعافيكم من سائر العاهات . ويحوطكم بالنعمة الالهية .
« ويدبركم ويكثركم بالامن والطمانية بشفاعة الست السيدة ذات الشفاعات .
« معدن النقا والبركات، ام النور والدة الاله . والقديس المجيد ماري جرجس
« ومار يوحنا المعمدان وجميع القديسين آمين

« تمت عجوبة ايقونة الست السيدة مرتمريم الطاهرة بصيدنايا بسلام من الرب امين

« وكاتبها الخاطي المرذول العاجز . يصنع المطانية تحت اقدام كل واقف
« عليها . ان يذكره بالرحمة ويستر عيبه ويصلح غلطه . والرب يعوض ما يقول،
« وافعاله اضعاف ذلك، بشفاعة مرتمريم الطاهرة امين » (ص ٦٥)

الاصل الثالث

« بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد

« نبتدي بمعونة الرب سبحانه وحسن توفيقه بشرح الاعجوبة العظيمة الذي
« ظهرت بناحية صيدنايه من الام المباركة الراهبة الطوبانية العابدة لله تعالى القديسة
« المجاهدة مارينا الرئيسة بدير الامهات في اليوم المبارك . بركاتها علينا يا اباي واخوتي
« امين

« قال المجد لله المحقة كلمته . العزيزة قوته . العالية قدرته . الشاملة عباده
« المؤمنين برحمته . فاتح ابواب الرحمة بعد ارتتاجها . مشفي اوصاب النقمة بعد
« عسر علاجها . مانح من صبر افضل المطالب . واهب من شكر له في السراء
« والضراء اجزل الرغائب . مخلص المتوكلين عليه من بوايق الضوايق واسباب
« النوائب . منجي المساكين والبائسين . منقذ الهالكين والآئسين . المانّ على
« عبيده بشفايهم . المتدارك ارماق شعبه عند اظلالهم على الاياس واشفايهم .
« الذي لا يدوم الى الابد حقده . ولا يخلف على طول الامل وعده . ولا يخيب
« رجاء من توكل عليه بصدق النية . ولا يرد دعوة من دعاه بنقاوة الضمير وحسن
« الطوية . الجايد علينا معشر الثابتين على الامانة المستقيمة باحسانه . الصافح

« (ص ٢) عن اثامنا السالفة بعفوه وغفرانه . ليس باعمال بارّة قدمناها . ولا بتوبة
« نقية اسلفناها . ولا بدموع مرة اسكبناها . ولا باقلاع عن العادات المذمومة
« التي الفناها . بل برحمته خاصة احيانا . وبرافته رد وجهه الينا ولم يذكر خطايانا .
« وبمنته اجتذبنا الى بيعته وما اقصانا . رحمة منه فايضة على جماعة المسيحيين،
« وتبصرة لنا لنكون من المعتبرين، ولكيما نعلم ان من رجاه بالصبر تعطف عليه .
« ومن طلب منه بالفكر نظر اليه . ونتحقق قوله الحق انه يكون معنا الى
« الابد والدهر . ويصدق قول نبيه المغبوط ان حافظ اسرائيل الذي يحفظنا لا
« يغفو ولا ينام . نشكره على ما افاضه علينا من جلابيب نعمائه . وجلاه عنا من
« غرابيب ظلم الشيطان المحال وظلماته . ووهبنا من رحمته التي احيا بها النفوس .
« وازال بها العكوس . ورفع بها من الذل الرؤوس . وفتح لنا ابواب بيعته
« المغلقة . وفك اعناقنا من رباط الخطايا التي بها كانت متطوقة . ومنّ بافتداء
« رعيته من عبودية الطغيان . لتكون من اسره وقسوه مطلقة . واطلق السنتنا
« بعد خرس الهموم فها هي بتسبحته منطلقة . ونقدسه اناء الليل واطراف النهار .
« ونمجده تمجيد من عرف قدر هذه النعمة العظيمة المقدار . فله المجد والعزة
« والاكرام . والقوة والجبروت والسلطان . من الان وكل اوان الى دهر الداهرين
« امين

« قال كانت امرأة قديسة عابدة لله تعالى . قايمة بالصلاة والصوم الليل والنهار .
« تسما مارينا . وكانت رئيسة على دير رهبانات بصيدنايه . وكانت تقبل اليها
« (ص ٣) كل غريب وكل ضيف ببشاشة روحانية . وتكرمه غاية الاكرام .
« وفي سنة الف ومايتي واثني عشر للاسكندر الماقدوني[1] حضر الى هذا الدير
« راهب خيّر . عفيف . ناسك . طاهر . مجمل في انواع الطهارة . اسمه تادرس .
« وكان قاصد الزيارة لبيت المقدس . ليصلي في تلك المواضع الشريفة . وكان
« في الموضع الذي كان معتاداً بالناس يأوون فيه، جماعة كبيرة، وقوافل عظيمة
« من المشرق . وانها قبلت هذا الراهب احسن قبول . واكرمته غاية الاكرام .
« فاقام بالدير ثلثة ايام . فلما عزم على المسير . قال للراهبة صلي علي ايتها الام
« المباركة . فانني ماضي اتبارك من المواضع المقدسة في بيت المقدس . وكان

(١) ٩٠٠ للميلاد

« لكم هناك حاجة . فانا اتي بها معي بعون الله . فاجابته الراهبة المباركة قائلة
« اشتهي من قدسك يا ابي ان تأخذ مني شيء من الدراهم . تشتري لهذه الكنيسة
« قونة . يكون فيها تمثال صورة الست السيدة مرتمريم . وانه وعدها انه يأتي
« اليها بما طلبت . ولم يأخذ شيء من الفضة . ثم انه مضى الى بيت المقدس وتبارك
« من جميع الاماكن الشريفة . فلما همّ بالرجوع عائداً الى بلاده . وخرج عن
« البلد تقدير ميل واحد . واذا صوت ينادي قائلاً له « يا تادرس انسيت ما
« اوصتك به الراهبة المباركة » . عند ذلك بقي في حيرة عظيمة ولم يعلم من اين
« جاءه الصوت . بل انثنى عائداً الى المدينة المقدسة . فوجد هناك قون كثيرة .
« فوقع غرضه على هذه الايقونة المقدسة . الذي تكلمنا لاجلها فراى عليها نعمة
« فايضة وبهاء عظيم . وجمال (ص ٤) بديع . حتى ان كل الوقوف كانوا شاخصين
« لها . ثم ان الراهب دنا منها . وقبلها . ووزن ثمنها . وانه لفها في قطن .
« ودرجها في منديل نضيف نقي . ووضعها في مخلاة كانت معه . ثم خرج مسرعاً
« حتى يلحق رفقته

« فلما كان غد ذلك اليوم وهم سائرون . اذ وقع عليهم لصوص وارادوا
« قتلهم . ونهب ما معهم . فلما ايقنوا القوم بذلك . اذ صوت ينادي من المخلاة .
« قائلاً « اعبروا ولا تخافوا » . فعبر بين ايديهم هو ورفقته . فلم يطرح عليهم
احد منهم يد . وكان ذلك في موضع يعرف بوادي الجيب . فلما وصل نابلس
« رافقه جماعة الى الناصرة . فبينما هم في الطريق . اذ قد خرج عليهم اسد كان
« يقطع السبيل على كلمن سلك ذلك المكان . فلما نظروه . وقع عليهم خوف
« شديد . ورعبوا رعباً عظيماً . فلما ايقنوا بالهلاك والتلاف . واذا صوت من
« المخلاة يقول « اعبروا ولا تخافوا » . فعندما سمع ذلك الصوت، اشتد قلبه،
« وقوى عزمه، وبدى يشجع اصحابه . واذا بفارس عظيم مضروب اللثام يجر
« الاسد كمثل واحد يجر البهيمة . ويقول له « ليس لك عليهم سلطان » . فنكس
« الاسد راسه، وولّا منهزماً . فلما نظر الراهب ما فعلت الايقونة من حديث
« اللصوص والاسد وخلاصهم منهم، تعجب عجباً عظيماً . وانه لما نظر تلك
« العجائب رغب في الايقونة رغبة عظيمة وفكر في نفسه قائلاً . لاخذت هذه
« القونة لتكون لي عوناً وحصناً منيعاً (ص ٥) في اوقات الشدة . فلما وصل

« الى الناصرة وتبارك من اثارات السيدة البتول . ثم انه عزم الى عكا ليركب
« في البحر، قصدُه ان لا يدخل قرية صيدنايا لاجل محبتهِ في تلك الايقونة
« فعند وصوله الى عكا وجد مركباً مقلعاً فركب فيه . فلما ان لججوا في
« البحر هاج عليهم ريح عاصف . حتى اشرف ذلك الراهب على الغرق هو
« ومن معه من عظم تلك الشدة وذلك الهول العظيم . فلما ايقنوا بالهلاك، رموا
« ما معهم من القماش . ولم يشتهي الراهب ان يفرط في تلك الايقونة . وانه
« تحير، ولم يدري ماذا يصنع . وفيما هو كذلك واذا بصوت خارج من
« المخلاة قائلاً له « لا تخف فاني معك » . وعندما سمع ذلك الصوت سكن
« الريح . واذا المركب قد ارسى في الموضع الذي اقلعوا منه فعلم ذلك الراهب
« ان الذي اصابه بسبب رجوعه عن الطريق . ورغبته في اخذ القونة . وللوقت
« عاد مع رفقته . وسار حتى اتا الى دير صيدنايا بتدبر الله . ودخل الكنيسة وصلى
« الصلاة المفروضة . وانه لم يعرّف الراهبة بنفسه . وهي ايضاً لم تعرفه . لاجل
« كثرة الجموع المترددين الى ذلك الدير . فلما استراح وبات تلك الليلة يصلي
« ويطلب ويتضرع الى الله تعالى ان ينجح مساعيه، ويعينه على خلاص نفسه،
« ويستجيب طلباته . فلما فرغ من صلاته افتقد الايقونة المقدسة، واذا القطن
« الذي كان عليها مبلول . فتعجب من ذلك عجباً عظيماً، وصار مفكراً في امر
« الايقونة، ويتفرس فيها، واذا هي مكللة بالعرق . فابتهج عند ذلك، وفرح
« وتهلل وجهه . (ص ٦) وقال في نفسه ان هذه الايقونة لا افارقها ابداً وهي التي
« توصلني الى بلادي سالم . وعزم على اخذها معه لقوة ايمانه بها لاجل الايات الظاهرة
« منها . ثم انه لفها وردها الى المخلاة . وودّع الراهبة واخذ صلاتها وحمل المخلاة
« وخرج يطلب الباب فلم يجد مكانه . ثم رجع عائداً الى داخل الدير، وتفرس
« ناظراً الى مكان الباب، فوجده مفتوحاً . وصار كلما هم بالخروج من الدير يغيب
« عنه مكان الباب ويصير كانه مسدود . ولم يزل على هذه الحالة ثلثة ايام . والراهبة
« مفكرة في امره . متعجبة من تعويقه . وكانت تاتي اليه بما ياكل ويشرب . وكان
« لا يشا الاكل ولا الشرب . فظنت الراهبة انه قد اختل في عقله . ثم تقدمت
« اليه برفق قائلة له « ما الذي يولك يا ابي واي شي تشتكين . » فنهض عند
« ذلك من وقته، وسجد بين يديها قائلاً « اغفري لي ذنبي لاجل الاله . فانني

« انا هو الذي كنت عبرت بكم من زمان كذا وكذا . واوصيتيني لاجل مشترى
« قونة برسم الدير . » وللوقت عرفته من ساعتها . ثم شرع يحدثها بجميع ما
« كان من عجائب الايقونة ورجوعه بسببها، وما اتفق من اللصوص والاسد،
« واهوال البحر، وسماع الصوت الذي خاطبه منها مراراً، ورجوع المركب الى
« موضعه، وجميع ما عزم عليه لرغبته فيها، وكيف عاد الى الدير . وكيف اخفى
« نفسه منها . وكيف فتح المخلاة . ووجد العرق قد جلل الايقونة، وكيف بل
« القطن . وانه فتح بين يديها المخلاة واخرج تلك الايقونة العجيبة المذهلة للعقول .
« وحين ابصرت تلك الراهبة المباركة ذلك العرق على تلك الصورة العظيمة الجليلة
« (ص ٧) ابتهجت ابتهاجاً عظيماً وسبحت الله ومجدته . وحصل لها خوف ورعدة
« وفزع ودموع غزيرة . ثم اقبلت تمسح تلك الايقونة بمنديل كان معها وهي تعود
« تتكلل بالعرق . وكانت رائحة ذلك العرق زكيه جداً . ثم ان اولئك الراهبات
« العفيفات المباركات حملوها ووضعوها في طاق غير مبنية

« ثم ان الراهب قال لتلك الراهبة المباركة مارينا « ها انا اتيت اليك بهذه
« القونة العظيمة التي عليها تمثال الست السيدة . واخبرتك بجميع ما اتفق منها من
« العجائب والقوات . والسيد المسيح شاهد علي انني لم ازيد فيما اخبرتك به ولا
« انقصت . وها الجماعة الذين كانوا صحبتي حاضرين معي في هذا المكان » .
« وانهم اجتمعوا جميعاً وشهدوا بمثل هذا الكلام . وكان فيهم جماعة اساقفة وقسوس
« وشمامسة قديسين ونساك طالبين خلاص نفوسهم . وكان ذلك اليوم الذي اقاموا
« فيه هذه الايقونة المقدسة في هذا الدير المبارك اليوم السادس من ايلول الموافق
« للعاشر من شهر توت . وان ذلك الراهب قال لتلك الراهبة المباركة ايضاً يجب
« عليك ايتها الاخت المباركة القديسة ان تجتهدي في خدمة هذه الايقونة ليلاً
« ونهاراً كما يجب لها . ثم ان ذلك العرق تزايد حتى انه كان يسيل ويقطر على
« الارض . وان ذلك الراهب المبارك تادرس اقام في خدمة ذلك الدير الى ان
« تنيح فيه ودفن خارج الدير بجوار الكنيسة في الجانب القبلي والراهبة (ص ٨)
« المباركة مارينا الصالحة تنيحت بعده ودفنت بجانبه بسلام

« ولما كان في سنة الف وثلثماية وثلثة وسبعين للاسكندر[1] حضر في هذا

(١) سنة ١٠٦١ للميلاد

« الدير من مدينة القسطنطينية مطران اسمه انبا موسى، اتى ليتبارك من الايقونة
« المقدسة عندما سمع بخبرها . فلما عاين هذه القدرة الطاهرة والدهن ينزل على الارض
« تعجب عجباً عظيماً وقال لا يجوز ان يسيل هذا الدهن وينزل هذا الحيل على
« الارض، بل تنتقل هذه الايقونة المقدسة العجيبة الى موضع واسع . ويحفظ ما
« يفيض من البركة ليستشفي بها كلمن يقصدها . وكان مقيماً بالدير في ذلك
« الوقت راهب اسمه يوحنا فقبل ما اشار به عليه المطران المشار اليه . وبعد ذلك
« انتخب لها الراهب موضع شريف . فعمل فيه طاقة عظيمة . وزخرفها بالرخام
« والجص . وعمل جوف الطاق صينية كبيرة جداً من الرخام . ووضع في وسطها
« جرن رخام . وعمل في صدر الطاقة مسند حرير مرقوم بالذهب . وكان في ذلك
« الوقت كاهناً اسمه مرقص مقيماً بالقرى المجاورة للدير . فعمل ذلك اليوم القداس
« واكمل خدمته ثم تقدم ومعه جماعة من الناس من كل الجنوس الذين كانوا
« حاضرين وبايديهم الشموع والبخور والصلبان . فحمل القس مرقس المذكور
« الايقونة الشريفة على ذراعيه ليدور بها الكنيسة وحول الدير . فبينما هم كذلك
« واذا زلزلة عظيمة قد زلزلت الارض حتى كاد الدير ينطبق على كل الحاضرين .
« وكانوا يسمعوا من جوف الصهريج الذي في وسط الكنيسة اضراب شديد في
« الماء وانزعاج عظيم مثل صوت الرعد الهائل . حتى ان كل الحاضرين فزعوا فزعاً
« عظيماً (ص ٩) شديداً وظنوا ان السماء انطبقت على الارض . فلم تزل الارض
« ترجف حتى وضعها ذلك القس من يده في المكان الذي كانت فيه . وحين
« وضعها في مكانها اعتقل لسانه من الفزع . وصار لا يستطيع ان يمد يده ولا
« يجمعها . فاقام على هذه الحالة ثلثة ايام . ثم مات بعد ان قاسا صعوبة كبيرة في
« خروج نفسه . وسمعوا في ذلك الوقت صوتاً من تلك الايقونة المقدسة يقول
« لا تمكنوا احداً من الناس المقيمين في هذه الاماكن والآتيين اليه ان يغير هذه
« الايقونة من هذا المكان . ولا تدعوا احداً يخدمها من الاقوام العلمانيين . فلما
« سمعوا ذلك الصوت فزعوا فزعاً شديداً وتعجبوا عجباً عظيماً لما رأوا هذه القدرة
« العظيمة . وامروا ان لا يخدمها الا راهب بتول او راهبة عذرى . ومن تعدى
« ذلك يكون تحت اللعنات الخارجة من فم الاله جل اسمه على القوم المخالفين

« واما ما اتفق من القوات العظيمة والبراهين الجسيمة والمعجزات الطاهرة في

« إشفاء كل الامراض والاسقام لكل الآتين الى هذا الدير وقبول دعا كل من
« يتوسل بالست السيدة العدرى ومن ياخذ من ذلك الحيل بامانة فانه يفيض في
« منزله في يوم تذكار الايقونة المقدسة في كل سنة . ويكون له منجي ومخلص
« من كل الامراض والاوصاب وسائر العاهات . ومن ياخذ منه بغير امانة فلا
« ينتفع به ويحصل له الضرر الكثير المستعاذ منه . فشاع خبر هـذه الايقونة
« المباركة في كل الاقطار وعرفوا كل الخلايق قوتها وصح عند الملوك والاعوام
« فضلها ومعجزاتها وصار كل احد يشتاق الى مشاهدتها ويسعى الى (ص ١٠)
« الاستشفاع بها

« فسبيلنا ان نزيد في اكرامها . ونتضرع اليها ان تجعلنا مستحقين للدخول الى
« ملكوت السموات . وتزيل عن قلوبنا الشكوك والشبهات، والتهاون في اداء
« فرايضها، لانها قد استحقت من الاله كل النعم الجزيلة التي تعجز الالسنة عن
« وصف اليسير من بعضها . طوباها لانها افضل من كل البشر . طوباها لان غبريال
« الملاك اتاها مبشراً بكلمة الاله المنتظر . طوباها لانها سمعت الصوت بالسلام
« الالهي . طوباها لان الروح القدس حل عليها وظللها قوة العلي . طوباها لانها
« ولدت الغير محوي . طوباها لانها حل فيها الجالس على الشاروبيم . طوباها لانها
« صارت كرسياً للمهلل والمرتل من السارافيم . طوباها لانها صارت المصباح الذي
« اشرق فيه نور اللاهوت . طوباها لانها صارت الباب الشرقي الذي فتحة الرب
« الصاباووت . طوباها لانها الكرمة الزاهرة الطالع منها عنقود الحياة . طوباها
« لانها صهيون الظاهر منها منجي الخطاة . طوباها لانها كنز الحق الذي ظهر
« منه السر الخفي . طوباها لانها صارت ام الحياة كما اعلن ذلك اشعيا النبي . طوباها
« لانها هي المركبة المشاهد لها حزقيال . طوباها لانها قدس القديسين الساكن فيه
« عمنويل . طوباها لانها الملكة والدة الله المتحنن على كافة الخلايق اجمعين . الذي
« اياه نسال ان ينير عقولكم . ويحفظ انفسكم واجسادكم . ويحل بركاته
« على دراريكم . ويلهمكم العمل بطاعته والتمسك بوصاياه ومحبته . ويحسن
« لكم العقبى في الدنيا والاخرة . ويوقيكم من مكايد العدو (ص ١١)
« المحال وجنوده المتظافرة . ويجعلكم اهلاً للوقوف عن يمينه في يومه العظيم
« المرهوب . ويبلغكم امثال هذا العيد المبارك سالمين من كل المكاره والعيوب،

« سنين عديدة، واعوام متصلة مديدة، وانتم فائزين بالاعمال المرضية، فرحين
« مسرورين مساهمين الملائكة النورانية . ويستجيب صلواتكم . ويغفر آثامكم .
« وينيح انفس اسلافكم . ويمنح الصحة لمشايخكم والعفة لشبانكم، والنشاة
« الصالحة لاطفالكم . ويخضع لكم الاعداء المناصبين لكم . وان يقيم قرن
« المذهب المسيحي ويخذل اعداء البيعة، ويجعل كيدهم راجعاً على رؤوسهم
« ويدخلكم في زمرة الابرار . ويجعل لكم حظاً ونصيباً مع كافة مختاريه
« الاطهار . ويجعلكم مستحقين لسماع الصوت المملو فرحاً القايل تعالوا اليّ
« يا مباركي ابي ارثوا الملك المعد لكم من قبل انشاء العالم، ما لم تراه عين ولم
« تسمع به اذن ولم يخطر على قلب بشر . بشفاعة الست السيدة والدة خلاص
« العالمين المتجسد منها لاجل فكاكهم من الاعداء المتمردين . وكافة الشهداء
« والقديسين . الان وكل اوان والى الابد امين . ولله المجد دائماً وعلينا رحمته
الى الابد امين

« نجز هذا الخبر المبارك العالي في العشرين من شهر بوونه المبارك سنة الف
« ومايتين واثنين للشهداء الاطهار رزقنا الله شفاعتهم امين

« وكان كتبه بجزيرة رودس المحروسة المويدة بنعمة الروح القدس امين »

ومن مقابلة هاتين الروايتين برواية المشرق يتبين ان القصة واحدة في الاصول العربية كلها لا تختلف شيئاً في معناها، بل تتفق كثيراً في لفظها ومبناها، خلا بعض تصرف قليل واختصار في الشرح والتفصيل . وليس هنالك فرق الا في اسم المطران القادم من القسطنطينية فانه في نسخة المشرق مكسيموس وفي سائر الاصول انبا موسى، ثم في سنة حضوره الى صيدنايا فانها في الاصل الاول والثاني ١٣٧٠ للاسكندر وفي نسخة الاب قسطنطين الباشا وفي الاصل الثالث ١٣٧٣، وغاية ما تتباين فيه هذه النسخ خصوصاً هي المقدمات المسوقة بين يدي الخبر، والخواتم . وهي خارجة عن اغراض

التاريخ فلا يعبأ بها . ومن تدبر نسخة المشرق وعارضها بنسخة باريس رقم ٢٦٢ وجدهما من اديم واحد تكاد تكون المشابهة بينهما حتى في العبارة . وعندنا ان متن القصة الأم هو ما ورد في الاصل القبطي رقم ١٥٥ وعنه ولاشك أخذت كل هذه النسخ المتأخرة . فكان كل من اراد ان يخطب يوم عيد السيدة يتناول منه نص الخبر ويسرده بالحرف الواحد او ببعض تصرف . بعد ان يضع له فاتحة بالعظة وخاتمة بالدعاء . يقلد فيها المثال الاصلي وينحو منحاه في تكلف السجع والفصاحة اذا لم يقتصر على النقل البسيط كما في نسخة الفاتيكان التي نبهنا عليها

وبالاجمال ان الاصل الثالث متقدم على ما سواه لتقدمه في الوضع والتاريخ . وفيه زيادات وشروح وتعيين في الزمن لا تُرى في غيره . فيجب من ثم ان يعتمد دونها الى ان يكشف لنا البحث والتنقيب نصاً سابقاً من النصوص التي كانت دون ريب اهم المصادر التي استمد منها زوار الافرنج ما رووه منذ القرن الثالث عشر

ولا بأس ان نضم الى هذه الاسانيد العربية اثرًا آخر من الآثار الدمشقية في القرن السابع عشر . وهو زجل عامي للخوري يوحنا ابن الشماس عيسى عويسات احد رجال الكهنوت المشار اليهم في عهد البطريرك مكاريوس الزعيم جمع فيه كل ما سبق تفصيله من اخبار الايقونة . وهذا نصه نقلًا عن مجلة المشرق

صيدنايا تفتخر بين البشر ذكرها دون البلاد شاع واشتهر

صار بها دير عظيم في البنا وابتنوه باسم مريم ستنا
كل من زاره فقد نال المُنى منظره يجلي عن القلب الكدر

اسكنوا فيه راهبات نعم البنات واقامـوا رئيسة للاخوات
من اكابر جنس قوم خيّرات كان لها ذكر عظيم مفتخر

الام مارينا لـقد طاب ذكرها من بقي ياتي ويصبر صبرهـا
كم اصبحت مع جلالة قدرهـا وهي لله شاكرة من غير ضجر

فحضر للدير راهب من بعيـد كي يزور القدس والقبر المجيد
احضرت له كل ماكول يريد حين ظهر من قدسه ما قد ظهر

حلف الراهب لها باسم الصليب هل لك حاجة انا راجع قريب
قالت لك عـندنا اوفر نصيب هات لنا قونة تكون احلى الصور

صورة البكر العفيفـة مريما والجزا مني ومن رب السما
اقسم ان ليس ياخـذ درهما واستقام يمشي ويسرع في السفر

واتجـه للقدس في بدو الصيام ابصر الموضع واعطاه السـلام
واندهل عقله من ذاك المقـام ثم انهى الحج وفّى ما نـذر

وانثنى راجع وقونة ما اشترى جاه صوت يذكره ما قد جرى
استمع صوتاً وشخصاً لم يرا وارتجع للقدس خائف مُنذعر

فاشترى قونة عجيبـة للانام كانها تنطق وتبدي بالسلام
تفرح القلب الحزين المستهام ادرك الرفقـة وهم اربع نفر

صادفو قوماً لصوص قطاع طريق كانت القونـة لهم نعم الرفيق
كلمتهم قائلـة جوزوا المضيق لا تبـالوا قط اصلاً من بشر

بعد هذا جا اسد قدّ البعير شبه جاموس عريض مستـدير
كانت القونة لهم نعم النصير ارعبت للسبع ولّى منقهر

اذ رأى الراهب ذا الامر المهول صوتها يرعب ويرجف للعقول
ابتدا في نفسه يفكر يقول آخذ الصورة الى جوّا البحار

فاتجه عكا مع القوم التجار واتفق معهم ولجج في البحار
ثارت الارياح وانبث الغبار ثم عجّ البحر من هول الخطر

ابصر الراهب روحه في خلاف ايقن المسكين للنفس التلاف
صاحت القونة وقالت لا تخاف صوتها للبحر والريح انتهر

بعد ساعة والسفينة مقلعة قوة الدير صيرتها راجعة
ابصروها صوب عكا طالعة ادركوا المينا لدى وقت السحر

ودع الراهب رفاقه وانفصل وابتدا يمشي سريعاً ليصل
صيدنايا بعد كلفة قد حصل ثم جا للدير وهو مستتر

اخرج القونة وهي تنضح بالعرق واشتهاها له وما راد الفراق
ثم جا للباب قصده ينطلق لم يجد مخرج ولا للباب اثر

وبقي طول النهار في الدير يدور لم يجد باباً ولا ضوءاً ينور
فاستحى الراهب وفكر في الامور وبقي جالس حزيناً يفتكر

ان قصد يخرج فالباب لم يراه وان رجع عاين خيال الباب وراه
فاتجع قلبه على ما قد دهاه اخرج القونة وهي احلى الصور

اخرج القونة واخبر الاخوات ما بلاه من صنوف النكبات
كي يفوز بالروى حتى الممات كم تعب في ذا الوجود كم صبر

كرّموا القونة بما يصلح لها وابتنوا طاقة لها في طولها
وضعوا جرن الرخام من اجلها والعرق نازل كاهطال المطر

هذا اعظم واعجب مـا جرى — صار لايقونـة خشب لحم يُرى
امرها شاع كذا بين الورى — يا شقاوة من يكذب ذا الخبر

حالها صورة وايقونـة خشب — لحم صارت ان ذا الامر عجب
آية تُكتب بماء من ذهب — ذي عجيبة في الانام دون الصور

حالهـا صورة خشب في جنتها — صار لهـا لحم رطب في لمسها
كل من جا وابتـدا يجسها — ان يكن خاطي فويله ان جسر[1]

وقد عُني بعض الشعراء الفرنسيين قديماً بنظم هذا الخبر ايضاً. اقتصر منه فيليب مُوسكت على ابيات ثمانية حوالي سنة ١٢٤١[2]. ولكن غيره توسع فيه توسعاً احاط بكل تفاصيله و نُشرت منظوماتهم في الكتب والمجلة الآتية :

— Les Miracles de Notre-Dame de Sardenay. Traduits et mis en vers (1019) par Gautier de Coincy et publiés par M. l'Abbé Pacquet en 1858

— Robert Grosseteste. Edité par Mat. Cooke dans Carmina-Anglo-Normanica, Londres, 1852. Publications of the Caxton Society

— Itinera Hierosolymitana, Publications de la Société de l'Orient Latin, Genève 1885, p. p. 261-265

— Romania t XI (1882) p. p. 519-537 et t XIV (1885) p. p. 82-83.

ومما يضاف الى جملة المصادر الشرقية التي جاءت فيهـا قصة الايقونة « شرح اعجوبة العذراء في صيدنايا » باللغـة الحبشية في مجموع في خزانة باريس رقم ١٢٦ في الصحيفة[3] ١١ . وقد فسح

---

(١) المشرق ٢٥ (١٩٢٧) ص ٣٥٥ ـ ٣٥٧

(2) Philippe Mousket. *Chronique rimée* (Itinéraires à Jérusalem publiés par Michelant et Raynaud) Genève 1882 p. 120

(3) *Catalogue des Manuscrits Ethiopiens de la Bibliothèque Nationale* 1877, p. 154

الاحباش مكاناً لذكر هذه الايقونة في كتاب اخبار القديسين بتاريخ عاشر مَسكَرَم الموافق لسابع ايلول ولكنهم توهموا ان صيدنايا في القطر المصري

ولا شك ان هذا الاعتقاد في الايقونة انتقل الى الحبش من مصر . وكان الاقباط يعظّمون العذراء جداً ويتعبدون لها كثيراً حتى بلغت اعيادهم التي خصّوها بها قديماً اثنين وثلاثين عيداً فيما حكاه عنهم الاب ڤانسلب الدومينكي في كتابه تاريخ كنيسة الاسكندرية . وعدّ بينها « عيد تحول ايقونة صيدنايا الى لحم ودم »[1]. وكانت اخبارها وما يُنسب اليها من الآيات والعجائب ذائعة بينهم، ولنساخها اقبال عليها كما يستدل من كتابتهم لها حتى في رودس كما تقدم

وقد افرد الموارنة ايضاً في سنكسارهم تذكاراً لايقونة صيدنايا بتاريخ ٢٤ اذار وهو اليوم الذي جعلوا فيه ايضاً ذكر البار ارتامون من مدينة سلوقية . وهذا نص ما جاء في الصفحة ٢٠٨ من السنكسار المخطوط بالقلم الكرشوني في كنيسة الكرسي البطريركي . وهو مختصر من الاصل القديم نقحه ورتبه المطران جرمانوس فرحات منسوخاً بقلم الخوري يوحنا عواد من قرية حصرون انتهى منه في اول نيسان سنة ١٨٤٣

« ذكر ايقونة مريم العذراء في صيدنايا . قال المعلم ازيكوس سبونداتوس « في تاريخ سنة الف وماية وثلث . انه كان في قريــة من قرى دمشق الشام « تسمى صيدنايا دير على اسم مريم العذراء وكان فيه ايقونة مريم والـدة الاله

(1) P. J. Vansleb. *Histoire de l'Eglise d'Alexandrie écrite en 1672 - 73* Paris 1677, p. 159

« معمولة على خشب قد استحالت لحماً بقدرة الاله الفايقة من عند ثدييها الى
« رأسها . وكان ينضح منها زيت يشفي من يندهن به من كل مرض . فلما بلغ
« والي الشام الهاجري خبر هذه الاعجوبة اتى يزورها لانه كان أصيب في نظره
« فعمي بالكلية . وحين دهن عينيه من زيت هذه الايقونة شفي حالاً . ولذلك
« عين لقنديلها زيتاً يسرج امامها ليلاً ونهاراً . قال المعلم ارنولدس ان هذه الآية
« افادت كثيراً في اثبات دين المسيح في الجهات الشرقية وردت مضرّة اعداء
« ايمان المسيح عن المسيحيين . واستقامت هذه الاية ظاهرة مدة دوام الشرقيين
« متحدين بايمان الكنيسة الجامعة . صلاتها تكون معنا امين[1] »

وهذه الرواية كما تُرى تعريب ونقل بسيط عن بعض مؤرخي الطليان فليس فيها اقل عبارة تشفّ عن رأي الموارنة القدماء من زوار الدير وارباب المذبح في كنيسة السيدة . وهي غير واردة في نسخة اخرى من مخطوطات الكرسي البطريركي رقم ١٦٥ يُقدر انها من القرن السابع عشر

ومن الغريب ان يسجل الاحباش والموارنة ذكراً خاصاً للايقونة في اخبار قديسيهم في حين ان سنكسار الروم البيزنطيين وهم اصحاب الدير خالٍ من الاشارة اليها

ايقونات العذراء المنسوبة الى القديس لوقا الانجيلي

من مراجعة قصص الايقونة على اختلاف لغاتها وازمان كتابتها يتضح ان ليس فيها اقل اشارة الى ان صورة صيدنايا كانت من رسم لوقا البشير . فلا يعرف بالتحقيق متى بدأت هذه الدعوى والى

(١) تلطف حضرة الاب الفاضل ابرهيم حرفوش المرسل اللبناني بمراجعة هذا الفصل واستنساخه خدمة للعلم فله منا افضل الشكر

اي سنة ترجع . وقد نقلها غير واحد من زوار الافرنج منذ اواخر القرن الخامس عشر . ولعل اول من المع اليها منهم الزائر الالماني ألريك لمان (١٤٧٢ - ١٤٨٠)[1] . وقد صرح بها بعده يوحنا كوتفيك الهولاندي سنة ١٥٩٦ ولكنه ذكر ان لوقا رسم اربع صور للعذراء محفوظة الاولى في رومة . والثانية في البندقية . والثالثة في الاسكندرية . والرابعة في صيدنايا[2]

ولا يخفى ما في دعوى اقتناء مثل هذه الذخائر من المباهاة والبركة والفائدة . ولذلك تنازعتها الاطماع في كثير من المدائن الغربية ولاسيما في الامصار المتبعة للطقس البيزنطي نظير بلاد اليونان وقبرص والكرج وروسية وبولونية فضلًا عن رومة والقسطنطينية والبندقية . حتى عدوا منها زهاء اثنتين وسبعين صورة وكل مدينة ترعم ان الايقونة الحقيقية هي في حوزتها . على ان المشهور في التقليد ان الصور المنسوبة للوقا هي ثلاث فقط زعموا انه صورها في حياة العذراء . كما نص على ذلك البطريرك مكاريوس الزعيم سنة ١٦٧١ في رسالتهِ في دحض بدعة الكلوينيين المحفوظة بتوقيعه في خزانة باريس رقم ٢٢٤ قال :

« لوقا الانجيلي زوّق ثلاثة ايقونات على اسم سيدتنا والدة الاله وبعد تكميلهم
« ذهب الى عند والدة الاله لانها كانت بعد بالحياة واخبرها بما فعله وطلب اليها
« ان تمضي معه وتشاهدهم وتباركهم . فذهبت معه . فحين نظرتهم تبسمت .
« ثم باركتهم وقالت نحوهم « النعمة التي خرجت مني وكانت فيّ تكون عليهم
« وفيهم » وهؤلاء الثلاث ايقونات فعلوا عجايب عظيمة والى الان يفعلون كذلك . . .
« ثم وايقونة العذراء مريم حين جابوها من اورشليم ليذهبوا بها الى دير صيدنايا

(1) Röhricht et Meisner, *op. cit.* p. 105
(2) J. Cotovico, *op. cit.* p. 387

« الذي هو على اسمها كيف وجدوها قد تجسدت والحيل ينضح منها دائماً . والى
« الان ذلك الحيل يفيض وصنع بها عجايب عظيمة واشياء أُخر كثيرة ظهرت من
« الايقونات المقدسة في القسطنطينية »

وبموجب هذا التقليد تكون صيدنايا حصلت على احدى هذه الايقونات الثلاث ورومة على واحدة والقسطنطينية على اخرى . وهو الشائع المشهور

وقد نقل القديس توما الاكويني في مجموعته اللاهوتية شهادة التقليد القائل بنسبة ايقونة رومة للوقا البشير . ويظهر انها مصونة اليوم في الكنيسة المعروفة باسم Santa Maria Majeure. Chapelle Borghèse حملها البابا غريغوريوس الاول وطاف بها في انحاء المدينة منذ سنة ٥٩٠[1] . وذهب آخرون الى ان صورة لوقا كانت محفوظة في رومة في كنيسة اخرى، قالوا ولما دخل رومة شارل الثامن ملك فرنسة سنة ١٤٩٥ « ذهب يوم الاثنين ١٢ كانون الثاني الى كنيسة اراتشيلي Aracœli ليحضر فيها القداس فشاهد فيها صورة للعذراء من رسم القديس لوقا في حياتها[2] » ولم يتيسر حتى اليوم ترجيح نسبة احدى الصورتين للوقا البشير

ومثل ذلك يقال ايضاً في ايقونة القسطنطينيـة . زعموا ان الملكة افدوكسية زوجة الملك تاودوسيوس الثاني لما كانت في اورشليم حوالى سنة ٤٠٠ ارسلت الى بولخارية اخت زوجها صورة العذراء من تصوير لوقا الانجيلي . وعندهم انها هي ايقونة القسطنطينية. وقد ذكر هذا التقليد تاودورس القارى في تاريخه الكنسي[3] فيجب

(1) Beadeker, *l'Italie Centrale* 1909 p. 199
(2) E. Rodocanachi. *Une Cour Princière au Vatican*, p. 189.
(3) Migne LXXXVI col 165.

من ثم ان تكون أخفيت مدة الحرب العوان التي تتبع فيها ملوك الروم كل الايقونات ومشايعيها في جميع امصار المملكة . واياها ولا شك عنى واضع صلاة البار كليسي الصغير من الطقسيات البيزنطية حيث يقول :

« لتخرس شفاه الذين لا يسجدون يا والدة الاله لايقونتك المقدسة المصورة من لوقا الانجيلي التي بها اهتدينا الى الايمان القويم » (طبعة البولسيين في حريصا سنة ١٩٢٨ ص ١٠٢٧) . ولما استولى اللاتين على القسطنطينية سنة ١٢٠٣ وقعت بايديهم عدة ذخائر مقدسة بينها صورة للعذراء منسوبة للقديس لوقا . اعطاها الملك هنري دي فلاندر للبطريرك اللاتيني موروسيني وكانت مخبوءة في معبد في كنيسة اجيا صوفيا وعليها ثلاثة اقفال . فعلم بمكانها مقدم البنادقة مارينو زينو فهجم برجاله على الكنيسة وكسر الاقفال واستحوذ غصباً على الايقونة وحملوها بمظاهر الانتصار الى كنيستهم بانتوكراتور سنة ١٢٠٧ وكانت لا تزال فيها بعد نصف قرن حين استعاد الروم القسطنطينية من اللاتين[1]

وقد شاهدها وقبلها قبل ذلك سنة ١٢٠٠ انطونيوس الروسي رئيس اساقفة نوفغورود في زيارته القسطنطينية . وكان يُطاف بها في انحاء المدينة[2] . ورآها ايضاً من بعده قريباً من سنة ١٣٥٠ زائر آخر من نوفغورود يدعى اسطفانس . وهذا ما كتبه عنها في رحلته قال :

« ذهبنا نهار الثلاثاء الى دير العذراء القديسة لنتعبد لايقونتها

(1) A. Luchaire. *Innocent III. La question d'Orient*, p.p. 219-220

(2) *Itinéraires Russes en Orient*. Traduction Mme B. de Khitrowo. *Pèlerinage d'Antoine de Novgorod*, p. 99.

التي تُعرض فيه . وهي من رسم الانجيلي لوقا مثّل فيها سيدتنا
« البتول ام الله حينما كانت في الحياة . وهم يعرضونها كل ثلاثاء .
« وعجبنا حقاً من كثرة من يجتمع لديها من الشعوب وسكان
« المدن المختلفة[1] »

وممن عاينها كذلك في القسطنطينية سنة ١٣٨٩ زائر اخر روسي يسمى اغناطيوس من سمولنسك وكتب عنها ما تعريبه :

« في السابع عشر من كانون الاول شاهدنا قبر النبي العظيم
« دانيال وسجدنا عنده وقبلناه . وهناك كنيسة للعذراء القديسة
« تصنع فيها اعظم العجائب واهولها يوم الجمعة المقدسة . وفي هذه
« الكنيسة صورة للبتول القديسة من رسم لوقا الانجيلي[2] »

صفة ايقونة صيدنايا

يستدل من رواية السائح الالماني لِمان ان العذراء في ايقونة صيدنايا كانت مصورة الى زنارها فقط . وهي ترضع طفلها[3] . ووصفها سنة ١١٨٤ الشيخ ابو المكارم سعدالله بن جرجس بن مسعود فقال بعدما تقدم له من وصف طاقها :

« وباب القونة من ناحية القبلة اعلى من سفلها من الناحية البحرية قدر اربع
« اصابع او دونها . لم تتبين فيها صورة بل ايقونة ثخينة يكون سمكها اكثر
« من اصبعين مضمومة . طولها يجي شبر وعرضها يجي اربعة اصابع . وهي كابية
« اللون حمرا كابية الحمرة »

(1) Itinéraires Russes en Orient. *Pèlerinage d'Etienne de Novgorod*, p. p. 119-120
(2) Ibid. *Pèlerinage d'Ignace de Smolensk*, p. 140.
(3) Röhricht et Meisner, *op. cit.* p. 105.

وخالفه في تقدير هذا القياس بعض من رآها من حجاج الافرنج وسياحهم فذكروا ان طولها نحو ذراع، وعرضها قريب من نصف ذراع . وقدّرها آخر بثلاث اقدام عرضاً واربع طولاً، قال «فعرضها اقل من طولها[1]» . وذهب سائح غيره سنة ١٤٣٢ ـ ١٤٣٣ الى اقل من ذلك وقال « لا يبعد ان يكون طولها قدماً ونصف قدم وعرضها قدماً واحدة[2] »، لاختلاف التقدير بمجرد النظر والتخمين

وشاهدها سنة ١٣٣٦ غليوم دي بُولدسل وقال عنها :

« فيما وراء المذبح الاكبر في الكنيسة صورة مسودّة غلبت عليها الرطوبة صُوّر عليها قديماً تمثال العذراء . ولكن بسبب قِدمها لا تتبين لها هيئة ولا ملامح . الا انه كان يلوح لي من جانب منها ان لونها احمر[3] »

بعض الاساطير المروية عن الايقونة

قد مر بنا قبلاً شرح التقليد المحفوظ عنها وكيف جيء بها من اورشليم الى الدير . ومن اعجب الاساطير التي تحكى ايضاً عنها ما رواه ليوناردو فرسكوبالدي احد اعيان فلورنسة بعد زيارته صيدنايا سنة ١٣٨٤ قال :

« كانت هذه الايقونة ملكاً خاصاً بكاهن الدير . وكانت

(1) Michelant et Raynaud. *Itinéraires à Jérusalem*, p. 120.

(2) Bertrandon de la Broquière. *Voyage d'Oultemer*. Publié par Ch. Scheffer. Paris 1892, p. 64.

(3) Guillaume de Bouldeselle. *Traictie de l'Estat de la Terre Sainte*. Manuscrit Français de la Bibliothèque Nationale de Paris N° 1380 fol. 137.

له عادة حسنة ان يقضي كل سنة زمن الصوم في اورشليم في كنيسة القيامة، وهي تبعد عن صيدنايا مسير ثمانية ايام . فانطلق مرة واخذ معه ايقونة السيدة وتطلبها يوماً في المكان الذي كان وضعها فيه فلم يجدها . فحزن جدًا لضياعها . وحين انتهى من صومه ورجع الى كنيسته في صيدنايا رأى الايقونة قد عادت من تلقاء نفسها الى موضعها . وفي السنة التالية ذهب الى القيامة ومعه الايقونة ايضاً . وجعلها في محلها المعتاد ومضى لصلاته . ولما عاد فقدها واغتم جدًا من اجلها . ولكنه لما ارتد راجعاً الى كنيستهِ في الدير الفاها فيه كالمرة الاولى . وحدث له مثل ذلك في المرة الثالثة . وكانت هذه الايقونة من خشب وعليها صورة العذراء . فاستحال مكانها من الخشب الى لحم كانت ترشح منه دائماً قطرات العرق[1] »

وهذه الخرافة مثال من غرائب الاقاصيص التي كانت وقتئذٍ تروج على عقول الزوار حتى اكابرهم لغلبة التقوى على نفوسهم وقلة ارتيابهم في شيء مما كان يتساقط اليهم من الاسمار الدينية

ومن طرائف هذه الاسمار التي سمعها الاب برناردان سوريوس رئيس دير القبر المقدس حين زيارته صيدنايا سنة ١٦٤٦ ان هذه الايقونة هي التي منّت على القديس يوحنا الدمشقي المعروف بابن سرجون بشفاء يده والتئامها بعد ان امر الخليفة الاموي بقطعها فيما زعموا باغراء ملك الروم في القسطنطينية في قصة مشهورة ثبت اليوم بطلانها عند اهل التحقيق . وقد وصف الاب المذكور هذا

(1) Leonardo di Niccolo Frescobaldi, *Viaggio in Egitto e in Terra Santa.* Roma 1818 p. p. 167-170.

التقليد الغريب بانه قديم كما اتصل به[1] ولم نقرأه لغيره من الزوار

وكانت الايقونة قبلًا معروضة للانظار والقُبل في كوّة وراء المذبح « يؤذَن لاي كان بالنظر اليها » كما في الرواية المنسوبة لبر كارد (١١٧٥ـ ١٢٢٥) وقد لمسها جاك دي ڤيرون سنة ١٣٣٥ وهذا نص ما كتبه عنها قال :

« واما انا فقد اقتربت من هذا المقام بكل تقوى . واقتبلت بكل إجلال زيت العذراء المجيدة . ولمست بيدي هذه الايقونة والزيت الذي يرشح منها . وعاينت كل ذلك بعيني وصليت[2] »

سرقة الايقونة وخلو المقام منها

وبعد ان مضى عليها ردح من الدهر في مكانها في الدير تتناولها انظار الزوار في كوّتها حُجبت عنهم في وقت لا يمكن تعيينه بالضبط . ولعله كان في اواخر القرن السادس عشر . واصبح النظر اليها ممتنعاً كما سبق من شهادة پوكوك . بل سبباً للموت الوحيّ العاجل كما مر بنا من كلام پورتر . وهو ما يدفع الى الاعتقاد ان الصورة لم تكن في ذلك الحين باقية في مكانها وان الصندوق الذي يُرى اليوم كان فارغاً مقفراً منها

قال الاب لويس شيخو في المشرق (٤ [١٩٠١] ص١٤٣)

« ان الروم الكاثوليك الملكيين يزعمون ان ناوفيطس (مطران

(1) P. Bernardin Surius, *Le Pieux Pèlerin ou Voyage de Jérusalem*. Bruxelles 1666, p. 341.

(2) Fr. J. de Verone. *Liber Peregrinationes*, (Revue de l'Orient Latin) 3 (1895), p. p. 294-295.

صيدنايا المتوفى سنة ١٧٣١) لما اضطره اعداؤه الى الخروج من صيدنايا اخذ معه الصورة العجائبية الى رومة »

وما ندري اين وجد هذا القول الذي اسنده اليهم . ويكفي لمناقشته فيه ان ننقل هنا ما جاء في ترجمة البطريرك مكسيموس مظلوم بقلم ابن اخيه الشماس توما . قال :

« يوم الاثنين ٣٠ تموز سنة ١٨٥١ صعد البطريرك مكسيموس مظلوم مع كير باسيليوس مطران الفرزل وزحلة والبقاع ، وكير ملاتيوس مطران القلاية الاورشليمية نائبه البطريركي بدمشق الى دير الروم الغير الكاثوليك على اسم السيدة الذي كما يقال انه يوجد ضمن كنيسته القديمة صورة السيدة المصورة من القديس لوقا . لكن من المعلوم ان هذه الصورة قد أُخذت من اللاتينيين (يريد اخذها اللاتينيون) اي وقت الحرب الى رومية لاننا نرى ان رئيس الدير المذكور لا يسمح بان احداً يراها بل يزعم انه موضوع اقفال عليها »[1]

ولا ندري اي حرب يعني الشماس توما فان اللاتين لم يحتلوا ضواحي دمشق الا مرة واحدة في الحقبة الصليبية حين حاولوا سنة ١١٤٨ الاستيلاء على المدينة وارتدوا عنها خاسرين . وكانت الايقونة بعد رحيلهم باقية في الدير كما تقدم من اوصاف الزوار والحجاج لها من القرن الثاني عشر الى السادس عشر . فلا شك ان الشماس ردّد خبراً كان شاع في ايامه من باب الرجم والتخمين كما شاع من بعده ان الروس هم الذين اخذوا الايقونة وجعلوا موضعها

(١) وثائق تاريخية . حريصا ج ٢ (١٨٤٨_١٨٥٥) ص ٨٤

نسخة عنها مطابقة لها تماماً . وقد نقلت هذه الاشاعة مسز برتون قرينة القنصل الانكليزي في ما روته من اخبار دمشق وقالت في جملة كلامها عن ضواحيها :

« ابعد المزارات منها دير صيدنايا . والروم يعتبرون هذه القرية « انها هي دَنابا التي اشار اليها بطولومايس . ويُطل منها على منظر « غريب جميل جداً . وفيها صورة للعذراء عجائبية تجتمع امامها « النساء للصلاة . ويقال ان الايقونة الاصلية أُخذت الى بلاد الروس . « ومع ذلك فان النسخة المأخوذة عنها متقنة . سمعت من النساء « المتعبدات انهن يرجعن من زيارتهن لها وقد نلن كل ما يطلبنه « منها [1] »

و كان امر هذه النسخة الحديثة معروفاً قبلاً من سنوات عديدة . وقد نقلنا في ما سبق قول الاسقف پورفير أوسبانسكي الروسي في جملة ما كتبه عن صيدنايا « ان الروم الكاثوليك يقولون ويخطبون في كنائسهم ان الصورة الموجودة حينئذٍ في دير الشاغورة ليست الا رسماً منقولاً عن الاصل الذي لا يُعرف اين هو » . قال الاب بترس اليسوعي العالم البولندي الذي استشهد بهذا الكلام « فهل من يكشف لنا هذا السر [2] »

ومن حسن الحظ والتوفيق لدينا اليوم ما يدفع هذه الشبهة ويجلو وجه الحقيقة ويحسم كل مناقشة ونزاع . وهو شهادة قيّمة لاحد اجلة الزوار شهد فيها باقرار كهنة الدير واعترافهم الصريح ،

(1) Isabel Burton, *The Inner Life of Syria, Palestine, and the Holy Land.* London 1875 vol. 1er p. 141.
(2) P. Peters *op. cit.* p. 157.

ان الايقونة فُقدت، وان الصندوق المعروض في المقام صِفر خالٍ منها . وهذا الشاهد العدل هو احد الخبراء بالعاديات بول لو كاس انتدبه الملك لويس الرابع عشر للتجول في الشرق والبحث عن النقود والتذكارات القديمة لخزانته الملوكية . فطاف سنة ١٦٩٩ مدن الشام وحضر الى دمشق وصعد في جملة تنقلاته الى صيدنايا متزيياً بالزي الشرقي، وفي زناره خنجر دمشقي . وهذا تعريب ما كتب عنها قال :

« صيدنايا على بعد عشرة اميال من دمشق هي قرية تُعصر فيها خمر جيدة . وفيها ايضاً كنيسة متناهية القدم ودير للنساء فيه عدة كهنة للقيام بالصلوات . وفي معبد لطيف منه وراء الهيكل الاكبر مدفن صغير، يعتقد اهل البلدة ان فيه صورة للعذراء متجسدة . وكنت قد زرته في سفرتي الاولى فجعل الكهنة يقصون علي قصة الايقونة التي تحولت لحماً . فاظهرت لهم رغبتي بمعاينتها . ولما تمنعوا واجابوا ان لا سبيل الى فتح المدفن، استللت خنجراً كان في وسطي وضربت به بشدة جانب المدفن المجصص، فسقطت منه قطعة كبيرة . وهممت ان اضرب ثانية . فتواقعوا على قدمي وجعلوا يقبلون ذيل ثوبي وقالوا لي يا مولانا لا تؤذِنا، ونحن نقول لك الصحيح . فرحمتهم وامسكت . فقالوا لي ان ايقونة العذراء المقدسة التي استحالت لحماً وكانت هنا قد سُرقت . ولكن الشعب لا يزال يعتقد انها باقية ويتعبد لها . وهذه العبادة هي رزقنا الوحيد لما تُدرّه علينا من النذور والتقادم . وكان معي الاب اغاتنج دي برتاني Agathange de Bretagne كنت استصحبته . فسألني ان اكتفي

بما قالوا لاقرارهم بالخديعة . فبقيت متغيظاً لا اسوّغ إقدامهم على غش الناس . فطفقوا يبكون . فصرفت اهتمامي الى شيء آخر . وجعلت اقلب بعض المخطوطات السريانيــة التي كانت في خزانة قريبة . ووجدت بينها مصحفين استحسنتهما وسألتهم ابتيـاعهما فقدموها لي . وابوا ان يقبلوا ثمنهما . فاخذتهما واعطيتهم ديناراً بندقياً Sequin ولا اعلم هل كان الكتابان نفيسين . ولكن المسيو بيك دكتور في السوربون اعطاني فيهما اثني عشر ذهباً [1] »

ولا يخفى على من له اقل رغبة في تمحيص الحقائق التاريخيــة وجلاء الريَب والاوهام ما لمثل هذه الشهادة الواضحة الفاضحة من القدر والشأن، فضلاً عما في ختامها من بيان التبذير الذي تناول نفائس مخطوطات الدير وشتّتها وابادها بين هبة وبيع وسرقة وحريق، ولاسيما السريانية المغضوب عليها، السيئة الحظ منها . ومما يزيد في تزكية هذه الشهادة ايضاً وينفي عنها كل شبهة واعتراض ان القس الانكليزي هنري موندرل الذي سبق لوكاس بسنتين وزار الدير في سنة ١٦٩٧ سمع من الكهنة انفسهم مثل حكاية سرقة الايقونة وحرص على نقلها عنهم في الفصل الذي عقده على صيدنايا في رحلته . ولكنهم موّهوا عليه بادعائهم فيها « ان السارق ما كاد يستولي على الصورة حتى وجدها انقلبت الى لحم فارتاع من التعجب وندم اذ عاين هذه الآية الخارقة وبادر الى رد السرقة الى اربابهـا واقر لديهم بذنبه وطلب الإقالة والمغفرة . فلما استوثق الرهبان من هذه الجوهرة الثمينة ارادوا ان يصونوها من مثل هذا الخطر في المستقبل

(1) *Voyage du Sieur Paul Lucas au Levant.* Paris 1704 vol. I, p. p. 310-313.

فجعلوها في صندوق صغير من الحجر (وهو الذي سماه لو كاس المدفن) واقاموه في كوّة الجدار وراء المذبح الاكبر . واحاطوها بشباك يدفع عنها يد كل سارق . وعلقوا على هذا الشباك عدة تقادم ونذور من المصلين الذين استجيبت طلباتهم . ووضعوا تحت الصندوق جرناً صغيراً من الفضة لجمع ما يرشح من الزيت المقدس الذي يزعمون انه يسيل من الايقونة المخبوءة . وهم يدّعون ان لهذا الزيت مفعولاً عجيباً في شفاء الامراض ولاسيا ادواء العيون » (ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣)

ولا ريب ان القس البرتستاني الذي سمع هذه الحكاية من فم كهنة الدير لم يكن يعتقد صحة حرف منها . ولكنه لم يشأ ان يكلف نفسه كشف عوارها فاكتفى بروايتها على علاتها . ولولا فضول الزائر الافرنسي . بل لولا جرأة الرسول الملكي لبقي هذا السر شبهة بين الشك واليقين

وممن ادرك مخرقة حكاية سرقة الايقونة ورجوعها الى الدير ، ولم تجز عليه حيلة الصندوق ، بل نبه على خلوه منها السائحان الهولانديان (١٧٠٩ ـ ١٧٢٠) . ولا بأس ان نعرب حديثهما لما فيه من تأييد شهادة موندرل ولو كاس ، واظهار تفنن كهنة الدير في الاختلاق والتلفيق والتهويل قالا :

« يعد الرهبان كافراً كل من لا يعتقد صحة التقليد الآتي الشائع عندهم . ومآله ان الايقونة سُرقت واستحالت بغتة الى لحم بشري . فارتاع السارق من هذه الاعجوبة وخرّ على ركبتيه وسأل ان يُرخص له بارجاع السرقة الى الدير . ولما بلغ قريباً منه عادت

الايقونة الى هيئتها القديمة فردها السارق بغاية التوبة والندامة . واخبر الرهبان بما كان من استحالتها ورجوعها . فأقيل من ذنبه . وتحقيقاً للعفو عنه استحالت الايقونة مرة ثالثة ، واكتست لحماً بشرياً . فاراد الرهبان ان يأمنوا على هذه الذخيرة الثمينة التي تدر عليهم كل هذه النذور والهبات . فخبأوها في تابوت من حجر في كوة وراء المذبح الاكبر . وزيادة في الاحتياط عقدوا عقداً فوق التابوت واحاطوه بشباك من حديد وعلقوا امامه مصابيح تضيء على الدوام . فكان الشعب من كل الطبقات يتوارد بغاية اليقين وباقل النفقات لعبادة ما لا يستطيع ان يراه ثقةً منه بصدق الرهبان مع انه لا ايقونة هناك . وهم يؤكدون له بكل جدّ ان الايقونة بهيئتها البشرية موضوعة الان في تابوت حجري . وقد زينوا الشباك والجدار بعدة تقادم ونذور من شعر واسنان وخواتم . فسألنا الرهبان لماذا لا يريدون ان يجيبوا طلبتنا بفتح التابوت لشدة اشتياقنا لمعاينة هذه الايقونة التي صنعت كل هذه العجائب . فقالوا لنا اذا حاولنا ان نمد اليها يداً تحل بنا لا محالة المصيبة التي حلت ببطريرك الروم الاورشليمي ، فانه لما عالج فتح التابوت أُصيب لساعته بالشلل ولم يبرأ منه كل حياته[1] »

وقد روى بارسكي قصة هذا البطريرك كما زخرفها له الرهبان وهذا تعريب ما كتبه عن الايقونة وعن البطريرك ننقله برمته لما فيه من زيادة الشرح والايضاح قال :

« حدث في بعض اضطهادات المسلمين والزنوج للنصارى ان

(1) Van Egmont and John Heyman, *op. cit.* p. p. 262-263.

راهباً خبأ الايقونة في صندوق من حجر . ولما عاد الرهبان الى الدير ارادوا ان يستخرجوا الايقونة ويضعوها حيث تكون ظاهرة للعيان . فلم يستطع احد منهم فتح الصندوق والنظر اليها لان قوة خفية كانت تحول دونها . ومن ذلك الحين ابقوها مخبوءة وراء المذبح في الحنية حيث الكرسي الاسقفي . وحجزوها بمشبك من الفضة لكيلا يجسر احد على فتح الصندوق، بحيث يكون السجود لها من بعيد من وراء الحاجز . وهي اليوم هناك وعجائبها كثيرة . والنذور اليها من الحجاج وافرة مثل سلاسل الذهب والفضة والصلبان المرصعة باللآلئ والصور الغالية المزينة بالحجارة الثمينة وخصوصاً مباخر الفضة والزجاج، وقد عددت منها نيفاً ومائة بين كبيرة وصغيرة، ومعظمها مذهب . و كلها تقادم من المؤمنين شكراً لبعض العجائب

ومنذ سنوات كان البطريرك الاورشليمي خريسانتس المعروف بفضله وعقله مجتازاً بدمشق لبعض اشغال له، فسمع بخبر دير صيدنايا وايقونته العجائبية . فالتهب شوقاً الى مشاهدتها . ولما بلغ الدير تلقته الراهبات بغاية الاجلال تقديراً لمقامه البطريركي واحتفاء بزيارته . وبعد بضعة ايام صلى كالعادة وسجد امام الايقونة . واراد ان ينظر اليها فسأل الراهبات في الدير ان يفتحن له الصندوق ليتمكن من معاينتها . فقالت له الراهبات يا سيدنا نحن وجدنا الايقونة محجوبة منذ دخلنا الدير وسمعنا ممن كان قبلنا انه لم يجسر احد ان يبرزها للعيان . فاذا كان سلفنا لم يتجرأوا على اظهارها فهل نتجرأ نحن . فاذا شئتم ان تفتحوا الصندوق فافعلوا . فلا احق

منكم بذلك اذ كنتم راعينا وابانا . واذا لم تفتحوا الصندوق فمن يستطيعه غيركم . فقام البطريرك حينئذ واحتفل بالصلاة بغاية الخشوع والتقوى امام سكان القرية كلهم . ولما انتهى من الصلاة مد يده في المشبك وتناول الصندوق وعالج فتحه فاعياه مع انه لم يكن مقفلاً . واضطر ان ينكص على عقبيه لانه احس ان يده يبست كالخشب وماتت بعلة فاجأتها . فجعل يبتهل الى العذراء ويتضرع اليها من كل قلبه باكياً طالباً مغفرة جسارته . فاخذت يده للحال تبرأ وعادت اليها الحياة كذي قبل . فاحتفل عند ذلك بعدة صلوات ومدائح للعذراء وقدم لها صورة ذهبية مرصعة بالحجارة الثمينة كانت على صدره وقت الصلاة . وهي هدية تفوق بقيمتها وحسنها كل ما أهدي قبلها

وسمعت من كثيرين ان يوم سبت النور عندما يفيض النور على القبر المقدس في اورشليم يتلألأ ايضاً في الساعة نفسها فوق الايقونة في صيدنايا كما حكاه البطريرك الاورشليمي اثناسيوس في كتابه الذي نشره بالرومية والعربية [1] »

وحبذا لو اسعد الحظ احد القراء بالوقوف على هذا الكتاب اذا كان صح طبعه لمعرفة ما رواه فيه حقاً البطريرك اثناسيوس . وهذه اول مرة رأينا فيها بين كل هذه المطالعات المتنوعة التي نقبنا فيها عن صيدنايا مثل هذه الخرافة الغريبة من ظهور النور في آن واحد فوق القبر المقدس وفوق ايقونة الدير . وما ندري اين تقف بعدها مخيلة الرهبان في الاختراع والابتداع

---

(1) Barsky, *op. cit.* p. p. 325-326.

على ان من عارض الروايات الثلاث السابقة التي حدثنا بها الزوار الذين رووا قصة السرقة والاحتجاب بين انكليزي وهولاندي وروسي يرى فيها من التناقض والتخالف ما يدل على ضيق حيلة الرهبان والراهبات في اختلاق عذر واحد مقبول لغياب الايقونة وخفائها . فبعد ان كانوا يزعمون ان سارقاً اختلسها ثم ردها اصبحوا يدعون ان راهباً خبأها . وبعد ان حكوا سنة ١٧٢٠ ان البطريرك الاورشليمي لما اراد ان يلمسها ويستخرجها أُصيب بشلل في يده لم يبرأ منه كل حياته عادوا يقولون سنة ١٧٢٨ انه بكى وابتهل فشفي لساعته بصلواته . ثم مر بصيدنايا سنة ١٩٠٧ المرسل الانكليزي سيكال فقصت عليه رئيسة الراهبات « ان اهل الدير باسرهم اضطروا ان يقضوا ثلاثة ايام وثلاث ليال كاملة في الصلاة حتى نال البطريرك شفاء يده[1] » . وفي كل ذلك من الهزل والسخرية بالزوار ما لا يخفى على بصير

ومما تقدم يُستنتج بغاية اليقين والتحقيق ان ايقونة صيدنايا فُقدت لا محالة وضاعت باقرار اهل الدير انفسهم وشهادة بعض العدول الاثبات . وبالتالي ان الزوار والمصلين الذين يتخشعون اليوم في المقام يسجدون امام صندوق فارغ خالٍ من الايقونة القديمة التي خرّ امامها رُكعاً وسجوداً جماهير الحجاج في الاعصار السالفة

(1) Rev. J. Segall. *Travels through northern Syria.* London 1910 p. 128.

الحبل او رشح الايقونة

اخص ما امتازت به ايقونة صيدنايا المفقودة وتمت لها به هذه الشهرة التي نوّهت باسمها في الشرق والغرب ما حكاه جمهور الزوار ونصّت عليه الاخبار المنشورة سابقاً من امر السائل الذي كان يرشح منها وهو ما يسميه النصارى « الحَيْل » اخذاً من الحيل في اللغة بمعنى القوة اشارة الى ما كان له من قوة الشفاء . وممن نبّه عليه من المسلمين شهاب الدين العمري في كتابه مسالك الابصار، قال ولم يذكر الايقونة :

« والنصارى تزعم ان بها صدعاً يقطر منه ماء يأخذونه للتبرك . ويدعونه في اوانٍ لطاف من الزجاج ويكسونها من فاخر الثياب ولهم فيه اقوال كثيرة . وسمعت نصرانية كانت معروفة بينهم بالعلم تقول ان ذلك الماء اذا اخذ على اسم شخص وعُلق في بيته ثم ازداد مقداره عنده عما اخذه، دل على زيادة ماله وجاهه . واذا نقص دل على نقص ماله وجاهه وقرب اوان موته . وقد رايت هذا الماء وله دهنية تشبه السيرج او الزيت الصافي وليس بها » (ج ١ ص ٣٥٦) . وقد تقدم من كلام روكتا الايطالي ان له حراقة تألم منها العين اذا كحلت به

ومن هذه الاقوال الكثيرة التي اشار اليها العمري غرائب وأوابد زعموا فيها ان هذا الحيل كان له عرف اذكى من الطيب يبرئ كل علة وداء[1] وكان يقطر من ثديي الصورة فيستحيل تارةً

(1) Michelant et Raynaud. *Itinéraires à Jérusalem*, p. 173.

لبناً وتارة دماً يحمله الملاحون والنوتيـة في اسفارهم حرزاً من عواصف البحر والهواء[1] واذا وضع بكل ايمان في قارورة وحفظ سبع سنين استحال الى لحم[2]

ومن امثلة ما كان للناس وقتئذ من المغالاة في الاعتقاد بهذا السائل ما حكاه ليوناردو فرسكوبالدي عن نفسه وولده قال :

« ولهذا الحيل خواص كثيرة منها ما يقوله نوتية هذه البلاد ان البحر اذا كان هائجاً وألقيت فيه بعض قطرات منه سكن للحال . وهو يصلح ايضاً لشفاء بعض الجروح . وهؤلاء الراهبات التقيات يعطين منه للحجاج في بطآت صغيرة . وهكذا فعلن معنا . فتجرأت ودهنت اصبع يدي اليمنى بهذا الزيت المقدس وحككت بهـا ثؤلولاً كان في خدي تحت عيني اليمنى ثم اصبحت يوماً فاذا الثؤلول قد زال وتخلصت منه . ولما عدت الى فلورنسة وجدت احد اولادي فرنسوا مريضاً، يتوجع من رِبلتِهِ وقد اوشكت ان تفسد برمتها . وكانت تنبعث من جراحتها رائحة كريهة . فحكيت حالاً كيف برئ خدي واشرت عـلى والدته ان تدع جانباً المراهم والادوية ودهنت ساقه بالزيت المذكور فشفيت وعادت سليمة كالاخرى[3] »

قالوا وكان معين هذا الزيت لا ينضب مهما استمد منه . حتى ادعى احد الشعراء الاقدمين فيليب مُوسكت انه لو حضر الف من الحجاج وملأوا منه ما شاؤوا من الاواني اللطاف كان لا يخف ولا يجف[4] . وابعد منه في الإغراق والتعظيم ما نقله ابو المكارم

(1) Ludolphe de Sudheim, *op. cit.* p. 361.
(2) Fr. J. de Verone, *op. cit.* p. 295. Niccolo di Poggibonsi, *op. cit.* p. 20
(3) Leonardo Friscobaldi, *op. cit.* p.p. 170-171.
(4) Michelant et Raynaud. *Itinéraires à Jérusalem*, p. 120.

سعدالله بن مسعود عن انبا ميخايل مطران دمياط القبطي قال بعد ما مر آنفاً من وصف الايقونة :

« وهي ترشح دهناً لا ينقطع في ذلك الجرن فيصير ملان دهن لا ينقص « ولو أخذ منه ما عسى ان يؤخذ . واذا لم يؤخذ منه فلا يفيض . والدهن الذي « يؤخذ منه يوضع في آنية صغيرة زجاج شبه البلاطي[1] . ويجعل في كل واحدة « من ذلك الدهن ثلاثة ملاعق بملعقة راتبة في الجرن . وذلك (الدهن) المبارك « ينفع ساير الامراض لمن يتناوله بامانة . وشفي به اناس كثيرون من الصرع « المزمن والوجيف والخفقان بقدر ايمانهم بقوة الست السيدة العذرى الطاهرة . « وشاهدت لما وقفت في هذا المقام المذكور أخذ من الدهن نحو خمسين بَرَكة « زجاج في كل واحدة ثلاث ملاعق في ساعة واحدة . ولم ينقص الحوض ولا « شيء يسير البتة . بل معتدل . مساوي في حده . لا يزيد ولا ينقص . « فتعجبت من ذلك ومجدت الله . وقال لي القس المتولي خدمة هذا الطاق وفتح « الباب وغلقه . قال يا اخي ان حضرت في عيد السيدة في اوان العنب رأيت « العجب فان في ذلك اليوم يجتمع من النصارى والمسلمين والنسطور والملكية « والسريان وغيرهم نحو اربعة خمسة الاف نفس . وما يروح منهم دون يكون « معه ثلاثة برك ومنهم اكثر . ولم ينقص هذا الحوض شي . فلا تتعجب من « هذا الامر اليسير الذي نظرته . فهذا بالنسبة من ذاك يكون يسير جداً[2] »

فلا بدع بعد ذلك اذا كان مثل هذا الاعتقاد واليقين في قوى الحيل وما يُعزى له من مزية الشفاء وفعل الخوارق سبباً لازدحام

---

(١) وردت هذه اللفظة في المخطوط الذي نقلنا عنه « البلاطى » كذا دون اعجام . ولعلها جمع بُلطية وهي كما في تكملة المعجمات العربية لدوزي سمكة رقيقة في النيل . شبه بها الآنية الصغيرة الرقيقة التي كانوا يضعون فيها زيت الايقونة . وهي التي كانوا يسمونها بَرَكة بطريق الاستعارة كما سيجيء من كلامه

(٢) تاريخ الكنائس والديورة (ص ١٤٣)

الزوار عليه وطلبه من كل الأصقاع والاقطار حتى كان لا يكاد يخلو منه معبد في الغرب . ويستفاد من مراجعة جرائد خزائن الكنائس الاوربية التي حفظها التاريخ انه كان دائماً بين ذخائرها قارورة من « زيت القديسة مريم في صيدنايا السائل من ثديي ايقونة العذراء مريم البتول[1] » . وقد بقيت مثل هذه القوارير محفوظة في الكنائس الغربية لغاية القرن السابع عشر ومن جملتها واحدة في باريس في كنيسة كلوني المشهورة (Cluny) شاهدها الاب ڤانسلب الدومنيكي وكتب عنها ما يأتي تعريبه في كتابه تاريخ كنيسة اسكندرية بعد ذكره عيد تجسد ايقونة صيدنايا عند الاقباط . قال :

« ومما يحسن التنبيه عليه هنا ولو عرَضاً انه في كلوني بين
« آنية كنيستها المشهورة يُرى في جملة ذخائرها قارورة ملأى من
« الدهن الثمين الذي يرشح من هذه الايقونة كما يستفاد من الكتابة
« المرقومة التي نقلتها سنة ١٦٧٠ حينما كنت في باريس وهذا نصها :

« من السائل الذي يقطر ويتقوم من صورة القديسة مريم
« البتول التي استحالت الى لحم بمشيئة الله . هذه الصورة بهذه
« الصفة موجودة في صيدنايا من ضاحية دمشق في البلاد الاسلامية »

« De liquore qui fluit, et liquet de imagine B. Mariae Virginis, mutata in carnem divina voluntate ; et est hujusmodi imago apud Sardinicam, ultra civitatem Damascum, in Pagania (P. J. M. Vansleb. Histoire de l'Eglise d'Alexandrie, p. 159).

لا جرم ان من اغرب حظوظ هذه القرية البائسة الحقيرة ان

(1) E. Rey. *Colonies Franques de Syrie*, p. 296.

يبلغ بها الشرف والقدر ان ترى اسمها مسجلاً مذكوراً مدة بضعة قرون في اعظم كنائس الامصار الاروبية

وما خلا هذه القوارير التي كانت توزع في كل انحاء المسكونة كانت رئيسة الدير تقف للزوار وتكحل عيونهم ببعض قطرات من هذا الزيت بمرود من الفضة كما تقدم من كلام روكتا الايطالي او تصلّب به على جباههم واصداغهم وصدورهم كما حكاه زائر فرنسي سنة ١٤٣٢ وهذا نص ما شهد به قال :

« لا اعلم اذا كانت الصورة من خشب ام من حجر لانها محجوبة بالرايات . وامامها شباك من حديد . وتحتها جوض صغير فيه زيت . وبقربه امرأة جاءت وارادت ان ترسم الصليب على جبيني وصدغي وصدري وبيدها ملعقة فضة امرتها على الرايات . وتبين لي ان هذه العادة لم تتخذ الا للحصول على الدراهم[1] »

وفي هذه الشهادة ما لا يخفى من الارتياب والانكار . وقد راب امر الزيت قبلاً الزائر غليوم بولدِسل سنة ١٣٣٦

ومن مزاعمهم ايضاً التي تناقلوها منذ القرن الثالث عشر او قبله بقليل ان الايقونة تجسدت اي اكتست لحماً بشرياً بعد ان كانت صورة مرسومة . ولذلك كانوا يدعونها في الغرب « المتجسدة » « l'Incarnée » ولكنهم اختلفوا في زمن هذا التجسد ومقداره . وقد سبق قول البطريرك مكاريوس الزعيم الحلبي :

« ايقونة العذراء مريم حين جابوها من اورشليم ليذهبوا بها الى دير صيدنايا الذي على اسمها كيف وجدوها قد تجسدت والحيل ينضح منها »

---

(1) Bertrandon de la Broquière. *Voyage d'Oultemer*. Publié par Ch. Schefer, p. 65-66.

ولكن اكثر الرواة على ان هذا التجسد حصل بعد استقرارها في الدير، ولم يتجاوز الثديين . وهذا ما كتبه الحاج تيتمار في رحلته بعد ذكر العرق الذي كان يخرج منها، قال: « وشيئاً فشيئاً اخذت الايقونة تكتسي ثديين من اللحم . وقد عرفنا من شهود عيان ومن الاخ توما الذي مسّها بيده ومن غيره ايضاً ان هذه الصورة مغشاة باللحم . ومنه يرشح العرق » (ص ٢٨) . وقد انكر هذا التجسد الحاج لودلف دي سودهم الذي جاء بعده سنة ١٣٤٨ وقال:

« تدعى هذه الايقونة « المتجسدة » لانهم يحكون انه كان لها ثديان من اللحم . ولا ريب في عدم صحة ذلك[1] »

وقد كان خبر تجسد الايقونة معروفاً شائعاً حتى عند المسلمين. واياها ولا شك عنى ابن حجر العسقلاني حين سماها « اللحمة » نقلاً عن البرزالي في ترجمته لاسمعيل بن ناهض الحسيني الدمشقي احد اعوان ابن تيمية المشهور . وقد ذكرنا قبلاً بعض الشهادات الدالة على ان فريقاً من المسلمين كانوا حسني المعتقد في بتول صيدنايا يزورونها وينذرون لها النذور . وفي روايات كتاب الافرنج انه حصلت بعض معجزات لها في قوم منهم . فساء ابن تيمية ما راه وسمعه من اكرام المسلمين لمقام نصراني . وكان كل حياته متصلباً في دينه، متحمساً في انكار كل ما يخالف مذهبه الحنبلي، شديد الجرأة حتى على الامراء والملوك، مغالياً في التعصب على كل من خرج عن ملة الاسلام، متعمداً كل ما يزيد في إهانتهم واذلالهم . فاغرى بعض انصاره المتهوّسين بما حقّق قول ابن بطوطة فيه: « كان

(1) Ludolphe de Sudheim, *op. cit.* p. 361.

من كبار الفقهاء الا ان في عقله شيئاً [١] » . وهذا نص ما نقله ابن شهبة في حكاية هذه الشناعة السفلة قال :

« اسمعيل بن ناهض بن ابي الوحش بن حاتم السيد الشريف الصالح العابد عماد الدين الحسيني الدمشقي الحسّاب . مولده سنة ثلاث وستين وستمائة . . . قال ابن كثير وكان رجلاً شهماً كثير العبادة والمحبة للسنة واهلها ممن واظب صحبة ابن تيمية وانتفع به . وكان من جملة انصاره واعوانه على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهو الذي بعثه الى صيدنايا مع بعض القسيسين يلوّث يده بالعَذِرة (الخ . . .) ويضرب اللحمة التي يعظمونها هنالك . واهانها غاية الاهانة لقوة ايمانه وشجاعته . توفي بدمشق في ربيع الاول سنة ٧٤٤ (١٣٤٣ م) ودفن بباب الصغير [٢] »

وكفى بمثل هذه المخزية والقذارة دليلاً على ادب الرجل وتعريفاً به وبانصاره وبطرائقهم جميعاً في الجدل والمناقشة والإقناع

ولا ريب انه لمثل هذه الاغراض المذهبية والرغبة في التزهيد بالمزارات النصرانية، كان بعضهم يتهم رهبان صيدنايا بالاحتيال والغش في إحداث الزيت الذي كان يرشح من الايقونة . وهو ما ادعاه زين الدين بن عمر الدمشقي المعروف بالجوبري في فصل عقده في كتابه على كشف اسرار كذبة الرهبان قال فيه :

« ومن ذلك ايضاً الكنيسة التي بصيدنايا . وهي قرية من « عمل دمشق . ولها يوم تجتمع الناس فيه . ولهم فيها بَرَكة

---

(١) رحلة ابن بطوطة . طبعة مصر ١٢٨٧ ج ١ ص ٥٥

(٢) ذيل ابن قاضي شهبة . خزانة باريس رقم ١٥٩٨ ص ٥٦

« الزيت ، يؤخذ منها في ذلك اليوم شيء عظيم للبركة . وقد ارتبط
« عليها جميع الطوائف . وذلك انهم اخذوا قرمة نخلة ثم نزلوا عليها
« بالمدقات حتى صارت مثل السفنج . ثم غشوا عليها ثوب شعر
« من المنخل . ثم وضعوها في ذلك الموضع فاذا جاء العيد الذي
« لها سقوا تلك القرمة بالزيت ثم ثقلوها بشيء يوازن بروز ذلك
« (الزيت) فتبقى ذلك اليوم ترشح طول النهار . والناس يأخذونه
« للبركة وازالة الامراض . فصار لها شأن يذكر » (المختار في
كشف الاسرار طبعة مصر سنة ١٣١٦ ص ١٩ ـ ٢٠)



اساقفة صيدنايا

اثبتنا فيما سبق ان دنابا او دَنبة الواردة في نسخ تراتيب اسقفيات الكرسي الانطاكي القديمة هي غير صيدنايا . ومن ثم يكون البطريرك مكاريوس الزعيم الحلبي قد وهم هو وابنه الشماس بولس في عدّ اساقفة الواحدة في مقدمة اساقفة الاخرى . ولا سبيل لنا اليوم ان نعرف متى بدأت الاسقفية في صيدنايا ولعلها لم تؤهل لهذه الرتبة الا بعد القرن العاشر حين ارتفع شأنها واصبحت محطاً للقوافل ومزاراً للحجاج لمكان ايقونتها العجيبة . وهو ما يترجح تقديره من عدم ورود اسمها بين كراسي دمشق في جرائد القرون الاولى . وهذه اسماء الاساقفة الذين تمكنا بعد الجهد والبحث الطويل من اثبات قيامهم فيها باسانيد صريحة اصلية واحياناً بشهادة كتاباتهم او توقيعاتهم بخطوط ايديهم ننقل بعضها مصورة عن الاصول الواردة فيها التي تيسر لنا تحصيل صورها

يوحنا خاطر

سنة ١٢٠٧

في خزانة الفاتيكان جزء مخطوط من الميناون السرياني الملكي رقم ٧٨ في الصفحة ١٩٩ منه حاشية هذا تعريبها :

« كان الفراغ منه يوم الثلاثاء في ٢٢ تشرين الاول نحو الساعة الثانيــة من
« النهار سنة ٦٧١٤ لآدم و١٥٢٠ للاسكندر و٦٠٤ للهجرة ... بيد الخاطئ ...
« يوحنا الراهب بالاسم لا بالفعل ... القس ابن يوسف ... كتب في صيدنايا
« بدير مار خريسطوفورس ...

« اهتم به واقتناه القس الطاهر البار بولس بن خاطر في ايام اخيه الاسقف
« يوحنا . عفا الله عن الكاتب ... »

ويظهر ان في كتابة ارقام هذه التواريخ الثلاثة بعض التشويش والابهام . لانها لا تتفق في التعديل بغاية الضبط كما يتضح من المراجعة . واذا اعتبرنا السنة الهجرية وهي التي كان يُعول عليها في الاصطلاح العام قبلاً يكون الناسخ اتم الكتاب سنة ١٢٠٧ للميلاد في صيدنايا برسم الخوري بولس شقيق الاسقف يوحنا خاطر . ولعل هذا الاسقف هو الذي لقيه الحاج تيتمار حين زار صيدنايا سنة ١٢١٧ وقال ان فيها اسقفاً ورئيسة للراهبات ورهباناً (ص ٢٩ من رحلته)

بطرس

١٢٦٤

ورد ذكره في كتاب المزامير بالسريانية رقم ١١ من الخزانة الفاتيكانية في الورقة الثانية منه هذه الكتابة العربية غفلاً من اسم كاتبها :

« شرطن يحنا بن عيسى بن الياس القاري شماساً في كنيسة السيدة شفيعتنا في محروسة صيدنايا من يد الاب القديس ابا بطرس اسقف صيدنايا يوم الاحد رابع تشرين الآخر سنة الف وخمساية وخمسة وسبعين للاسكندر » (١٢٦٤ م)

اثناسيوس

١٤٣١

كان في خزانة دير صيدنايا مخطوط ضخم فيه فصول شتى من الطقس الملكي السرياني شاهدته في شهر ايار سنة ١٨٩٩ ولم اتمكن

من إطالة النظر فيه ولكني حفظت مما قرأته في آخره حاشية بالعربية جاء فيها ذكر اثناسيوس اسقف صيدنايا وانه وقف :

« يوسف باسم شماس ابن القسيس يوحنا بن ضومط من قرية الكفور من جبل لبنان من اقليم طرابلس الشام بتاريخ سنة ستة آلاف وتسعماية وتسعة وثلاثين لآدم » (١٤٣١ م)[1]

وقد نظر هذا الكتاب بعدي المرحوم الاب لويس شيخو حين مرّ بصيدنايا عائداً من حمص في شهر ايلول سنة ١٩٠٦[2] ولكني تطلبتهُ عبثاً بين كتب الدير في زيارتي له في آخر ايلول سنة ١٩٣٠ ولا ادري هل ضاع كما ضاع غيره من كتب الخزانة ام انه رفع منها عمداً لانه بالسريانية

دروثاوس

١٤٣٤

حكى الشماس بولس الحلبي في كتابه سفرة البطريرك مكاريوس انه « في سنة ٦٩٤٣ (١٤٣٥ م) كان مدبر الكرسي الانطاكي كير ضوروثاوس الذي كان من صيدنايا المعمورة واسقفاً بها » (خزانة باريس رقم ٦٠١٦ ص ٤)

ولا شك انه خلف توّاً سلفه اثناسيوس الذي كان حياً سنة ١٤٣١ ولكننا لا ندري هل اسم دروثاوس كان اسمه حين كان اسقفاً على صيدنايا ام انــه اختير له يوم انتدب للبطريركية كعادتهم غالباً في تغيير الاسماء

---

(١) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ص ١١٩

(٢) مجلة المشرق ٩ (١٩٠٦) ص ١٠٥١

مرقص

١٤٤٦ ــ ١٤ ايلول ١٤٥١ (ح . ش)

قال الشماس بولس ايضاً في كتابه المشار اليه (ص ٤) :

« وتوفي البطريرك ضوروثاوس نهار عيـد مولد السيدة ثامن ايلول سنة ستة آلاف وتسعماية وستين للعالم الموافق عاشر شعبان سنة خمسة وخمسين وثمانماية للهجرة (١٤٥١ م) فانتخبوا حينئذٍ الجماعة بمدينـة دمشق بعده الاب كير مرقص اسقف صيدنايا بطريركاً نهار الثلاثا يوم عيد الصليب لاستقبال سنة ٦٩٦٠ للعـالم » (١٤٥١ م)

فيكون مرقص قد خلف دروثاوس عـلى كرسي صيدنايا كما خلفه على الكرسي الانطاكي. وجرى انتخابه في مجمع من الاساقفة كان بينهم ميخايل اسقف الزبداني ويواكيم اسقف يبرود ومكاريوس اسقف قارة . ودعي ميخايل

ومن قلمه تعليق بالعربية على مخطوط سرياني ملكي معروف بالتريودي محفوظ في خزانـة الفاتيكان رقم ٧٤ في الورقة ١٢٤ ، وتحت هذا التعليق توقيعه بالرومية . وهذا ما جاء فيه بخطه :

« هذا التريودي المبارك كان قد استعاره الاب المتنيح الى رحمة الله تعالى السيد المطران كير يوحنا مطران حمص . وهو من كتب دير القديس خريسطوفورس بصيدنايا . ثم بعد ذلك توجه الحقير في روسا الكهنة مرقص اسقف صيدنايا بعد نياح المذكور بسنين مقدار خمسة عشر سنة الى مدينة قارا المعمورة وحرز عـلى اخت المذكور والزمهم باحضاره وخلصه بعد جهد الى صيدنايا . وهو وقف مؤبد وحبس محرم على الدير المذكور . . .

وكتب مرقص الاسقف المذكور بتاريخ ثامن شهر اذار المبارك سنة ستة الاف وتسعماية اربعة وخمسين لكون العالم (١٤٤٦ م) والسبح لله دائماً »

وهذه صورة الكتابة بتمامها

يوحنا ابن القس ابرهيم بن صالح من قاره

١٥٠٠

ذكر الشماس كيكيليديس في برنامج خزانة القبر المقدس انجيلاً عربياً بين مخطوطاتها جاء في الصفحة ١٣ منه انه نُسخ سنة ٧٠٠٨ (١٥٠٠ م) بيد القس اسحق في زمان البطريرك دروثاوس ويوحنا اسقف صيدنايا . ويظهر اليوم ان هذه الحاشية لا تُرى في الصفحة المذكورة . ولكن فيما وراءها في الصفحة ٢٨١ تعليق بخط حديث منسوخ عن انجيل في دير صيدنايا . وهذه صورته بالحرف :

« كان النجاز من نساخة هذا الانجيل المقدس . . . نهار الثلاثا سلخ شهر حزيران سنة سبعة الاف وثمانية لابينا آدم عليه السلام الموافق الرابع من شهر ذي الحجة من شهور خمسة وتسعماية للهجرة احسن الله عاقبتها واجمل ختامها . وكان المهتم بنساخته وانشائه العبد الاثيم . . . اسحق باسم قس ابن المرحوم القس ابرهيم ابن صالح ابن رشيد ابن الشماس يوسف ابن القس سمعان غفر الله له ولوالديه كتبه للاخ الروحاني الخير الديّن يونس ابن رشيد وولده سليم غانم الذي اوقفاه على كنيسة السيدة في قرية صيدنايا المعمورة . . . كان ذلك على ايام السيد الاسقف كير يوحنا اسقف كرسي ستنا السيدة في قرية صيدنايا . والسيد الاسقف المذكور هو ابن القس ابرهيم صالح اخ الناسخ المذكور اعلاه وهما من اهالي مدينة قارة »

وكان قبلاً في جملة مخطوطات دير صيدنايا الثمينة انجيل قديم مزوّق فيه تصاوير حسنة ملونة بقلم الكاتب وقف عليه الصديق عيسى افندي المعلوف في زيارته صيدنايا في ٢٤ ايلول سنة ١٩٠٩ وشاهده بعده الارشيدياكون نجم سميا في ٣٠ اذار ١٩٢٥ ح . ش . وذكر ان في آخره حاشية في مشبّك لا تختلف عن حاشية انجيل القبر المقدس السابقة . وقد تطلبت هذا الانجيل المزوق بين كتب

خزانة الدير في ٣٠ ايلول ١٩٣٠ فلم اجده . ولكني وقفت في مخطوط آخر رقم ١٣ فيهِ «اخبار الرسل القديسين الاطهار» على وقفية بخط القس اسحق المذكور آنفاً بنفس نسبهِ قال في ختامها انها تمت

«بامر السيد الاسقف كير يوحنا اسقف الكنيسة المقدسة (صيدنايا) بالبلد المذكور ادام الرب الاله رياسته وثبت قواعد كرسي قداسته امين»

ولعل هذا الاسقف هو الذي شهد المجمع الملتئم سنة ١٥٣٩ بحضرة البطريرك ميخايل بن الماوردي لتصحيح حساب الفصح على ما ورد في نسخة من كتاب في القواعد الشمسية ذكره المشرق (٥ [١٩٠٣] ص ٩٥٢)

ميخايل بن سليمان ابن الشماس الياس بن ميخايل المعروف بابن زويطة

قبل سنة ١٥٦٤

كان قبل اسقفيتهِ متزوجاً كعادة كل الكهنة غير الرهبان في ذلك العهد . وله ابن يُسمى الخوري سليمان باسم جده . ورد ذكرهما في حاشية المخطوط رقم ٦٦ من كتب خزانة القبر المقدس في منتصف الصفحة ٣١٩ وهذا نصها بالحرف :

« نضر في هاذا الكتاب المبارك العبد الذليل الذي لم يستحق ان يذكر اسمه بين البشر من كثرة خطاياه وجرايمه . بالاسم لا بالفعل خوري سليمان ابن المرحوم الاسقف ميخايل خادم كرسي ستنا السيدة بمعمورت صيدنايه . فكلمن قرا هذه الاسطر الحقيرة يدعي له بالمغفرة يكون له نضير ذلك من السيد المسيح ومن والتهِ (والدته) العذرى ومن القديس مار سابا ومن ميخايل وغبريل خادمين العرش الالهي . وذلك في تاريخ نهار السبت خامس عشر من شهر حزيران سنة سبعتلاف وخمسة وثمانين في القدس الشريف » (١٥٧٧ م)

وهذا التاريخ الاخير تاريخ مطالعة الكتاب . وكان الاسقف ميخايل قد توفي قبلاً في سنة لا سبيل الى تعيينها ولكنها على كل حال سابقة سنة ١٥٦٥ وهي التي يمكننا ان نثبت فيها ولاية الاسقف سماون كما سيجي.. واذا لم تكشف لنا يد البحث والتنقيب يوماً ما اثرًا جديدًا تتبين منه حياة اسقف آخر بعد يوحنا المتقدم الذكر يكون الاسقف ميخايل قد جاء بعد يوحنا في حقبة لا نستطيع ان نعرف متى بدأت ومتى انتهت ما دمنا نجهل سنة وفاة سلفهِ . ويظهر ان اسمهُ حين كان شماساً موسى كما يستفاد من تعليق آخر وقف عليه الاب قسطنطين الباشا في مخطوط رقم ٣١٣ من كتب خزانة دير المخلص هذه نسختهُ :

« هذا الطب الروحاني المبارك برسم خزانة بالاسم (اسقف صيدنايا ميخايل) ابن المرحوم سليمان ابن الشماس الياس ابن ميخايل يعرف بأبن زويطه رحمهم الله ورحم من ترحم عليهم »

وكان كاتب هذا التعليق قد كتب قبلاً « شماس موسى » في مكان الكلمات التي وضعناها بين هلالين . ولما صار الشماس اسقفاً ضرب خطاً على هذا الاسم وعلق فوقه « اسقف صيدنايا ميخايل » واغفل لسوء الحظ تدوين التاريخ

سماون

١٥٦٥ — ١٥٨٠

في خزانة باريس بين المخطوطات الملكية السريانية كتاب الميناون رقم ١٣٨ في الصفحة ١٥٥ منه حاشية عربية قيل فيها :

« كان المهتم في هذا الكتاب المبارك ... الاب الخوري يوحنا ابن ابرهيم

من قرية معرونية ... وكتبه العبد الاثيم يوحنـا باسم خوري بزي (راهب) ابن جرجس من قرية صيدنايا ... وذلـك بتاريخ اول شهر نيسان المبارك سنة سبع آلاف وثلاثة وسبعين لكون العالم (١٥٦٥ م) .... وذلك على ايام الاب الروحاني، الاقدس الطوباني، ورئيس كهنة الله الحقاني، الاب السيد الاسقف كير سياون ادام الرب الاله رياسته »

وفي خزانة الاستاذ عيسى افندي المعلوف بزحلة حسبما قرأته في برنامجها بخط يده « مجموعة تحتوي على ميامر وضعها القديس دروثاوس. تعاليم مختلفـة، كتبها لتلاميذه في ٤٠٠ صفحة ونيف . نسخة أهديت للبطريرك غريغوريوس حداد في ١٩ ك ١ سنة ١٩١١ » (ح . ش .)

« نسخت بيد الحقير ظوروثاوس باسم مطران خادم كنيسة مدينة طرابلس الشام في دير القديس ميخايـل في القدس بتاريخ الثلثا في عشرين كانون الثاني من سنة سبعة آلاف وسبعة وثمانين لادم (١٥٧٩ م) وكان ذلك بحضور الاخ السيد الاسقف كير سياون خادم كرسي ستنا السيدة بقرية صيدنايا . وكان نائباً عن ابينا البطريرك ميخايل الانطاكي ...

وبعد هذا القسم اجوبة عن مسائل ألقيت عـلى ابينا العظيم في القـديسين انسطاسيوس .. في نحو مائة صفحة . وهذا القسم الثاني اتم نساخته المطران ضوروثاوس السالف الذكر نهار الاثنين تاسع اذار عيد الاربعين شهيداً سنة ٧٠٨٧ لآدم بيده بمدينة القدس ... وذلك برفقة الاخ العزيز الاسقف كير سياون خادم كرسي صيدنايا بمقام ستنا السيدة في الحصن المعمور ... »

وفي خزانة الفاتيكان مخطوط ملكي سرياني رقم ٧٦ فيـه البركليتكون اي المعزي . في الورقة ٢٢٩ منه هذه الحاشية بخط المطران سياون :

« اوقف هذا الكتاب المبارك الاخ الحاج عيسى المذكور اعلاه (الراهب ابن القط) على دير القديسة بربارة بمعمورة صيدنايا فما لاحد سلطان من الله ان يغيره عن الدير المذكور بوجه من الوجوه . فمن تجاسر وغـيره عن الدير المذكور او

سرقه او باعه يكون ذلك الشخص كايناً كان محروم من الله ومن كل كاهن محق . وكتبه الحقير سياون اسقف صيدنايا بتاريخ نهار الثلثا حادي عشر كانون الثاني سنة ٧٠٨٨ لكون العالم » (١٥٨٠ م)

وهذه صورة الصفحة التي وردت فيها هذه الكتابة



وقد وقع الاشتباه بين هذا الاسقف وبين سميه واحد خلفائه سيماون الآتي ذكره . وظن كل من كتب عنهما انهما واحد بين سنة ١٥٧٣ و ١٦٢٧ (المشرق ١٣ [١٩١٠] ص ٥٧٧)

اثاناس او اثاناسيوس من دير عطيه

١٥٩١ _ ١٦٠٤

ورد ذكره في نسخة خطية من كتاب بستان الرهبان بين كتب دير صيدنايا رقم ٧٠ وبآخره تعليق ووقفية جاء بعدها ما نصهُ :

« لما كان بتاريخ آخر شهر ايار المبارك سنة سبع الاف ومايه لابينا آدم . . . (١٥٩٢ م) حضر الى هذا الدير المبارك دير ستنا السيدة بعمورة صيدنايا العبيد الخطاة . . . وهم العبد الخاطي ابراهيم بازي خوري وراهب والاخ القس يحنا . . . وكان صحبتهما الاخ العزيز يواكيم ابو فرح الكفرقاهلي من مدينة طرابلس . . . وكان على زمان الاب السيد الاسقف كير اثاناسيوس من قرية دير عطيه رحمنا الله ببركة صلواته المقدسة »

وفي الدير نسخ وقفيات في سجل صغير محفوظ في صندوق حديدي ورد فيها اسم المطران اثاناس بتاريخ سني آدم ٧٠٩٩ (١٥٩١م) و٧١٠٠ (١٥٩٢م) و٧١٠١ (١٥٩٣م) و١٧ ك ٢ ٧١١٠ (١٦٠٢م) و ٧١١١ (١٦٠٣ م) و ٧١١٢ (١٦٠٤ م) وبتاريخ سني الهجرة ١٠٠٠ (١٥٩١ م) و ١٠١١ (١٦٠٢ م) .وله توقيع بالسريانية على وقفية سنة ١٠١١ للهجرة (١٦٠٢م)

سمعان ابن الخوري شحاتة من قرية داريا في طرابلس

١٦٠٤ ـ ١٦٣٥

كذا ورد نسبه في حاشية له في كتاب بستان الرهبان من مخطوطات الدير رقم ٧٠ قال فيها :

« نظر في هذا الكتاب المبارك العبد الخاطي الى الله تعالى المسكين المحتاج الى رحمة ربه القدير سماون الحقير في روساء الكهنة من رهبان خادم الدير العظيم دير ستنا السيدة شفيعة المؤمنين ابن المرحوم الخوري شحاته من قرية داريا طرابلس المحروسة . الرب الاله يغفر له جميع خطاياه »

ولكن البطريرك الزعيم روى انه كان من قرية بشنين في بلد الزاوية (طرابلس) وهذا نص ما كتبه عنه في تاريخه المخطوط « اسامي بطاركة انطاكية » المحفوظ في دار التحف الاسيوية في ليننغراد قال :

« كان قبل بخوميوس المرحوم سماون الذي كان من قرية بشنين في بلد الزاوية . وصار ريس دير على دير كفتون الذي هو عند نهر الجوز ببلاد طرابلس . ولاجل انه كان يعلم ساير اهل الدير الامساك والصلاة والتعب والتقشف وباقي الفضايل . وكان يوبخهم على اجتنابها فمقتوه . وكان خلف كنيسة ديرهم مكان فيه مقبرة رهبان الدير . وكانت عادة كهنتهم كل يوم يدخل الكاهن قبل صلاة السحرية ويبخر تلك المقبرة . وكان ذلك المكان مظلماً . وان الرهبان كفنوا واحد منهم وابقوه مطروح فوق تلك المقبرة كمايت . فلما دخل هذا الكاهن سمعان ليبخر تلك المقبرة فنهض اليه بغتة ذلك المكفن وصرخ في وجهه . فللوقت من خوفه سقط على الارض والتوق فمه . فحملوه كمايت . فاقام مريضاً في قلايته سبعة اشهر . فلما تعافى قال للرهبان « حي هو الله باني من الان لست اقيم معكم » وانه ذهب الى طرابلس . وكانوا اهلها مجتهدين ان يضعوا رهبان في دير القلمند لانه كان وقتئذ خالياً من الرهبان . فلما وجدوا هذا سمعان عندهم فرحوا به كثيراً . فاخذوه وضعوه في دير القلمند . واقاموا معه غيره وجاهد هناك السيرة

الحسنة . وهو الذي كان السبب في عمارة هـذا الدير . فلما تنيح اسقف صيدنايا فارسل دروثاوس البطريرك ابن الاحمر وقتئذ واستحضره من دير الفلمند وشرطنه اسقفاً على صيدنايا . واقام بها سنينا كثيرة ودبر رعيتـه حسناً . وتنيح بصيدنايا وبها دفن » (ص ٧٣ ــ ٧٤)

ويستنتج من هذه الرواية ان تسقيفه على صيدنايا كان في سنة ١٦٠٤ وهي السنة التي توفي فيها سلفه اثاناسيوس وبدأت بها بطريركية دروثاوس ابن الاحمر . واخر تاريخ ذُكر فيه سنة ١٦٣٥ كما سيجي . فتكون حياته الاسقفية المعروفة اليوم بلغت ٣١ سنة . واليها اشار البطريرك مكاريوس بقوله فيما تقدم « اقام سنين كثيرة » وفي بعض الروايات انه عاش الى ما بعد ١٦٣٥

ومن الآثار التي ذكر فيها ايضاً مخطوط ملكي سرياني رقم ٣٤٧ في خزانة الفاتيكان فيه ميناون شهري نيسان وايار في الصفحة ٩٤ منه هذه الكتابة :

« تم وكمل ما كان نقص من هذه الشهر المبارك وهي خمسة ايام على يد الحقير كاتبه سياون بالاسم اسقف وبزي راهب مسكين خادم الدير العظيم دير ستنا السيدة شفيعة المؤمنين المعروف بحصن صيدنايا المأيدة وذلك في العشر الاوسط من شهر ايار المبارك الموافق من سني العالم سبعة الاف وماية واثنين وثلاثـين للكون (١٦٢٤ م) ... »

وتجد بازاء هذه الصفحة صورة الكتابة بتمامها

وورد له تعليق اخر في الورقة ١٩١ من الكتاب نفسه هذه نسخته :

« تم شهر ايار المبارك نهار الاربعا تاسع عشر ايار سنة سبعـة الاف وماية وثلاثين للعالم وذلك بيد العبد الاثيم الخاطي المسكين سياون باسم اسقف حقير على قرية صيدنايا من بلد الشام »



وله في خزانة باريس حاشية على كتاب المزامير بالسريانية رقم ٢٠ خط سنة ٧٠١٨ = ١٥١٧ في ٥ تشرين الثاني وهي بخطه فيما يظهر في الورقة الاولى قال فيها :

« وكان المهتم في شراة هذه المزامير السريانية المباركة نهار الاثنين المبارك

الموافق من شهور سنة سبعة الاف ومائة واربعة وثلاثين لكون العالم (١٦٢٦ م) الحقير في روسا الكهنة سياون باسم اسقف بزي راهب خادم دير ستنا السيدة المعروف بحصن صيدنايا دير البنات من معاملة دمشق الشام اشتراها بماله لنفسه بمبلغ قدره غرش ونصف. والحقير اوقفها على دير ستنا السيدة بحصن صيدنايا دير البنات فما لاحد سلطان من الله تعالى ان يغيرها عن الدير المذكور ... »

وبعد سنتين من هذا التاريخ اي في سنة ١٦٢٨ في اول حزيران منها كان في دير السيدة في بلدة الراس من اعمال بعلبك في جملة الاساقفة الذين اجتمعوا لاسقاط البطريرك كيرلس الدباس وتثبيت خصمه البطريرك اغناتيوس عطيه كما جاء في نسخة منشور عندنا من ذلك العهد

وفي مجموع للبطريرك مكاريوس الزعيم بتاريخ ٧١٦٥ لآدم (١٦٥٧ م) محفوظ في دار التحف الاسيوية في لينينغراد رقم ٣٠، وهو من جملة المخطوطات التي اهداها المرحوم البطريرك غريغوريوس الحداد لقيصر روسية نقولا الثاني، ان رسامة البطريرك افتيميوس الصاقي سنة ٧١٤٣ (١٦٣٥ م) كانت على يد فيلوثاوس مطران حمص وسياون مطران صيدنايا ويوا كيم اسقف الزبداني (ص ٢٧)

وقد تكرر اسم سياون في صوَر وقفيات مختلفة منسوخة بغير ترتيب في سجل صغير محفوظ في الدير مؤرخة بالسنين الآتية :

لادم ٧١١٧ (١٦٠٩ م) و ٧١٢٢ (١٦١٤ م) و ٧١٢٥ (١٦١٧م) و ٧١٣٩ (١٦٣١ م) و ٧١٤٠ (١٦٣٢ م)

وللهجرة ١٠٢١ (١٦١٢ م) و ١٠٣٠ (١٦٢٠ م) و ١٠٤١ (١٦٣١ م)

وله توقيعات بالسريانية على وقفيات بتاريخ ٧١١٧ لآدم (١٦٠٩م) و ١٠٣٠ للهجرة (١٦٢٠ م) و ١٠٤١ (١٦٣١ م)

بخوميوس الصافي

١٦٣٦ + ١٦٤٥

كان بلديّ البطريرك افتيميوس المصور المعروف بالرومي . وهو الذي انتدبه لاسقفية صيدنايا . يظهر انه قدم دمشق في زمن البطريرك اغناتيوس عطية . وفيها تعلم دون ريب الكتابة العربية . وكان قاطناً الدار البطريركية كما يؤخذ من تعليق له بيده على « كتاب مواعظ القديس يوحنا فم الذهب » رقم ٢ من كتب الدير قال فيه :

« علقه بيده الفانية الضعيف النحيف بخوميوس باسم كاهن من جزيرة ساقز قاطن بمحروسة دمشق في دار البطركية بتاريخ نصف اذار سنة ٧١٤٨ » (١٦٤٠ م)

الفقير بخوميوس

(توقيعه بالرومية)

وفوق هذا التوقيع في الورقة الاخيرة من الكتاب كتابة له رومية في خمسة اسطر الى جانبها ستة اسطر اخرى يمكن ان يستفاد منها بعض اخباره . وكان في الرغبة نَقْلُ هذه الكتابات كلها بالتصوير ونشرها هنا مثالاً من قلمه وسنداً في التعريف به . ولكن حال دون هذه الامنية سوء اخلاق بعض وكلاء الدير وجهلهم قيمة العلم وزهدهم في كل امر لا يعود عليهم بالنفع والربح ولو كان فيه طيب ذكر الدير وخدمة تاريخه واربابه

ولعل بخوميوس تعلم ايضاً السريانية لاحتياج كل اساقفة صيدنايا اليها . وكان اكثر سلفائه كما تقدم لنا اثباته يكتبونها او يتكلمون بها . فلم تكن له مندوحة عن تحصيلها . ونظراً لمعرفته وهو كاهن

اللغتين الرومية والعربية اختاره البطريرك افتيميوس كرمة لما تبوأ الكرسي الانطاكي سنة ١٦٣٤ ليذهب الى رومة ويحمل الى المجمع المقدس كتابَي الافخولوجيون والارولوجيون اللذين كان استخرجهما الى العربي حينما كان مطراناً في حلب وتوسل الى البابوات بولس الخامس وغريغوريوس الخامس عشر وأربانس الثامن في طبعهما في رومة احساناً الى مسيحيي الشرق . وكان قد سبق له مع عاصمة الكثلكة مراسلات في شأن هذه المطبوعات وتعريب الكتاب المقدس تدل على طيب طويته وصحة ايمانه وشدة اتضاعه لا يرتاب قارئها لصدق لهجتها وضراعة خطابها انه كان كاثوليكياً مخلصاً في اعتقاده . وقد شهد معاصره الاب ناخي رئيس اليسوعيين في الشام ومصر انه كان كاثوليكياً محباً للاباء يكلفهم تلقين الاولاد التعليم المسيحي ومطارحة كهنته في بعض المحاضرات[1] . ومن امثلة تصاغره وخضوعه قوله في كتاب كتبه في اواسط شهر تشرين الاول سنة ٧١٤٠ (١٦٣١ م)

« الى المجمع المقدس الذي هو عـلى صخرة الايمان مؤسس . المختص بسيدنا البابا ادام الله تشييده

. . . ان رسم ابونا الطوباني سيدنا البابا وعمل معنا احسان . ورضي يخدم عبيده الذليلين الذين يقبلوا اقدامه الطوبانية بتواضع كثير . نسأل الله ان يجعله دايم على روسنا ، ويحفظ المجمع القدس باسره خصوصاً حضرتكم . والمامول تشرفونـا بجواب كتابنا حتى نرسل لكم الكتب المذكورة ونرسل معها كاتبنا لانه يكتب بالعربي والرومي . انهينا لحضرتكم ذلك »

---

(1) *Lettres Edifiantes et Curieuses.* Nouvelle édition, Paris 1780 t. I p.124, *lettre du Père A. M. Nacchi au R. P. Michel-Ange Tamburini Général de la Compagnie.*

ولما بلغه بعد ارتقائه السدة البطريركية جواب المجمع بارسال الكتابين المشار اليهما سابقاً انتدب الخوري بخوميوس لايصالهما . وكتب معه الكتاب الآتي نقتصر منه على ما جاء فيه ذكر بخوميوس فقط . افتتحه بقوله :

« من العبد الفقير افتيميوس الى سيدنا البابا المعظم والى المجمع المقدس المفخم والسادة الكردينالية ادام الله احسانهم

« معروض التلميذ الاصغر والمحب الاكبر ان سيدنا يسوع المسيح قال في الانجيل المقدس اطلبوا تجدوا . اسألوا تعطوا . اقرعوا يفتح لكم . ونحن طلبنا من احسان سيدنا البابا المعظم . ومن المجمع المقدس المكرم . طبع بعض كتب الكنيسة المسيح الذي هو اساسها وقاعدتها . وجانا من حضرتكم مكاتيب بان نرسل لكم الكتب لتطبعوها . فالواصل الى جنابكم الكريم صحبة اخونا المطران اسحق المكرم وصحبة تلميذ القلاية الخوري بخوميوس البروطوصنجلوس . كتابين الواحد افخولوجيون والاخر اورولوجيون اخرجناهم من الرومي الى العربي بحسب الامكان من نسخة رومية طبع ومن نسخ كثيرة خط . وهما محتاجين الى عدة اشيا ضرورية لازمة

الاول . . . .

التاسع نلتمس من احسانكم اذا كمل طبع الكتب تشدوهم كلهم وترسلوهم مع تلميذ القلاية الخوري بخوميوس بمعرفة اخونا المطران اسحق المكرم . واذا لم يتيسر مجيهم الى بلادنا ترسلوهم الى مدينة اورشليم المقدسة . . . »

ولا ندري متى بلغ بخوميوس رومة وكم مكث فيها . وليس لدينا ايضاً ما نعلم منه ما فعل هنالك فيما عدا تسليم الكتابين للطبع . ولم نجد له في ديوان سجلات المجمع سوى الرسالة الاتية الوحيدة . ومنها يتضح انه تعرف في رومة بكبار الكرادلة . وانه لقي في رجوعه في البحر اشد العواصف وبقي ستة اشهر

ونصف شهر حتى وصل دمشق . وكان البطريرك افتيميوس كرمة في هذه الغضون قد انتقل الى جوار ربه في ١/١٢ كانون الثاني سنة ١٦٣٥ . وهذه صورة الرسالة المذكورة وهي بتاريخ نهار السبت ١٩/٣٠ اذار سنة ١٦٣٦ ولا بد من معارضة خطها بخط كتاب مواعظ القديس يوحنا فم الذهب رقم ٢ من كتب الدير وقد ذكرناه آنفاً وهو منسوخ بيده لنتحقق هل هما من قلم واحد

وكان البطريرك افتيميوس كرمة قبل وفاته قد كتب لرومة راغباً بالانضمام الى الكنيسة الكاثوليكية[1] . فلما همَّ بخوميوس بالرجوع دفع له المجمع نفقة سفره وسلمه دستور ايمان ليوقع عليهِ البطريرك وبعض نسخ من التوراة العربية ليوزعها على بعض من يحسن معارضتها والنظر في تعريبها . فلما علموا في المجمع وفاة البطريرك افتيميوس كرمة كتبوا لبخوميوس ان يخاطب خلفه البطريرك افتيميوس الصاقسي بالاتحاد والوفاق بموجب العقيدة الكاثوليكية التي سُلمت اليه[2] . وهو ما يستدل منه ان المجمع كان حسن الرأي في بخوميوس يعده كاثوليكياً او مشايعاً للكثلكة

ولا نعلم ايضاً متى صُيّر بخوميوس اسقفاً على صيدنايا بعد رجوعه من رومة ولعله كان سنة ١٦٣٦ . وقد ذكره البطريرك مكاريوس الزعيم في كتابه تاريخ الكرسي الانطاكي فقال ولم يعين زمن تسقيفه :

« المرحوم بخوميوس الصاقزي تلميذ المرحوم اغناطيوس فهذا شرطنه افتيميوس

(1) Acta S. C. di Propaganda Fide 1635 fol. 207 v°
(2) ibid 1636 fol. 141 v°

صورة رسالة بخوميوس



180

101

الى حضرة الاب الاقدس السيد الفاضل مولانا ابنكولي فرانسيسكو المكرم حفظه الله

بعد تقبيل اياديه من تحسبي الافلاك ان تقبل له قدما وتستدعي البروان في افضاء الادوار
ان تكون له خدما السيد المشار اليه اعلاه ادام الله بوجوده النفع للانام وجبر احسانه
قلوب الخاص والعام يهدي بعد المحب القديم سلام اذكى من العنبر الشميم ودعاء مرفوعا
انشاء الله تعالى الى خير قبول المولى الرحيم وسيدي ذا من شوق شديد وثناء حميد
وبعده ان سالتم عنا فانا في كل خير لكن قاسينا في البحر شديد كثير بتباسة [illegible] حتى
وصلنا الشام ودخلنا الى السيد البطريرك وقبلنا اياديه واعطيناه الكتب والمكاتيب وفرح
فينا كثيرا ومن خصوص كتب التوراه ارسلنا الى طرابلوس واحد منهم والباقي نرسلهم الى مصر
والى حلب والى البلاد يقابلوهم وينظروهم فاذا تاملوهم ويعجبهم نرسل لكم الجواب الشافي
واما من جهة كتب الذي ابتياعهم عندكم تحصل اهتمامكم الغالبه في طبعهم ولكم بذلك الاجر
والجزا من السيد المسيح وكان السيد البطريرك يبعث لكم مكاتيب لكن بينتظر الجواب
من البلاد عن التوراه وبعدها بيجيكم الكتاب بالتفصيل ونقبل عنا ايادي الساداة
الكرماليه كردنال فرانسيسكو باربرينو وكردنال انطونيو والى جميع الكتاب وكل من هو
عندكم كبار وصغار دانم في امان الله تعالى يحفظه ويخفي لطفه والدعاء

الداعي

الرومي مطرانا على صيدنايا . وارسله الى الكرج . ثم حظر ودبر اهلها تدبيراً حسناً واقام بها مدة من السنين وبها توفي ودفن » (ص ٧٣)

ولسوء الحظ لم يذكر البطريرك مكاريوس كعادته في اكثر ما دونه من اخبار اساقفة كرسيه سنة سفر بخوميوس الى بلاد الكرج وعودته منها . ولا ندري كم يعني بقوله « مدة من السنين » لان بخوميوس توفي بكل تحقيق في سنة ١٦٤٥ . فاذا رجحنا ان تسقيفه كان سنة ١٦٣٦ وقدرنا ان سفره دام نحو سنتين بين ذهاب واياب وطواف في المدن الكرجية كانت اقامته في صيدنايا لم تتجاوز سبع سنين . وهذا شاهد وفاته وجدناه في تعليق على انجيل يوناني من كتب الدير رقم ٢١٨ كتب بآخره :

« ... اوقفه القس موسى تلميذ الاب البطريرك كير يواكيم الانطاكي بمحروسة دمشق الشام . واهتم بتفضيضه القس سليمان ابن المرحوم موسى بن سنـبل وذلك بتاريخ سنة سبعة الاف ثمانية وتسعين لكون العالم » (١٥٩٠ م)

وبعد ذلك :

« كتب هذه الوقفية ونسختها من ورقة عتيقة الخوري ابرهيم الراهب الدرعطاني ومرباه من صغر بقلاية المطرانية بصيدنايا المحروسة بايقونتها ستنا السيدة المأيدة بالايات . وشد هذا الانجيل المبارك ثاني مرة سنة ثلاث وخمسين بعد المائة والالاف السبعة (١٦٤٥ م) في رياسة المطران كير بخوميوس على الدير المذكور . وبعد ذلك تنيح في ذلك السنة ... »

وفي الدير ايضاً « كتاب مواعظ القديس يوحنا فم الذهب » المشار اليه انفاً نسخة بقلم الاسقف بخوميوس رقم ٢ باوله وقفيـة للبطريرك افتيميوس الرومي بخط الخوري يوحنا عويسات قيل فيها :

« اوقف هذه المواعظ المباركة المتنيح الى رحمة الله تعالى الاخ المطران كير بخوميوس مطران صيدنايا الساقزي على كنيسة ستنا السيدة بقرية صيدنايا وهي

بخط يده . اوقفها عن روحه وروح والديه طالباً بذلك الاجر والثواب ... فكل من غيرها عن الوقفية المذكورة او اختلسها ... يكون محروم من كل كاهن محق ومن فمي انا الحقير البطريرك الانطاكي ... حرر في عشرين تشرين الثاني سنة سبعة الاف ماية واربعة وخمسين لابينا ابو البشر » (١٦٤٥ م)

وتحت ذلك

توقيع البطريرك بالرومية

وليس اليوم في صيدنايا اقل اثر لمدفن بخوميوس او مدافن من سبقه او خلفه من اساقفة الدير

يواصف الطرابلسي ابن الحاج نعمة

من قرية بزيزا (الكورة)

١٦٤٥ ـ ١٦٤٨

كان قبلاً اسقف قارة وهو احد الاساقفة التسعة الذين كانوا احياء لما تبوأ مكاريوس الزعيم السدة البطريركية وذكره في كتابه تاريخ الكرسي الانطاكي فقال :

« الثامن فكان يواصف الذي من قرية بزيزا بلاد الكورة مطران صيدنايا . فهذا كان سابقاً مطراناً على مدينة قارا . فهذا كان متشرطناً عليها اسقفاً من المرحوم اغناطيوس وكان قد اقام بها زماناً طويلاً . فلما خلت قارا من النصارى . وكانت وقتئذٍ صيدنايا اسقفها بخوميوس الرومي قد تنيح ودفن بها . فارسل افتيميوس الرومي ونصب هذا يواصف مطراناً على صيدنايا » (ص ٦٥)

فهو اذن احد من انتدب للاحتفال بتنصيب البطريرك المذكور سنة ١٦٤٧ صحبةُ حين قدم من حلب ومعه ملاتيوس مطران حماة . وفيلوثاوس مطران حمص . فسار معهم من صيدنايا الى دمشق (سفرة البطريرك مكاريوس للشماس بولس الحلبي ص ٨) ولم نقف له على

ذكر بعد سنة ١٦٤٨ فلعله توفي فيها . وهو فيما يظهر اول من جمع بين رئاسة الكرسيين في قارة وصيدنايا . ولعل هذه المرة هي الوحيدة التي أضيفت فيها صيدنايا الى قارة

وقد قدمنا القول انه نسخ بخط يده كتاب القنداق بالسريانية والعربية بتاريخ اول كانون الثاني سنة ٧١٥٤ لآدم (١٦٤٥م) والنسخة مصونة لليوم في دار مطرانية السريان الكاثوليك بدمشق كتب اسمه فيها « الحقير الفقير يواصف باسم مطران صيدنايا وقارا »

وله دون شك مخطوطات اخرى نقل بعضها منذ كان في قارة . منها قنداق ملكي بالسريانية والعربية محفوظ عندنا فرغ منه في اواسط شهر تشرين الثاني سنة ٧١٣٩ لآدم (١٦٣٠م) لانه كان فيما يظهر يرتزق من النسخ والكتابة كما يستفاد من شهادة الاب برناردان سوريوس رئيس دير القبر المقدس حين زاره في صيدنايا في ٧ ايلول سنة ١٦٤٦ ومعه راهبان يسوعي و كبوشي . وهذا نص ما كتبه عنه قال :

« وتوجهنا لزيارة الاسقف فاحضر لنا حالاً ما نأكل حسب العادة . وهو ذو مهابة ولكنه في غاية البساطة . ولا دخل له يعيش منه الا ما كان يأتيه من نسخ الكتب[1] »

وله وقفية بتوقيعه على مخطوط بالدير رقم ٦٩ وهو « كتاب السنكسارات التي الفها الجليل نيكيفورس الاكسانتوبولي في اعياد التريودي المشهورة » جاء باخره ما يأتي :

« تم وكمل الكتاب . بيد العبد الفقير ... التلميذ الخوري ابراهيم ابن المرحوم يوحنا بن شكور الدرعطاني الكاتب يومئذ بمحروسة صيدنايا المأيدة بالحصن العامر .

(1) Bernardin Surius: *op. cit.*, p. 341-342.

ويعرف بدير البنات . وخادم كنيستها ... وذلك في اواخر شهر تشرين الاول
المبارك سنة سبعة الاف ماية خمسة وخمسين لادم عليه السلام الموافق اول شهر شوال
سنة ستة وخمسين بعد الالف (١٦٤٦ م) وكتب في زمان رياسة الاب الاقدس
الكلي الغبطة والزايد الحكمة المطران كير يواصف مطران صيدنايا ادام الله تعالى
رياسته ويرحم ضعف التلميذ الكاتب ببركة صلواته ومستجاب دعواته

المجد لله دايما

الحقير في روساء الكهنة يواصف مطران صيدنايا

هذا السنكساري المبارك مفسر من اللغة الرومية الى العربية وهو يقال من
احد القريبي والعشار الى احد جميع القديسين وهو وقفا موبدا وحبسا مخلدا على كنيسة
ستنا السيدة بقرية صيدنايا العامر المستاهل المدح لاجل اكرام الايقونة الطاهرة
الفايضة الحيل في الطاقة السعيدة فما لاحد سلطان ان يغيره عن الوقفية ... »

(توقيعه بالرومية)

واخر ما ورد ذكره في نسخة وقفية محفوظة في سجل بالدير
تاريخها ١٠٥٨ للهجرة (١٦٤٨ م)

جراسيموس

١٦٦١

هو اسقف الزبداني أضيف اليه كرسي صيدنايا كما يُؤخذ من وقفية
بتوقيعه على كتاب السنكسارات السابق الذكر رقم ٦٩ هذا نصها :

« الحقير في روسا الكهنة جراسيموس مطران الزبداني وصيدنايا وما يليها
هذا الكتاب المبارك المشتمل على سنكسار التريودي وبعض اخبار القديسين هو
وقفا موبدا وحبسا مخلدا على كنيسة السيدة بدير صيدنايا ... حرر في نهار الخميس
تاسع عشر يوم مضت من شهر ايلول المبارك سنة سبعة الاف وماية وسبعين لابينا
ادم عليه السلام الموافق لسنة الف واثنين وسبعين للهجرة (١٦٦١ م)

(توقيعه بالرومية)

وهذا الاثر هو الوحيد الذي رأينا له فيه ذكراً في ما وقفنا عليه لغاية اليوم من المخطوطات والاوراق . ومن الغريب ان البطريرك كيرلس الزعيم لم يشر اليه في الحواشي التي علقها بخطه على هامش كتاب جده البطريرك مكاريوس «اخبار بطاركة انطاكية» ولما بلغ الى كلام جده على وفاة يواصف كتب بقلمه « بعد وفاته شرطن المرحوم ماكاريوس الكاهن عازار المكنا بابن ابو الجوز مطران على صيدنايا » (ص٧٣) فلعله عدّ رئاسة جراسيموس على صيدنايا ولاية عرضية

لاونديوس ابن ابي الجوز

١٦٧١ _ ١٦٨٦

لا نعرف بالضبط السنة التي انتدبه فيها البطريرك مكاريوس الزعيم لخلافة يواصف بعد جراسيموس . ولعلها لم تسبق سنة ١٦٧٠ و١٦٧١ اي قبل وفاة البطريرك نفسه. وعلى كل فمن الثابت المقرر انه اشترك مع غريغوريوس مطران حوران ، وورمانوس اسقف الزبداني ، وجرمانوس اسقف يبرود في رسامة حفيد مكاريوس اي البطريرك كيرلس الزعيم[1] . وقد نص الخوري بريك على ان اليوم كان نهار الثلاثاء ٢ تموز سنة ١٦٧٢ . ولكنه انحرف عنه بعد سنوات . ولما تطلب البطريركية اثناسيوس الدباس ونازع عليها كيرلس ، كان لاونديوس احد من مالأه من اساقفة الكرسي الانطاكي واحتفل بالصلاة عليه . وكان ذلك فيما نص عليه بريك ايضاً يوم الاربعاء في ٢٥ حزيران سنة ٧١٩٤ للعالم (١٦٨٦ م)

(١) تاريخ طراد في ذيل الخلاصة الوافية لميخايل بريك

وفي مخطوطات صيدنايا في الدير انجيل عربي رقم ٥ في الورقة الاخيرة منه وقفية قيل فيها :

« المجد لله دايما (بين ختمين)

الحقير في روسا الكهنة ملاتيوس مطران حصبيا وما يليها اوقف هذا الانجيل الطاهر والمصباح الزاهر المذكور اعلاه عن نفسه ونفس والديه على ديرستنا العذرى في كنيسة حصن صيدنايا العالي على زمان رياسة الاب المطران كير لاونديوس ... وحرر ذلك ثاني وعشرين من شهر نيسان سنين سبع تلاف مايه تسعة وثمانين آدمية » (١٦٨١ م)

وجاء اسمه ايضاً في نسخة وقفية في سجل محفوظ بالدير تاريخها ١٠٩١ للهجرة (١٦٨٠ م)

يواصف ابن خلف

بعد ١٦٨٦

انفرد بذكره البطريرك كيرلس الزعيم في تعليقه على كتاب جده المشار اليه آنفاً حيث كتب بخطه «بعد وفاة المطران لاونديوس شرطنا مطران ابن خلف» (ص ٧٣) ولم يعين له سنةً كعادته في سائر تعليقاته

جراسيموس الدمشقي

١٧١١ — ١٧٢١

اغفل البطريرك كيرلس الزعيم ذكره في تعليقاته على كتاب جده البطريرك مكاريوس كما سها عن سنة تعيين سلفه يواصف بن خلف ووفاته . مع انه هو الذي اختار الاثنين وصلى عليهما . وغاية ما يعرف من اخبار جراسيموس بعض اشارات اليه وردت في رسائل معاصره افتيميوس الصيفي مطران صور وصيدا . ويؤخذ

منها انه هو الذي اشار على البطريرك كيرلس بتسقيفه لما توسم فيه من حب السلامة وبعض الميل الى الكثلكة حسبما ذكر عنه في رسالته الى البابا اكليمنضوس الحادي عشر بتاريخ ٢٠ ايلول = ١ تشرين الاول سنة ١٧١٦ حيث قال :

« ايضاً نخبر قداستكم هو اننا سابقاً اخبرنا ابوتكم المطوبة عن رجل خوري كان قريب للايمان . فسعينا فيه حتى صار مطران صيدنايا وديرها[1] »

وقد كتب عنه مراراً الى رومة ولكنه لم يذكر قط في اي سنة تم انتخابه . ولعله كان سنة ١٧١١ على ما يتبين من قراءة ختمه في ذيل رسالة له في خزانة مجمع نشر الايمان بتاريخ سنة ١٧٢١ . وعلى كل فقد كان اسقفاً دون مراء سنة ١٧١٢ وهي التي ارسل فيها افتيميوس رسالة الى مجمع الكرادلة بتاريخ ١٥/ ٢٦ ايلول وشرح لهم فيها احوال الكرسي الانطاكي وذكر اساقفته واحداً واحداً دون ان يسميهم وبدأ باسقف صيدنايا ووصفه بقوله وهو لا يخلو من الفكاهة :

« بقربه (اي بقرب البطريرك كيرلس) اسقف صيدنايا . شامي رجل على باب الله . قداسه برطل نبيذ . ما دام النبيذ في قلايته المسيح راضي عليه[2] »

فهو اذن دمشقي المولد . ولكن لا نعلم ما كانت اسرته وما كان اسمها . وقد سبق من شهادة السمعاني وقد لقيه في الدير سنة ١٧١٥ انه كان رجلاً سليم القلب مستقيماً يتكلم باللسان السرياني فضلاً عن العربي

وكان المطران افتيميوس اجابة لرغبة المجمع المقدس قد حاول جهده سنة ١٧١٦ في اقناع البطريرك كيرلس باطراح الشقاق والرجوع

(1) Scritture Originali Riferite vol. 608 f° 116v
(2) Scritture Originali Riferite vol. 585. N° 330.

الى الاتحاد. واوفد اليه ابن شقيقته الخوري سيرافيم طاناس (بطريرك الغد) ومعه القس باسيليوس شاهين والشماس ابراهيم فينان (اسقف بانياس فيما بعد) ليطارحوه في مسائل الخلاف. ويقيموا لديه الحجج الكافية على صحة معتقد الكنيسة الرومانية. ووجوب التسليم برئاسة البابا. وبعد ان قضوا لديه في دمشق ثلاثة اشهر وثلاثة عشر يوماً انطلقوا في ١٢/١ تموز الى صيدنايا وخاطبوا اسقفها بمثل هذه الدعوة. وشرحوا له اصول المعتقد الكاثوليكي فاقر بها طواعيةً. ووقع على قانون الايمان الذي عرضوه عليه وبعث به الى المطران افتيميوس ليطلع عليه ومعه الكتابان الآتيان للبابا اكليمنضوس الحادي عشر ولمجمع الكرادلة بتاريخ ٢١/١٠ تموز من السنة نفسها. وهذه امثلة الآثار الثلاثة صورناها عن الاصول المصونة في خزانة مجمع نشر الايمان

الاثر الاول

باسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد امين — صورة امانتي انا الحقير [illegible] مطران صيدنايا

انا اومن واصدق واقبل واكرم جميع ما تؤمن به وتعتقده الكنيسة الواحدة الجامعة المقدسة الرسولية الرومانية التي هي ام ومعلمة
جميع الكنائس تحت تدبير رئيس واحد اعني به خليفة مار بطرس نائب سيدنا يسوع المسيح والرئيس العام لها : وادين جميع ما ينقض
قانون الايمان المقدس المستعمل في هذه الكنيسة المقدسة المذكورة [illegible] : واقبل جميع المجامع التي
صارت اولا واخيرا وتثبت بسلطان الحبر الروماني نائب سيدنا يسوع المسيح المحفوظ من الغلط في الايمان المقدس : وايضا اومن
داخل المجمع الفلورنتيني وما تثبت فيه من حقائق الايمان اعني ان الروح القدس منبثق من الآب والابن صادرا من كليهما صدور [illegible]
[illegible] وان انفس الابرار حين انفصالها من اجسادها تمضي الى السماوات وتشاهد [illegible] مشاهدة وانفس
الخطاة في حال انفصالها من اجسادها في حال الخطيئة المميتة [illegible] جهنم [illegible] والانفس التي تنفصل من اجسادها
ملوثة ببعض هفوات [illegible] للخطايا المميتة [illegible] في المطهر [illegible] القداديس والصلوات
والصدقات وكل اعمال البر المقدمة عنها من المؤمنين في هذا العالم [illegible] السابقة وان القداس [illegible]
كلام [illegible] الجوهري الملفوظ من الكاهن على الخبز [illegible] كان او خميرا وان كل واحد [illegible] طقس كنيسته شرقية كانت ام غربية
وان البابا الروماني هو خليفة مار بطرس الرسول ونائب سيدنا يسوع المسيح على كنيسته كلها [illegible] فلذلك ادين [illegible]
[illegible] الانجيل [illegible]
[illegible]
[illegible]
وكيلي المذكور [illegible] يوم عاشر شهر [illegible] سنة الف وسبعماية وستة عشر [illegible]

الاثر الثاني

[illegible] الاب الاقدس البابا [illegible] الروماني [illegible]

والذي نشهد به [illegible] الى عندنا الى قرية صيدنايا في دير [illegible]

في اول [illegible] سنة [illegible] مطران صيدنايا

ومعه تلاميذ [illegible] المطران المذكور القسيس [illegible] شاهين والشماس ابراهيم [illegible]

المذكورين [illegible] حقايق الايمان [illegible]

[illegible]

في هذا الزمان [illegible] حقايق الكنيسة الرومانية [illegible] جميع [illegible]

[illegible] المذكور [illegible]

[illegible] المجامع المقدسة [illegible]

[illegible] الغلطات [illegible]

[illegible] الكنيسة الرومانية المقدسة [illegible]

[illegible] في صحيفة [illegible]

جميع [illegible] الغلطات والعناد [illegible]

[illegible]

الكنيسة المقدسة [illegible]

[illegible] الغلطات [illegible] حقايق الايمان [illegible]

[illegible]

[illegible] حقايق الايمان [illegible]

[illegible]

[illegible] صيدنايا [illegible]

والانا جيل المقدسة [illegible] صيدنايا [illegible]

[illegible] سنة ١٧١٦ [illegible] 904

[illegible] صيدنايا

الأثر الثالث

355

[illegible]

واختار جراسيموس للنيابة عنه في حمل رسالتَيه وعقيدته الى رومة الشماس ابرهيم فينان . قال المطران افتيميوس في رسالته المشار اليها سابقاً الى البابا اكليمنضوس الحادي عشر :

« وفي الحال انتخب الشماس ابرهيم تلميذنا بشورة الخوري سارافيم كي يكون نائباً عنه بتقديم الطاعة وكمال ايتحاده مع الكنيسة الرومانية . وارسل معه صحيفتي ايمانه الى عندنا بغير غلاف براني حتى نطلع عليهم ونتأملهم ان كانوا كافيات . وترجا عندنا ان نوجه معهم ناقلهم الينا شماسنا المذكور نحو قداستكم . ولما تحققنا من مكتوبه بعد شهادة تلاميذنا الكهنة الواقفين على اقراره وان ايمانه من كل قلبه، وطالب بذلك خلاص نفسه، تممنا رجاه وكملنا كهنوت ولدنا الشماس ابرهيم بدرجة القسوسية ودعينا اسمه غبريل حسب عوايدنا[1] واقتضا امرنا ان يتوجه ابن اختنا الخوري سارافيم لتقبيل اقدامكم نائباً بتقديم الطاعة عن الذي اختاره لهذه الوضيفة والخدمة المقدسة »

وقد ذكر مجمع نشر الايمان في سجلاته خبر وصول القس جبرايل فينان رسولاً عن جراسيموس اسقف صيدنايا . وهذا نص ما كتبه عنه في محضر جلسة ٢٥ كانون الثاني سنة ١٧١٧ :

E venuto anco all'unione colla Santa Chiesa Romana Monsignore Gerasimo Arcivescovo Greco di Saydenaia, et ha mandato la sua professione della fede, simile a quella di Monsignore Cirillo, scrivendo d'haver fatto noto d'insegnarla, e predicarla a suoi nazionali e sudditi sin che egli vivera.

Ha anco spedito colla sudetta professione di Fede, e lettere tanto a Sua Santità quanto alla Sacra Congregazione D. Gabriele Finani ; il quale con memoriale a parte rappresenta all'E. E. V. V. come per la stravaganza de tempi, che hanno

---

(١) يتضح جلياً من هذه الرسالة ومن رسالة جراسيموس السابقة ان اسم فينان كان ابرهيم، وهو شماس . وغبريل او جبرايل، وهو خوري . خلافاً للاب قسطنطين الباشا في كتابه « لمحة تاريخية في الرهبانية الباسيلية المخلصية » (ص ٢٧) حيث دعاه الخوري مخايل فينان، وزاد الطين بلة بزعمه انه كان اسمه قبلاً جبرايل

ritardata il suo viaggio gl'è mancato il denaro, e non ha con che sostenarsi, per ciò supplico l'E. E. V. V.
(Acta S. C. de Propaganda Fide, 1717 ff. 26)

وبعد ان نظر المجمع في عقيدتي البطريرك كيرلس والأسقف جراسيموس رأى انهما ليستا كافيتين لتقرير ايمانهما الكاثوليكي بغاية الوضوح والدقة . فاوعز الى القس جبرايل فينان بالرجوع ودفع اليه نسختين من دستور الايمان المنسوب الى البابا غريغوريوس الثالث عشر المطبوع باللاتينية واليونانية . وامره ان يسأل البطريرك والاسقف المشار اليهما ان يوقعا عليهما . فارتد الرسول راجعاً الى صيدا . وفي هذه الاثناء كان الكردينال كارافا (Caraffa) قد انتخب كاتماً لاسرار المجمع فكتب اليه المطران افتيميوس مهنئاً في كتابه تاريخ ١٢/٢٣ تشرين الثاني ما يأتي :

« نعلم سيادتكم بانه بلغنا علم انتخابكم في هذه الوضيفة المقدسة فشكرنا الله الذي زين كنيسته بسيادتكم ولذلك فرحنا وانسرينا في الغايـة . ولم نزل متوسلين نحو فضل الله تعالى ان يديمكم ويرقيكم الرتب العالية . . .

ايضاً وصل ولدنا القس غبرييل فينان المكرم مرسل من طرفكم وصحبته المكاتيب المرسلة من المجمع المقدس لنا ولحضرة القنصل المكرم بولارد (Poullard) بخصوص قضية السيد البطريرك كيرلس الكلي الوقار وقضية اخينا المطران جراسيموس وقد تم الشغل على بموجب مكاتيبنا للمجمع المقدس الذي منهم بتفهموا الامور ومن الرسول المذكور ايضاً . . .

ايضاً كنا سابقاً بعثنا من عندنا تلاميذنا الخوري اصطفـان ريس دير المخلص والقس باسيليوس المكرمين لعند مطران صيدنايا الكلي الشرف والاخ العزيز بالله وطلبنا منه ان يختم امانة الحبر اربانس الثامن فختمها بيده وارسلها لعنـدنا مع تلاميذنا المذكورين . ولما ورد مكتوب المجمع المقدس باسمه ارسلناه ليد المعلم منصور (الصيفي) المكرم المحامي عن ابناء الكنيسة . فابقاه لانه قال هذا رجل مضمون التبعة . وارسل امانة اربانس مختومة ممضية بشهود المرسلين اليه .

وهي الان واصلكم مع القس غبريل المكرم . فقدموها الى المجمع المقدس . فان شاء الله تكون مقبولة عند نيافتهم جداً . ويكرم اخونا المطران المذكور لانه رجل غيور على شعب الله . وايتحاده مع الكنيسة من كل قلبه . وهو الذي كنا اخبرنا المجمع المقدس به منذ اربع سنوات لما رايناه مستقيم الايمان سعينا في اقامته قهراً عن المشاققين . فنسال سيدنا يسوع المسيح ان يشرق نعمته في قلوب بقية الروسا ليكونوا مثله لتكميل الايتحاد في زمانكم وننظره باعيننا قبل المات وينجح اموركم لتمجيد ربنا يسوع المسيح الى الابد امين[1] »

وكتب ايضاً في المعنى نفسه رسالة الى مجمع الكرادلة شرح فيها السبب الذي من اجله لم يوقع البطريرك والاسقف المذكوران على دستور الايمان المنسوب الى البابا غريغوريوس الثالث عشر . قال فيها :

« واما سبب عدم امضا امانة غريغوريوس الذي ارسلتموها لهم ليس هو الا لاجل انهم ليسوا عارفين باليوناني واللاتيني . لاجل ذلك امضوا وختموا امانة اربانس الثامن المطبوعة لاتيني وعربي في مبتداها ومنتهاها . وذلك لكي يوضحوا بهذا النوع انهم ما طبعوا شي الا عارفينه وفاهمينه وقابلينه[2] . . . »

وفي هذا المجلد نفسه الذي وردت فيه هذه الرسالة حُفظت ايضاً عقيدتا البطريرك كيرلس والاسقف جراسيموس . وهذا مثال الصفحة الاخيرة من عقيدة جراسيموس وبذيلها خطه وختمه . وتحتها شهادة المعلم منصور الصيفي والاب توما دِياز كمبايا رئيس دير الاباء الفرنسيسكان بدمشق بتاريخ ٥ تشرين الثاني سنة ١٧١٧ (fol. 434)

وكان ختم جراسيموس يمثّل في الوسط العذراء وعلى يدها الطفل يسوع . وتحتها تاريخ سنة ١٧١١ على الارجح . وفي الدائر « الحقير في روسا الكهنة السيد جراسيموس مطران صيدنايا »

وفي رومة نال الرسول الشاب القس جبرايل فينان حظوةً

(1) Scritture Originali Riferite vol. 613 f° 389.
(2) Scritture Originali Riferite vol. 613 f° 380.

38

اجتهد بقدر قوتي ان كل رعيتي
والذين هم تحت تدبيري انهم
يمسكوا به ويعلموا به ويكرزوا به
وانا الحقير جراسيموس مطران [illegible] صيدنايا

هكذا اوعد وانذر واحلف هكذا
الله يعينني وهذه الاناجيل
المقدسة

Et ego infrascriptus praesens fui cum
Ista manu: Die 5. Nov. anni D. 1717

Fr. Thomas Diaz
a Campaya Pri. et Parroch.
Com. Damasci terrae sanctae.

وقبولاً حتى اثنى عليه الكردينال الفرنسي (de la Tremoille) اطيب الثناء في رسالة له الى مسيو پولار قنصل فرنسة في صيدا . ولذلك رأى المجمع المقدس من الصواب ان يكون مسعفاً لمرسله السيد جراسيموس في التعليم والانذار في صيدنايا وما جاورها .

فكتب للاسقف جراسيموس وللمطران افتيميوس الصيفي الرسالتين الآتيتين بتاريخ ٧ ايلول سنة ١٧١٨ نقلناهما عن مجموع رسائل المجمع بنصها الايطالي . ومضمونها واحد . وهو استحسان وجود القس جبرايل في صيدنايا لبث الدعوة الى الكثلكة والعناية بالرعية والكنائس . واستئذان رئيسه المطران افتيميوس بالتغيب في صيدنايا ولو مرة بعد اخرى في السنة

A Mons. Vescovo di Saidenaia

7 Settembre 1718.

Credendosi secondo le relazioni che si sono qui havate che V. S. possa haver bisogno di qualche sacerdoce Cattolico che l'assista e diriga con il suo gregge nelle loro spirituale occorenze, questi Em. miei Signori hanno giudicato espediente d'incaricare a Mons^re^ Arciv^o^ di Tiro e Sidone, che veda di mandarle per tal effetto almeno in (f° 143 ^vo^) diversi tempi dell'anno, il P. Gabriele Finan suo Invitato a questa Corte soggetto di esperimentaia bontà e dottrina. Spero che ella sara per gradire la paterna cura e pensiero che si prende questa Sacra Congregazione del suo maggiore bene e profitto, e che ben volentieri si valera dell'opera, e zelo del medessimo Padre per sua direzzione e governo in materia di spirito. Con che per fine prego il Signore che la prosperi (f° 144 ^ro^) (1).

A Monsignore Eutimio Arciv° di Tiro e Sidone

7 Settembre 1718

Essendossi havuto noticia che monsignore vescovo di Saidenaia posso aver bisogno di qualche Sacerdoce Cattolico che nelle occorenze sue e del suo gregge in materia di fide l'assista e diriga, questi Em. miei Signori hanno posto l'occhio sopra il P. Gabriele Finan religioso di buone costumi e di sana dottrina, Invitato a questa corte dell'istesso Prelato. Pertanto desiderano

(1) Lettere della Sacra Congregazione e di monsig. Secretario dell'anno 1718 N° 104.

che V. S. como ordinario del sud° Pre° gli permetta di potersi almeno portare in (f° 144 vo) varij tempi et occasioni dell'anno dal sud° vescovo per el fine sopra cennato. Spero che il fervoroso zelo di V. S. sora per rincontrare anco ben volentieri in questa parte il desiderio della Sacra Congregazione et resto con pregare il Segnore che la prospere. (1)

ولما عاد الرسول حمّله المجمع بعض الذخائر والمطبوعات على قلتها حينئذ وقيمتها هديةً لصيدنايا . فكتب جراسيموس شاكرًا للمجمع الكتاب الآتي بلفظه :

« السادات الكلين النيافة والشرف الكردينالية اصحاب المجمع المقدس

وصل مكاتيبكم الينا صحبة القسيس غبرابيل المكرم . وصل ما تفضلتم به علينا من صندوق الذخائر والكتب . وشكرنا فضلكم على ذلك . ثم اننا قرينا المكاتيب وفهمنا ما تتضمن . فاولاً شكرنا فضل الكنيسة المقدسة الرومانية التي قبلتنا وعرفتنا كواحد من بنيها . وثانياً اننا قبلنا جميع نصايحكم وتعليمكم لنا بكل قلبنا . وخضعنا لمشورتكم بكل نفسنا . وبنيتنا مترجين من الله تعالى يعيننا على تكميل امركم وعلى الجهاد بموجب مفترضكم ورسمكم والطاعة الى آخر انفاسنا . لاننا مستعدين ان نكمل نذرنا وعهدنا الذي قدمناه بين اقدام نيافتكم متهيين للموت الطبيعي من اجل طاعة مجمعكم المقدس، وطاعة خليفة ربنا يسوع المسيح البابا الروماني الجالس على كرسي بطرس هامة الرسل، المتقلد سلطانه . ثم اني اجتهد بكل قوتي على تكميل ارادتكم في انتشار الايمان الكاثوليكي المقدس لكافة رعيتي وابنا طايفتي بقدر ما يمكنني . ثم اننا نشكر فضلكم في انكم منيتم علينا بالقسيس غبرييل فينان ان يتردد عندنا اقله بعض احيان بالسنة لاجل مساعدتنا في تدبير امور الرعية ونمو الايمان . المذكور يشتهي ان يكمل امركم بكل غيرة ومحبة، بما انه مختبر الجود والتعليم . وقد حظر عندنا مرة صحبة البطرك . ومرة ثانية هو الان عندنا . الا انني رأية مجيه لعندنا

(1) Lettere della Sacra Congregazione e di monsig. Secretario dell'anno 1718 N° 107.

هكذا بعض امرار لا يصير نفع كما ينبغي بدون ان يمكث عندنا مدة من الزمان متوالية . فلهذا نرجو من محبتكم وفضلكم وحنيتكم ان يكون رسمكم له هكذا ان يمكث عندنا اقله ثلاث سنين متوالية . لان لنا ثقة به من حيث غيرته على انتشار الايمان المقدس بكل رغبة . وان بيحصل من قعوده عندنا كل خير . ونترجا من حنيتكم ان ترسلوا لنا على يد القسيس يوسف المكرم كما تريدوا من كتب تعليم الصغير والكبير . ومن كتاب توما الكمبيسي لاجل ما تنفع بهم الشعب المسيحي واولادهم . وانا اطلب من الرب الاهنـا ان ينجح مقصودكم

كتب في صيدنايا يوم ٢١ في تموز حساب الشرق سنة ١٧١٩ مسيحية[1]

عبدكم جراسيموس مطران صيدنايا ابن
كنيسة الرومانية المقدسة »

وبقي القس جبرايل في صيدنايا نحواً من سنتين تفانى فيها في الخدمة والتعليم . فاراد المطران افتيميوس بعد هذه المدة ان يستدعيه الى صيدا والدير فكتب كهنة صيدنايا والاسقف جراسيموس الى مجمع الكرادلة الكتب الآتية . وفيها من التزكية والاطراء للقس جبرايل والاقرار له بالفضل والغيرة ما يحسن تسجيله في ترجمة حياته فضلاً عما تقدم من ثناء المجمع عليه

« جناب حضرة سيدنا الكلي النيافة والاكرام حفظه الله تعالى

بعد تقبيل اياديكم بكل توقير نعلمكم من خصوص القسيس جبرايل فينان الذي كان مرسل الى مجمعكم المقدس من الكلي الشرف والاكرام المطران كير جراسيموس مطران صيدنايا فانه كما صار له التنبيه من نيافتكم انه يحضر لعندنا ويدبر امور رعيت مطراننا المرقوم اعلاه . فهو هكذا عمل . القسيس المذكور

(1) Greci Melchiti Patriarcato Antiocheno e Gerosolimitano dal 1683 al 1723. Scritture Riferite nei Congressi vol. N° 1 f° 15 E.

مكث في بلادنا وعندنا ينيف من سنتين . وعمل خير عظيم في انتشار الايمان الكاثوليكي المقدس . وعلم ناس كثير ضروريات الخلاص من كهنة واعوام واظهر كل غيرة وسيرة صالحة تليق بالكهنة المرسلين ونفعنا ونفع مطراننا حتى ايضاً الابرشيات التي مجاورتنا صار لهم بسببه نفعاً روحانياً . الا ان المطران كير افتيميوس المحترم اراد ان يرفعه من عندنا ويحطه في الدير مع الرهبان . والحال ان القسيس المذكور ما هو ناذر الرهبنة . بل عندنا معلوم انه مرسل من طرفكم لرد الخراف الضالة في الشرق . واذا انحبس مثل هذا الرجل في دير بتعدم الناس النفع الصاير لهم بسببه وخصوصاً ان مطران صيده المكرم رعيته وابرشيته لا تحتاز الى كهنة كاثوليك . فاقتضا الامر اذ ذاك ان نعطي نيافتكم شهادتنا في هذا القسيس المذكور المكرم . وغايت رجانا عند نيافتكم ان تمنعوا عنه المطران افتيميوس . الله تعالى ان يحفظكم ويديم بقاكم

سطر في ٢ تموز سنة ١٧٢١ [1]

عبيدكم كهنة صيدنايا الكاثوليكيين

عبدكم	عبدكم	عبدكم	عبدكم
القسيس جرجس	القسيس بشاره	خوري الياس	الخوري نصرالله

جناب حضرة سيدنا الكلي النيافة والكرامة حفظه الله تعالى

بعد تقبيل اياديكم . اعلمكم . سابقاً وصلني القسيس جبرايل فينان الذي كان قاصدنا عند المجمع المقدس . ووصلني معه المشرفات والذخاير المقدسة التي منّ علينا بها المجمع المقدس . فشكرنا فضلكم شكراً غير متناهي . ثم ان القسيس المذكور مكث عندي وفي بلادي نحو سنتين واكثر من يوم حضوره الى يوم تاريخه . وعمل سعي وغيرة زايدة في انتشار الايمان المقدس وفي خلاص النفوس . وصار منه نفعاً عظيماً للكهنة واعوام معاً حتى الى البلاد المجاورة ابرشيتي لانه اظهر غيرة صالحة . الا ان حضرة اخونا المطران كير افتيميوس المكرم اراد ينزعه من هذه الوظيفة التي فيها والعمل المبارك ويقعده في ديره الذي في بلاده . والحال ان القسيس المذكور ما هو ناذر الرهبنة وانما على ما نرى ان الانفع

(1) Greci Melchiti. Cong^ni Particolari dell'anno 1729 vol. 76. f° 82.

والاصوب ان واحد رجل هكذا غيور يجب ان يكون في وظيفة الرسالة لينفع الناس بتعاليمه الفضايل الروحانية والايمان الكاثوليكي . هذا قصدنا ان نعلم به نيافتكم الجليلة ونقدم لكم شهادتنا في هذا القسيس المكرم ليكون محروساً وتدبروه برايكم الصايب الذي هو من الروح القدس . وانا اسال الله ان يحفظكم ويدبر اموركم

جراسيموس

سطر في ٢ تموز سنة ١٧٢١[1] مطران صيدنايا

سادتي الكردينالية الكليين الكرامة والاحترام حفظهم الله تعالى امين

بعد تقبيل اياديكم . اوضح امامكم انني اشكر فضلكم غير متناهياً انكم انعمتم على ولدنا الخوري جبرايل فينان بالاجازات التي طلبها . ثم انني اتضرع الى حنوكم ان تحفظوا هذا الرجل لانه معروفاً عند نيافتكم انه عابد وغيور في الايمان المقدس وعمل خير كثير في بلادي والشام وقبل ذلك في عكا وبلادها . والان اخونا كير افتيميوس مطران صيدا مضطهده بغير سبب شرعي . انما لانه ناظره غيور بيريد ياخذه لعنده . ولما احرموه بطاركة القسطنطينية وجا البطرك كير اثاناسيوس الى الشام فاضطهد ايضاً هذ الخوري غبرييل المكرم بسبب انه مشرطن من مطران صيدا . وطرده من كنيسة الروم . وما احداً حماه من المطران ومن البطرك الا رهبان القدس فقط . والمذكور الان مضطهد ومطرود من البطريرك ومن المطران . وصاروا المشاققين والاعدا يشنعوا عليه ويتهموه باشيا باطلة في الطقس . قصدهم يطردوه من هذه البلاد كلها . مع انني انا اعرف دمته انها صالحة . فاتضرع اليكم ثانياً ان تحفظوه بامركم العالي الى المرسلين والى رهبان القدس خاصةً الكي يحفظوه كاخ لهم لان هذا ابني الروحاني وانا لي به ثقة انه ينجح في طريق الله التي ترضي نيافتكم . واطلب من الله ان ينجح اموركم بعد تقبيل يديكم

كتب في صيدنايا يوم اول في شهر تشرين اول سنة ١٧٢١ حساب الشرق[2]

الحقير الفقير عبدكم

جراسيموس مطران صيدنايا»

(1) Greci Melchiti. Congni Particolari dell'anno 1729 vol. 76, fº 83

(2) Greci Melchiti. Congni Particolari dell'anno 1729 vol. 76, fº 80.

وبعد هذه السنة ١٧٢١ لم نجد اثرًا آخر او ذكرًا لجراسيموس فلا شك ان الله استأثر به في اوائل سنة ١٧٢٢ في بدء ولاية البطريرك اثناسيوس الدباس، ورد اليه وهو في حلب خبر وفاته فاختار لخلافته في اليوم نفسه الخوري نصري الحلبي في تاريخ لم ينص واضع سيرته على تعيينه

ناوفيطس نصري[1]

١٧٢٢ _ ١٧٣١

كان وهو كاهن يوقع اسمه « الخوري نصرالله » . وكانت

(١) في مجلة المشرق (٣ [١٩٠٠] ص ١٠٦٨ _ ١٠٧٢) ترجمة موجزة لناوفيطس . والتحقيق فيها قليل . وفي مجلة اصداء الشرق عدة مقالات عنه ومناقشات في نسبة رهبانيته . فيها الغث والسمين (Echos d'Orient t. V (1901-1902) p. 83 ; t. VII (1904) p. p. 213-215 ; t. VIII (1905) p. p. 87-88, 361-363 ; t IX (1906 p. p. 160-161). وفي سجلات الرهبانية الحلبية الباقية خطأ نتف من اخباره في اواخر ايامه في لبنان وروما . واوحد من اطال الكلام عليه من معاصريه وشهد بما عاينه وعرف منه تلميذه وشماسه في صيدنايا وكاهنه في لبنان وروما الذي صحبه الى حين وفاته وتلقى انفاسه الاخيرة القس اغناتيوس . زعمت سجلات الرهبانية انه ابن الشماس نعمه قندلفت الحلبي (ص ٦٥) ولا يبعد ان يكون والده او جده قد اشتهر بهذا اللقب بعد ان كان قندلفتاً في كنيسة حلب . وانما اللقب الصحيح « مدبّر » كما ساقه اغناتيوس نفسه في ختام سيرة ناوفيطس التي كتبها في روما . قال فيها : « انا الحقير القس اغناتيوس ابن الشماس نعمه مدبر الحلبي تلميذ سيدنا المطران كير ناوفيطس مطران صيدنايا المطوب الذكر اشهد بذلك . لاني من اليوم الذي ارتسم مطران ما فارقته حتا اليوم الذي تنيح فيه » . وقد عُرف في روما بهذا الاسم Ignazio Madabber كما في الكتابات الايطالية المحفوظة في مجمع نشر الايمان . ومن ثم فقد وهم الاب انطون رباط حين ترجم لفظة « مدبر » بكلمة Assistant وعلق عليها في الحاشية قوله :

وقتئذ اسماء الكهنة والرهبان المضافة الى اسم الجلالة غير قليلة ولاسيا في حلب مثل فتح‌الله ورزق‌الله وشكرالله وعطاالله وفرج‌الله وفضل‌الله . ولما كتب القس اغناتيوس مدبر سيرة حياته بعد موته

Nous traduisons assistant et non moudabber, nom propre. Nous croyons qu'il se donne ce titre honorifique. La commission, dont il fut chargé en 1729 auprès des Chouérites, n'y serait pas étrangère (Documents Inédits t. I p. p. 597 621).

وليس في البلاغ الذي قام به اغناتيوس وقتئذ ما يشهد بانه كان مدبراً في الرهبانية لاسيا وانه لم يعش فيها لملازمته ناوفيطس دائماً . فاسم « مدبر » هو لقب اسرته دون مراء

وقد نشر الاب رباط في اللغتين العربية والفرنسية سيرة ناوفيطس لاغناتيوس نقلاً عن الاصل المحفوظ في رومة رقم ٣٢٦ في خزانة المدرسة المارونية . منسوخاً بقلم القس طوبيا العنيسي بتاريخ ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٠٧ وفي آخر النسخة شهادة القس المذكور انه « نقل هذه الترجمة بكل امن وانها بخط القس اغناتيوس ». وقد راجعنا الاصل المشار اليه فاذا هو غفل من التاريخ . وليس فيه اقل ذكر او دليل يستنتج منه انه بخط المؤلف . ثم عارضنا به المتن المطبوع فوجدنا فروقاً بين الروايتين، اهم ما فيها سقوط زهاء سطرين في موضعين مختلفين وتغيير بعض كلمات وحروف ولاسيا في الرسم وكلها مما لا يحتفل به كثيراً في جنب ما في الاصل من السقط والركاكة والعامية . واقبح ما فيه رسم بعض الفاظه مما يبعث على الظن ان الناقل من صبيان المكاتب او من جهلة النساخ . وقد اضطررنا الى الاستناد الى هذه السيرة بعد انتقاد ما احتجنا اليه من اخبارها لانها كما قلنا حديث شاهد عياني . وحرصنا معاً على نشر كل ما اتصل بنا من رسائل المطران وخطوط قلمه بحيث استوعبنا كل آثاره في خزانة مجمع الايمان . ولا نظن انه فاتنا منها شي.

ومن البيّن ان اغناتيوس لم يكتب هـذه الترجمة الا ليثبت صلاح المطران وقداسته بعد وفاته العجيبة . ولذلك اكثر من ذكر الخوارق والكرامات التي اتفقت له وصرّح انه رآها وشهدها بنفسه . واغفل من اجلها حكاية كثير مما عداها من الحوادث والوقائع في خلال الاعوام التسعة التي لزمه فيها، بحيث فاتنا اليوم علم قسم من اخباره في لبنان ورومة . ومعلوم ان ما يهمنا اليوم لم يكن

لم يذكر مرة لقب أسرته . والمشهور انه من بيت نصري كما في كتابات المجمع المقدس في رومة، وفي قبريته التي نقشت على لوح وضع في تابوته . ولا سبيل اليوم الى معرفة شيء عن هذا البيت لقلة احتفال الشرقيين غالباً بانسابهم وضياع كل الاوراق والدفاتر التي كانت في الكنائس والمنازل، وهي لا تخلو من ذكر مواليدهم ووفياتهم

وليس ايضاً في تاريخ الرهبانية الحلبيـة المحفوظ في دير الشير اقل خبر عنه او عن أسرته قبـل ترهبه . ويظهر ان والديه كانا كاثوليكيين لقوله في المعروض الذي ارسله مع رهبان دير البلمند لمجمع الكرادلة في رومة بتـاريخ ١٢/١ تشرين الثاني سنة ١٧٠٤ « قد تربينا منذ صبانا في الديانـة الكاثوليكية » حسبما سيجيء ايراده . وقد مر بنا في ترجمـة سلفهِ بخوميوس الصاقسي الاستشهاد ببعض الآثار على ان مطران حلب ملاتيوس كرمة الذي رُقّي السدة البطريركية باسم افتيميوس كان كاثوليكي النزعة واللهجة . فلا بدع ان تكون في عهده في اوائل القرن السابع عشر بعض أسر الرهبان الذين لجأوا الى دير البلمند قد نشأت على مثل هذه الاعراق الكاثوليكية ولاسيا بعد دخول المرسلين اللاتين الى حلب

وقد اغفل واضع سيرة ناوفيطس ذكر سنة ميلاده . ولكنه

يهم كتبة القرنين الماضيين . فليس من العدل ان نؤاخذهم بما فرّطوا فيه او لم يضطلعوا به ولاسيا من كان نظير القس اغناتيوس قليل الحظ من العلم والحفظ . ومن قلة محفوظه إخلاله في ضبط بعض الازمنة والايام كتعيينه تاريخ دخولها الى رومة ويوم دفن المطران، الى غير ذلك من الحوادث والاوقات

روى مرة ان سلفستروس القبرصي في إبان اضطهاده الكاثوليك كتب له يمنّيه ويعده ويستدعيه الى الانحياز اليه . فاجابه المطران قائلاً : « انا لي ستين سنة من العمر وانا اخدم هذا الايمان المقدس القاتوليقي . فغير ممكن اني انكره » . (ص ٨) فاذا قدرنا ان هـذه المكاتبة كانت سنة ١٧٢٧ بعد رجوعه حيناً من الجبل بوساطة الاب توما كمبايا رئيس الفرنسيسكان بدمشق واسقطنا من هذا التاريخ الستين سنة التي صرح المطران انه قضاها في الكثلكة يكون ميلاده سنة ١٦٦٧ . ولكن في القبرية التي وضعت في تابوته سنة ١٧٣١ ان عمره حين استأثر الله به كان ستين سنة . فيكون من ثم ميلاده على هذا القول سنة ١٦٧١ . ولعل تقدير هذا العمر وقتئذٍ في رومة كان على وجه التقريب

ولا سبيل ايضاً ولو بطريق الحدس والتخمين الى معرفة الوقت الذي غادر فيه مسقط رأسه ودخل دير البلمند قريباً من طرابلس . وغاية ما ورد في سيرته انه ترهب قبل ان يبلغ العشرين من العمر . وقد روى كل من كتب عنه او عن اصل انشاء الرهبانية الشويرية ان تسعة من رهبان البلمند كان هو احدهم لما رأوا ان لا مساغ لهم للمعيشة في الدير طبقاً لطريقتهم النسكية وعقيدتهم الكاثوليكية اتفقوا على الهجرة الى جبل لبنان حيث اقاموا الدير المعروف باسم القديس يوحنا الصابغ . واختُلف في تعيين سنة هذه الهجرة : فزعمت سجلات الرهبانية انها سنة ١٦٩٧ ولم تذكر كعادتها السند الذي عوّلت عليه حين نقلت بعد لأي هذه الرواية . ولكن في خزانة مجمع نشر الايمان نسخة معروض قدمه خمسة من رهبـان البلمند بينهم

الخوري نصرالله ورد فيه تاريخ ١٢/١ تشرين الاول سنة ١٧٠٤ وهذه صورته بالحرف[1]:

المعروض الى جناب حظرة ساداتنا المشرفين الاجلاء المحترمين السادات
الكردينالية اصحاب مجمع انتشار الايمان في كنيسة رومية
حفظهم الله تعالى

نعرض لجلالتكم البهية اننا نحن عبيدكم مقدار خمسة انفار من ملة الروم ابناء العرب رهبان من طريقة القديس باسيليوس الكبير . قد تربينا منذ صبانا في الديانة الكاثوليكية خاضعون دائماً للحبر الاعظم الكلي قدسه . الا اننا في هذه الدياره لم نوجد اطلاق ولا عتق لتكميل السيرة لاجل خلاص النفس كما ينبغي في مذهب الرهبانية لعدم تركين البلاد وتسلط الامم عليها وعدم نظام احوال الديورة والرهبان . فاعرضنا حالنا على جلالتكم السنية . ان رسمتم تمنوا علينا وتامرونا ان نحضر لعندكم الى ذلك الطرف نستمنّ فضلكم بان تمنوا علينا من احسان الكنيسة المقدسة بمكان حقير نتأوى فيه وحدنا داخل نفس رومية كان او خارجها . وتتصدقوا علينا هناك بالقوت الضروري والثوب الزهيد كفاف الجسد الطفيف لا غير . حتى نخدم الله بمكنتنا على الامكان . وندعي لجلالتكم السامية البهية . والدعاء لجانبكم

سطر في دير البلمند من اعمال طرابلس الشام في اول تشرين الثاني سنة ١٧٠٤

عبدكم الحقير	عبدكم الحقير	عبدكم الحقير	عبدكم الحقير	عبدكم الحقير
حنانيا الكاهن	نصرالله الكاهن	مكاريوس الكاهن	جرمانس الكاهن	جرجس شماس
في الرهبان	في الرهبان	في الرهبان	في الرهبان	في الرهبان

وهذه الاسماء الواردة في المعروض هي غير الاسماء المروية في السجلات . وليس بينها توقيع الراهبين جراسيموس وسليمان وهما

(1) *Archivio di Propaganda Fide.* Scritture Orig. Riferite 1705 vol. N° 551 f° 296

اللذان نسب لهما كل من ارّخ الرهبانيــة الشويرية فضل الانشاء والسبق في البناء . فلعل هنالك فريقين غادرا دير البلمند في تاريخين مختلفين، وان لم ينبه عليهما كاتب السجلات . وهي لا تخلو احياناً من النقص والوهم والمجازفة . ومن خطإها هنا انهـا دعت الراهب الاول باسم جراسيموس ، وانما هو اسمه بعد ان انتُدب لمطرانية حلب . ولما جاء من الدير كان اسمه الخوري جرجس كما في سيرة ناوفيطس وفي ديوان نعمة ابن الخوري توما الحلبي المعروف بعجالة راكب الطريق

وقد حكى القس اغناتيوس ان الذي اشار عـلى الرهبان بالتحول من دير البلمند هو الخوري جرجس والخوري نصرالله . وكان اغناتيوس بلدياً لهما صحب المطران كل حياته . فهو اقرب منهما عهداً واعرف بهما من كاتب السجلات

واذا ثبت ان الخوري نصرالله نصري هو الذي وقّع على المعروض للمجمع وليس سمي آخر له، يكون انتقاله الى الشوير في سنة ١٧٠٥ بعد يأسه من جواب رومة . وكان البطريرك وقتئذ كيرلس الزعيم معادياً للكثلكة وانصارها فسخط على الرهبان المهاجرين . وما لبث ان اقصى رأسهم الخوري جرجس الى حلب، وابعد نصرالله الى آمد (ديار بكر) بحجة احتياج الكنيسة فيها اليه . وكان سفره على الارجح سنة ١٧٠٧ . ويؤخذ من شهادة لـه كتبها في رومة انه بقي في آمد اربع عشرة سنة تعرّف في اثنائها برجال الكثلكة فيها بين كبوشيين و كلدان وسريان واختص منهم بمار يوسف الثالث بطريرك الكلدان . وهو اول من وطأ السبيـل لانتشار المذهب

الكاثوليكي فيما بين الروم اهل ملته . وما زال يتلطّف بمن حوله منهم ويؤلف قلوبهم بصدق بيانه وحلاوة لسانه وبرارة سيرته حتى تمكّن من اقناع مطرانهم نفسه برثانيوس بترك الشقاق والموافقة على دستور الايمان الكاثوليكي وارساله لرومة[1] . وهو محفوظ الى اليوم في خزانة المجمع يُرى بآخره توقيع المطران « الحقير في روسا الكهنة برثانيوس مطران الروم في آمد » وتحته ختمه بالعربية والرومية . وبجانبه شهادة مار يوسف بطريرك الكلدان . وشهادة الراهب الكبوشي جوان باطيستا . ويليها اخيرًا شهادة الخوري نصرالله . كتب فيها « انا الحقير الخوري نصرالله من رهبان الروم التابع لكنيسة مار بطرس . اشهد بذلك » وتحتها ختمه القديم « نصرالله خوري بالمندي[2] »

وبعد انقضاء اربعة عشر عاماً عليه في آمد عرضت لبطريرك الكلدان مار يوسف حاجات واغراض في رومة، فسأل الخوري نصرالله ان يتوجه فيها من قِبله فاجاب طوعاً لرغبته الشديدة في زيارة عاصمة الكثلكة . و كتب للبطريرك اثناسيوس الدباس انه منطلق اليها . ولما قدم عليه في حلب قال له البطريرك فيما رواه كاتب سيرته : « مريم العذرى جابتك الى حلب . لاني محتاجاً اليك كثيرًا . لان في هذا اليوم اتاني مكتوب من صيدنايا واخبروني ان مطرانهم مات . وهم حطوا على دمتي حتا انا اختار لهم مطرًا (مطران) يكون واحد قاتوليقي . وهم راضين فيه . وانا اخترتك ان تكون عليهم مطراً »

قال القس اغناتيوس :

فهو ما اراد . لان في خاطره يروح الى رومية . فضل يعالجه ثمانيت ايام .

(1) *Archivio della S. C. di Propaganda Fide.* Acta 1730 vol. 668 fol. 37 v°
(2) ibid. Scritture Orig. Riferite 1717 vol. 610 fol. 109

فبعده غصبه البطرك ورسمه مطران على صيدنايا . ودعي اسمه ناوفيطس . وارسلوا المكاتيب الى البطرك يوسف حتا يفتش على غيره ويرسله الى رومية في اشغاله . بعد كم يوم امره البطرك اثاناسيوس بالعجل يروح الى كرسيه . بقا بده شماس فلح علي كثيرًا . وانا من محبته ما خالفته . لاني رايت سيرته الصالحة رحت معه الى صيدنايا . وفي يوم عيد العذرى الذي نصف آب رسمني شماس انجيلي وادخرني له ابنًا

وقد اثبتنا قبلًا من كتابة سلفه جراسيموس الدمشقي انه كان حياً في اواخر سنة ١٧٢١ . ولا يبعد ان تكون وفاته حدثت في اوائل صيف سنة ١٧٢٢ لان سفر الخوري نصرالله من آمد لا يمكن ان يكون قد تم في اشهر الشتاء لشدة البرد القارس في تلك الاصقاع وتعذر الطريق فيه على الراكب' فيترجح انه وصل الى حلب في شهر حزيران او تموز . ووافق قدومه موت جراسيموس فلم يمهله البطريرك اثناسيوس وامره بعد الصلاة عليه بالاسراع الى صيدنايا' فبلغها قبل عيد العذراء وهو اليوم الذي رسم فيه شماسه اغناتيوس كما سبق

وما كاد يطأ ارض الدير حتى بدأ باصلاح ما عاين فيه من الخلل وازالة كل منكر منه . قال واضع سيرته :

اولاً قشع ان في دير الراهبات فيه واحد وستين راهبة . وهم بغير قانون . وفالتات على روسهم . والدير فالت . فبدا يصلح امور الدير . وعملهم قانون وترتيب . وكلهم على مايدة واحدة ياكلوا . والقراية على المايدة . ولا واحدة تقتني شيئاً . وسكر ابواب الدير . ووضع حرم على الرجال انهم لا يدخلوا الى عند الراهبات . والراهبات لا يخالطوا الرجال ولا الرهبان . وعمر دير اخر تحت الى الرهبان . وجميع ما يحتاجوه الراهبات اليه اوقف ناس يقدموا لهم حوايجهم . وصار نضام في الغاية بنعمة يسوع

وقد سها القس اغناتيوس عن ذكر عدد الرهبان الذين كانوا في الدير حين قدم اليه كما ذكر عدد الراهبات . واما كهنة القرية فقد تقدمت اسماء الاربعة الذين كانوا في اخر عهد جراسيموس الدمشقي . وقد وقع اثنان منهم ايضاً وهما الخوري الياس « وكيل دير صيدنايا ووكيل البطرك ايضاً » . والخوري نصرالله « ثاني وكيل ومعلم اعتراف الراهبات » على رسالة بتاريخ ٢/١٣ كانون الثاني سنة ١٧٢٣ كتبها ناوفيطس لمجمع الكرادلة باشارة الاباء اليسوعيين في شرح بعض قضايا طقسية سئل عنها وهي محفوظة في خزانة مجمع نشر الايمان في المجلد رقم ٧٦ (Greci Melchiti Particolare anno 1729 f° 187)

و كان الخوري جبرايل فينان رسول مجمع نشر الايمان الذي سبق الكلام عليه لا يزال باقياً في جوار صيدنايا في قرية المعرة على الارجح طريداً مضطهداً لكراهة البطريرك اثناسيوس له اذ كان من رهبان افتيميوس الصيفي خصمه الالد . وكانت قرية المعرة حينئذ تابعة لكرسي صيدنايا . فلما عرف الخوري جبرايل قدوم الاسقف الجديد شكا اليه حالته واستأذنه في الانصراف في اخر السنة ١٧٢٢ فكتب له الشهادة الاتية[1] :

المجد لله دائماً (محل الختم)

الحقير في روسا الكهنة ناوفيطس مطران صيدنايا المقدسة وما يليها

الذي نعلم كل واقف على هذه الاسطر انه لما حقارتنا تقلدنا رعاية ابرشية صيدنايا ودرجة مطرنيتها واتينا اليها . فوجدنا ولدنا الروحاني الخوري جبرائيل

(1) *Archivio della S. C. di Propaganda Fide.* Greci Melchiti Cong. Particolare anno 1729 vol. 76 fol. 331

فينان هناك متصرفاً في الشعب بسر الاعتراف . والقداس . والكرز . والتعليم . وخدمة الاسرار التي تختص في درجته . منذ زمان كيرلس البطريرك الانطاكي المتنيح . ومن زمان سلفنا المطران جراسيموس المتنيح . وذلك لتكميل رسالة من نيافة المجمع المقدس . وحفظاً لوصية ساداتنا الكردينالية في مساعدة مطران ابرشية صيدنايا في الامور الروحانية . ولما جا البطريرك كير اثناسيوس الى الشام فمنع الخوري جبرايل من ان يقدس او يخدم سر الاعتراف بكنيسة الشام . وبعده اتى الى الشام وكيله المطران لاونديوس منع الخوري المذكور ايضاً . ليس فقط من كنيسة الشام بل ومن كل كنائس البر والقرايا . ولم يأذن له ان يسكن ويقدس الا في فرد قرية صغيرة بقرب صيدنايا فقط . ولما ضاقت مسالك الخوري المذكور في الشام وبلادها وفي كل موضع . طلب منا بطريق الشور والاذن ان يروح من هذه البلاد الى غيرها لحين يريد الله ويصير له سبيل للرجوع الى هذه البلاد ليعمل الخير والكرازة الذي كان يعملهم سابقاً . ولما تفحصنا في امره رايناه مطروداً ومضطهداً من المذكورين بغير سبب شرعي يوجب اضطهاده . وممنوع من التصرف بغير علة توجب منعه . سوى انه مجاهر في الامانة الكاثوليكية المقدسة . وغيور على انتشارها . وقد صار منه خير في بلادنا والبلاد التي تقربنا وبلاد بعلبك ايضاً ونحوها . ولما تحقق الامر عندي على هذا المنوال هكذا اعطيته هذه الورقة لتنبو عن ذلك . وانه خرج من عندي غير ملوماً بذنب . وانه مصرف في كهنوته وفي خدمة الاسرار التي تخص درجته

حرر يوم الجمعة ١٤ في كانون الاول سنة ١٧٢٢

الحقير في روسا الكهنة
ناوفيطس مطران صيدنايا
وما يليها

وفي سنة ١٧٢٣ توفي افتيميوس الصيفي مطران صور وصيدا وانتخب لخلافته الراهب اغناتيوس البيروتي . فارسل البطريرك اثناسيوس الدباس منشوراً الى ناوفيطس الحلبي مطران بيروت وناوفيطس نصري اسقف صيدنايا يسألهما ان يتوليا الصلاة على

المطران الجديد . وكان وقتئذ ناوفيطس نصري متجولاً في رأس بعلبك يجمع بعض الصدقات للدير . فانطلق الى حلب حيث تم الاحتفال في كنيسة السيدة . ويُستدل من منشور آخر ارسله البطريرك لاثبات مطرانية اغناتيوس المشار اليه ان ناوفيطس بيروت وناوفيطس صيدنايا عمدا اولاً الى تسقيف مكاريوس البايباسي على بعلبك . ثم احتفل الثلاثة باقامة مطران صور وصيدا [١] . وفي سجلات الرهبانية الشويرية ان ناوفيطس نصري اشترك ايضاً في الصلاة على اغناتيوس ابن الخوري سليمان الحلبي اسقفاً على حمص [٢]

وبعد ان تمت كل هذه الاحتفالات في اوائل سنة ١٧٢٤ استدعى البطريرك اثناسيوس ناوفيطس نصري وسائر احبار الكنيسة الانطاكية وعقدوا لديه في حلب مجمعاً اثبتوا فيه اختصار صيام الرسل القديسين . والاقتصار منه على اثني عشر يوماً فقط . وكان قد سبق النظر في الاسباب الداعية الى هذا الاختصار وجرى الاتفاق عليه بين البطريركين كيرلس الزعيم واثناسيوس الدباس بعد استشارة بطاركة القسطنطينية والاسكندرية واورشليم . ولما تم الاجماع على صوابه وضرورته' اصدر فيه المجمع منشوراً باسم البطريرك اثناسيوس وتواقيع اساقفة صيدنايا وصور وصيدا وبعلبك وحلب وحمص وبيروت وعكا واللاذقية وباياس

وكان ناوفيطس حين سُقف على صيدنايا قد كتب دستور اعتقاده الكاثوليكي وانفذه الى رومة . ولما لم يرده جواب عليه

(١) ورد نص المنشورين في كتاب عجالة راكب الطريق لنعمه ابن الخوري توما الحلبي وهو مخطوط، سبق لنا وصفه في كتاب خزائن الكتب ص ١٠٤—١٠٩

(2) *Echos d'Orient* t. VIII (1905) p. 362

عاد الى حلب في شهر ايلول سنة ١٧٢٤ ووقع امام المطران جبرايل حوا الماروني نائب القاصد الرسولي على عقيدة جديدة وارسلها الى رومة . وهذه صورة الصفحة الاخيرة منها نقلاً عن الاصل المحفوظ في خزانة مجمع نشر الايمان . وعليهـا شهادة الاب بطرس فروماج

سيدنا يسوع المسيح ٢٨ فهذا ايمان الكنيسة المقدسه القاثوليقيه التي خارجًا عنهـا
ليس يمكن لاحد ان يخلص فانا الان بارادتي اعتقد به وتمسك به بالحقيقـه
وانني احفظه واعترفه الى اخر حياتي غاية الثبوت سالمه بلا عيب بمعونة الله
واني اجتهد بقدر قوتي ان كل رعيتي والذين هم تحت تدبيري انهم يتمسكوا به
ويعلموا به ويكرزوا به
وهذا خطي بيدي يشهد علي
انا ناوفيطس مطران صيدنايا

هكذا اوعد وانذر واحلف هكذا الله يعينني وهذه الاناجيل المقدسه
حرر في مدينة حلب [illegible] المولد ١٧٢٤ [illegible]

Ego Petrus Fromage Superior Generalis missionum Societatis Jesu in Syria et in Aegypto attestor Archiepiscopum Constantinopolitanum Saidnaia [illegible] professionem coram me presente Illustrissimo Dno Gabriele ablegato Apostolico.

Io Donato Aleppense Alunno dell Colegio di Roma delli Maronini e Diocesano della Cattedrale di S. Elia in Aleppo Attesto che la scritta professione della fede volontariamente professò e promise di professarla fino all estremo della sua vita il sopra nomato Neofito vescovo di Sednaia e ciò in presenza dell Illmo Rmo Mog. Gabriele Hewa Ablegato Apostolico. m. pp.

Io [illegible] fo fede che la presente professione di fede mandata da Neofito [illegible] di Saidnaja, è copiata ad [illegible] da quella [illegible]
Andrea Scandar Maronita.

75 Cong. [illegible]

رئيس الاباء اليسوعيين في القطرين السوري والمصري . وشهادة المطران جبرايل حوا المذكور . والكاهن اندراوس اسكندر الماروني

وكان ساكناً في صيدنايا مع اغناتيوس كاتب سيرته في بيت خارج الدير خلافاً لمن تقدمه من اساقفة الكرسي . وكانت سلطته فيما يظهر مقتصرة على كنائسه فقط ولم يكن له على الدير الا حق النيابة والنظر لاستئثار البطريرك به واعتداده اياه من خاص ولايته لوفرة اوقافه ودخله . فكان ما يرتزقه ناوفيطس من الرعية نزراً يسيراً لا يكفي للقيام بأوده . ولما تحقق البطريرك ضيق ذات يده اراد اسعافه بدخل ابرشية معلولا بعد تغيب اسقفها في بلاد الكرج وتعلله في العودة منها بعجزه و كبر سنه . فاصدر في هذه السنة نفسها منشوراً من انشاء كاتبه نعمة ابن الخوري توما الحلبي ننقله من كتابه عجالة راكب الطريق . قال فيه :

المجد لله دائماً

اثناسيوس برحمة الله تعالى البطريرك الانطاكي وسائر المشرق

وبعد فليعلم المطلعون على منشورنا هذا من اخوتنا المطارنة المحترمين . واولادنا روساء الديارة المكرمين . والكهنة الموقرين . وجميع الاكليروس الورعين وباقي المسيحيين الكاثوليكيين . الكائنين في الابرشية الانطاكية اجمعين . بارك الرب الاله عليهم اتم البركات السماوية امين

اننا اذ قد راينا ان الاخ كير (فلان) مطران معلولا قد قطن في بلاد الكرج لعجزه عن الرجوع الى كرسيه . وارسلنا استدعيناه اولاً بواسطة مكاتيبنا . ثم بواسطة قاصدنا بابا مكاريوس البابامي الذي خولناه درجة مطرانية بعلبك

ولم يحضر . بل ارسل استعذر انه لضعفه وشيخوخته لا يقدر على ركوب الطريق وتأكدنا انه لا ينبغي بل لا يجوز ان نهمل رعايا ابرشيته المرقومة بغير راع يسوس احوالهم، ويدبر امورهم، ويرشدهم الى مناهج خلاصهم . لئلا نطالب بذلك ممن قلدنا زمام رعاية امور الابرشية الانطاكية جميعها . واذ قد وجدنا ناقل منشور البركة الاخ كير ناوفيطس مطران صيدنايا المكرم كافياً لتدبير رعايا ابرشيته ورعايا هذه الابرشية . فقلدناه لاجل خلاص ذمتنا زمام رعاية هذه الابرشية المرقومة . وجعلناها الحاقاً لابرشيته ليتصرف في رعايتها وتدبيرها بالوجه المرضي لجلاله تعالى . واذ قد اقتبل هذه الوظيفة من حقارتنا، فيجب على الرعايا المذكورين الكائنين في ابرشية معلولا ان يقبلوه بالاكرام اللائق بدرجة رئاسة الكهنوت، ويطيعوه في كل ما يأمرهم به، وينهاهم عنه، من الاوامر الناموسية التي تقلدناها من الرسل القديسين، وخلفائهم الاباء الالهيين ابتغاء لقول الرسول العظيم القائل اخضعوا لمدبريكم واطيعوهم، لانهم يسهرون عن انفسكم كمن يعطون عنكم جواباً . وسبيله هو ان يبذل جهده في تدبيرهم وسياستهم وسياقتهم الى مناهج خلاص انفسهم، اتباعاً لقوله تعالى الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف . ولان سيدنا يسوع المسيح رئيس الاحبار العظيم سيسأله عن كل نفس من رعيته المذكورة . نتضرع اليه عزّ اسمه ان يؤهله بنعمته الفائقة الى خلاص نفسه وانفس رعيته المذكورة جميعاً

هذا واذ كنا حين ذهبنا الى دير سيدتنا مريم العذراء والدة الاله المعروف بدير صيدنايا ورأينا انخرام نظامه، وتبلبل احوال ساكنيه، وطروق العوام والامم الغريبة اليه، وانعدام وجود حقيقة الرهبانية فيه، وعلمنا اننا ملزومين بضبط ترتيبه حيث انه من خاص ابرشيتنا، واحتراماً لصاحبته الفائق قدسها سيدتنا الطوباوية، فرتبنا له قانوناً مشتركاً لمعاشه تقتدي به الراهبات القاطنات فيه مع رئيستهن بمناظرة حضرة المطران . ونظمناه بالممكن . ومنعنا عنه سطوة الخوارج ودخول العوام وغير ذلك مما يؤذي الراهبات المتعبدات ويبلبل احوال نظام سيرتهن . وجعلنا المطران المذكور وكيلاً وناظراً على حفظ ما رتبنا، وعلى التيقظ لثبات القانون الذي حددناه . غير اننا الان لما تاملنا ورأينا ان هذا الارب لا يتم ويكمل على المراد الا بزيادة ايراد ما يخص المتوكل المذكور ليستعين به

على القيام باود هذا المطلوب من قبيل ان ايراد الدير لا يوفي ذلك، فسمحنا للاخ المطران كير ناوفيطس المومأ اليه بنورية ابرشيته التي هي صيدنايا، ونورية معلولا التي الحقناها بابرشيته، وقلدناه زمام رعايتها لكي يقوى بالنوريتين المرقومتين على حفظ وترتيب القانون والنظام الذي حددناه وحتمنا بثباته في الدير المذكور ودوامه على ممر الدهور

فليس لاحد سلطان ولا دستور ان يعارضه بذلك اصلاً وقطعاً . ولإثبات هذا الالحاق المسطور والسماح بهاتين النوريتين المرقومتين فقد منحناه هذا المنشور سنداً بيده لكي يكون متصرفاً من غير مانع بوجه من الوجوه ابداً

تحريرًا في ٢٣ تموز سنة ١٧٢٤

وكان البطريرك قد أُصيب قبلًا بمرض عضال الزمه الفراش . فما كاد يوقّع على هذا المنشور حتى ترايدت به علته . واجاب داعي المنون في ٢٥ تموز = ٥ آب . فاجتمع اهل دمشق واختاروا لخلافته الخوري سارافيم طاناس . وكان في صيدا . فاستدعوه لدمشق . وبعد تمنُّع منه وإباء اقنعه الآباء اليسوعيون والكبوشيون بالقبول في اليوم الرابع . وتطلبوا من يتولى الصلاة عليه من الاساقفة الكاثوليكيين . فكان اقربهم اليهم ناوفيطس نصري اسقف صيدنايا، وناوفيطس الحلبي مطران بيروت، واغناتيوس البيروتي مطران صور وصيدا . فاسرع الاول بالحضور برضىً من وكيل عثمان باشا ابي طوق وزير دمشق . وتلكأ الاثنان عن المجيء وتعلّلا باعتراض الحكام وتعذر الاذن لهما بالسفر . فاقبل في مكانهما باسيليوس فينان اسقف بانياس . وكان مقيماً راتباً في دير المخلص . ورأى الاسقفان من الصواب ان يستعينا بثالث لتصح الصلاة على البطريرك فوقع الاختيار على راهب مخلصي من بيت الفاضل من معلولا .

فرسماه على كرسي الفرزل ودُعي افتيميوس . واحتفل الثلاثة بتنصيب كيرلس طاناس في ٢٠ ايلول=١ تشرين الاول في الكنيسة المريمية بدمشق[1]

وبعد سبعة ايام من هذا التاريخ أُقيم في القسطنطينية بطريركاً منازعاً له المشنوء الذكر سلفستروس القبرصي بتدبير اهل حلب وإيثارهم . ومع انهم كانوا من اكبر انصار الكثلكة وفي مقدمة من اجاب دعوتها في اوائل القرن السابع عشر كما سبقت الاشارة اليه في كلامنا على المطران ملاتيوس كرمة لم يتبصروا في سوء عاقبة الانفراد بالرأي والخروج عن السنن والقوانين ومجاراة الهوى . وكانوا كالباحث عن حتفه بظلفه فوقع اختيارهم لشقائهم وشقاء الكنائس كلها على كاهن يوناني غِرّ في غاية من التعصب والرعونة كانوا عرفوه شماساً واحبوه محبة الولد كما يؤخذ من شهادة قيّمة لاحدهم نعمة ابن الخوري توما كاتب البطريرك المتوفى اثناسيوس في رسالة ارسلها وقتئذٍ الى موسى ابسطولي في باياس في صدد الصلح بينهم وبين سلفستروس . قال فيها :

من المعلوم عند جميع الناس في ساير الابرشيات ان جنابه تربى عند اولاد حلب مثل ابنهم واخيهم تحت طاعة وظل كنف المطوب الذكر كير اثناسيوس المرحوم . وانهم من افراط حبهم له اول ما مرض المرحوم مرض الاشراف على الموت والوفاة الى جوار ربه تعدوا حدود الحقوق واختاروه بطريركاً مع ان الانتخاب يقع لاهالي الشام حيث ان عندهم مقر كرسي البطريركية وترامو على المرحوم بكل جهدهم حتى الزموه وهو طريح الفراش ان يكتب الى حضرة البطريرك القسطنطيني المكرم والى السادة المطارنة الذين هناك والى غيرهم يستمنهم ان يرسلوا يحضروه اليهم من اجيا اثوس ويرسموه بطريركاً على كرسي انطاكية

(1) Mansi vol. 46 col. 11-12

الرسولي المقدس . وحرروا هم ايضاً عدة مكاتيب بهذا الصدد . وصار كذلك.
ثم بعد رسامته، ارسل طلب منهم مبلغ دراهم لها صورة يستعين به على مصروفه .
فارسلوا له مكاتيب تهنئة . ووجهوا له الدراهم التي طلبها . وبعثوا يترجونـه
بسرعة القدوم الى حلب ليفرحوا به وبواسطته يحصلوا على ذلك الهدو والعز الذي
كانوا حاصلين عليه في زمن معلمه المرحوم (كتاب عجالة راكب الطريق)

وماكاد يتلقف من ايديهم صولجان البطريركية حتى تحول فرحهم الى ترح وعزهم الى ذل . وأصيبوا منـه بالبلاء الشامل والطامة الكبرى . فجزاهم عن خيرهم شراً، وعن تربيتهم ومحبتهم عقوقاً وغدراً . وفتح عليهم ابواب المظالم والمغارم . وابتزّ منهم اموالاً طائلة . واستمد امراً بالقبض على بعض اعيانهم و كهنتهم ونفي مطرانهم جراسيموس مع وصاة البطريرك اثناسيوس بـه . وفعل اقبح من ذلك في دمشق . وتتبع رجال الكثلكة فيهـا بضروب الانتقام والاضطهاد من تضييق وتنكيل، وتجنٍّ وتغريم، وسجن ونفي وقتل . واستطال عليهم بالسلطتين المدنية والدينية . واجتمع مع عديليه البطريركين القسطنطيني والاورشليمي واحد عشر من الاساقفة اليونانيين، واصدروا منشوراً نادوا فيه في كل الكنائس والاديار بجميع اقسام اللعن والحرم والدعاء على كل من قام بالدعوة الكاثوليكية، وفي مقدمتهم « الشقي ناوفيطس مطران صيدنايا » . ولا بد للتعريف بما خص ناوفيطس من هذه البركات اليونانية من نقل كل ما تناول اهل دمشق وحلب معه منهـا . نورده بنفس الفاظ الحب المسيحي كما وجدناها بحروفها في خزانة مجمع نشر الايمان حرصاً على دلالتها الادبية، وفائدتها التاريخية . قالوا يعنون كيرلس طاناس البطريرك الجديد :

بما انه سابقاً كان مقطوع من درجة الكهنوت ومحروم من مجمعنا المقدس . فاسرع الان ان يخطف كلصّ الكرسي لكي يفني ويبيد اغنام المسيح الناطقة الذين هم تحت طاعة هذا الكرسي . باصناف البدع المحدثة والهرطقة الجديدة فوجد هذا الشقي اناس مطابقين لرأيــه ومشاركين لسعيه الردي . وهم الشقي غبرايل ابن فينان الرملاوي . والشقي نيوفيطس مطران صيدنايا . فهولا الاثنين بشرطونيتهم الكاذبة جعلوا مطراناً ثالثاً على قرية من معاملة الشام تسما فرزل . وهولاي الثلاثة المذكورين الردي معبودهم . العادمين التصور . المثلثين الشقاوة . جعلوا درجة البطركية الكلية السمو والاكرام ملعبة وهزواً ليتلاعبوا بالالهيات . . . لاجل ذلك ترامينا جميعنا الى الباب العالي السلطاني فطلبنا بنفي هولاي جميعهم الساعين بهذا الشر لتلاف الكرسي . ايضاً يلزمهم تاديب كنايسي . فللذين هم تحت درجة الكهنوت القطع والمنع . والذين من درجة العوام الحرم . ويطردوا جميعاً من الكنيسة كاغنام جربانة . واجسام مايتة منتنة . فلذلك كتبنا هذا الحرم والمنع الكنايسي مع اخينــا البطريرك الانطاكي الكلي القداسة . ومع اخوتنا المطارنة في المجمع المقدس بالهام الروح القدس . على السابق ذكره اعلاه الشقي المثلث الشقاوة واللعنة ساروفيم الذي فيما بعــد سمي كيرلس . مع الذين سموه بهذا الاسم . وعلى الذين انتخبوه بطركاً على انطاكية . وهم الشقي غبرايل ابن فينان الرملاوي . والشقي ناوفيطس مطران صيدنايا . مــع الشقي الذي ارتسم اسقفاً على قرية فرزل . بما انهم كذبة . وبريين من الكهنوت . وحايدين عن رتبة الكنيسة الشرقية . ومشهود لهم بالبدع والهرطقات المحدثة الجديدة

ايضاً نضيف مع هولاي الشقي جراسيموس مطران حلب . بما انه هذا اللعين صاحب بدع ردية ومملواً غشاً . وايضاً سابقاً في السنة الماضية طُرد من ابرشيته بموجب رباط مجمعنا المقدس لانه كان حاصل تحت زلات وذنوب جمة . . .

وايضاً نضيف مع هولاي وهولاي روسا البدع والانشقاق واهــلاك انفس المسيحيين . وهم مشاركين ايضاً ومساويين للمذكور اعلاه بالنية والاعتقاد والفعل اعني الشقي المثلث اللعنة خوري وهبة الداوي . ورفيقه الشقي المثلث اللعنــة الخوري عبد المسيح الذي كان سابقاً في دير الحميره

ايضاً نضيف معهم الشقي قسيس حنا ابن خبيه . والشقي خوري عبد المسيح

ابن الزبال الذين هم من مدينة دمشق الشام . ثم واللعين خوري طادروس والشقي خوري اندراوس الذين هم من قرى دمشق الشام

فهولاي جميعهم المذكورة اساميهم روسا كهنة . وكهنة . مع اللعين المقول له كيرلس المرتسم كما يزعمون هم بطرك . يكونوا جميعهم مربوطين . ومقطوعين من ساير درجات وفعل رياسة الكهنوت . ويكونوا ساقطين من حزب رياسة الكهنوت . والكهنوت . ومطرودين . وغربا . وعريانيين من النعمة الالهية . ولا يكون لهم سلطان . ولا واحداً يلبسوا ويتزينوا بحلة رياسة الكهنوت . والكهنوت . ولا يكملوا خدمة تخص لهذه الدرجة . بما انهم مقطوعين بريين . وعريانين من موهبة رياسة الكهنوت والكهنوت . ومن الان لا احداً يتجرهم ويلبس مع هولاي . ولا يقدس . ولا يكرمهم كروسا كهنة وكهنة ولا يقبل اياديهم النجسة . ولا يعطيهم محصول كنايسي كثيراً ام قليلاً . ولا بيسعفهم ولا يقبلهم في منزله . ولا يساعدهم . ولا يشفق عليهم البتة ظاهراً وخفياً . فيما بينه وبينهم . وعلى غير ايادي . يفعل معهم شيا مما ذكرناه . ولا يفاوضهم . ولا يسلم عليهم . وايضاً نضيف مع هولاي اللعين المثلث الشقاوة أسطا منصور الخياط الشامي والشقي المثلث اللعنة عبدالله ابن زاخر الحلبي وهولاي ايضاً مشاركين لهم في الهرطقات والبدع المحدثة النجسة

فنتفوه ونقول كمن فماً واحداً . بالسلطان المعطى لنا من الروح الكلي قدسه فليكونوا جميعهم هولاي المذكورين مع الذين يساعدوهم قولاً وفعلاً . محرومين من الثالوث القدوس المحيي . ملعونين . وغير مغفور لهم . وتكون اجسادهم مرتجفة على الارض مثل قايين طول ايام حياتهم . ويحل عليهم وعلى ديارهم . ذلك الغضب الذي حل على صادوم وعاموره . وتنشق الارض وتبتلعهم مثل داثان وابيروم وبعد موتهم . الحديد والحجارة تفنا وتباد . واجسادهم لا تبلا ولا تفنا . ويكونوا مدانين تحت طايلة اللعنة الابدية

حرر شهر تشرين الثاني سنة ١٧٢٤ مسيحية

خريصندوس	سلفستروس	ارميا
بطرك القدس	بطرك انطاكية	بطرك اسطنبول

وبعد ذلك توقيع احد عشر مطراناً من مطارنة الكرسي القسطنطيني

وما عدا هذا الحرم كان سلفستروس قد استخرج امراً سلطانياً بنفي ناوفيطس . فلما درى ناوفيطس بقرب قدوم المطران لاونديوس وكيل سلفستروس مع الجند للقبض عليـه وتشريده . اسرع الى الدير ولجأ الى الصلاة والابتهال . وسأل العذراء ان لا تسلمه في حماها بايدي اعداء الايمان . قال مؤرخه القس اغناتيوس :

فعند المسا رحت انا وحدي الى الدير . ودخلت الى عند راهبة عجوز اسمها حنه من حلب . قلت لها : في لنا مكان حتى نتخبا فيه وما احد يعرف فينا . قالت لي : لاي سبب . قلت لها الامر كله . قالت هذا امر صعب قوي . لان العسكر يفتش في كل مكان . قلت لها كيف العمل . قالت في عندي قن الجاج ما في احسن منه . لان ما احداً يفتش القن . اسمع مني . نصف الليل تعال الى الدير . ودق الباب دقة واحدة . ونا انتضركم وافتح لكم . وتدخلوا وما احداً يعرف فيكم . فاخبرت المطران بذلك . قال قوي مليح . نصف الليل رحنا ودخلنا الى قن الجاج . بالغصب حتى ساعنا . فضلينا ثلاثث عشر يوماً . ثاني يوم الذي دخلنا الى القن وصلوا الاعدا وفتشوا علينـا بكل جهدهم . ما قشعوا ابداً . كسروا باب بيتنا ونهبوا جميع الموجود في البيت . وخرجوا من البلد . بعد ما سافروا الى الشام اجت حنه الراهبة واخبرتنـا عن جميع الاحوال . المسا خرجنا من القن الذي نحن فيه رحنا الى البيت ما وجدنا فيه شي . قال المطران الرب اعطانا والرب اخذ . يكون اسمه مباركاً

وفي تلك الليلة نفسها بادر ناوفيطس الى الهرب والاختفاء . ومازال يتنقل من مكان الى اخر والعسكر مجدّ في اثره حتى لجأ الى دير الغزال من ارض بعلبك واعتصم منهم في جبل منيع بالثلج والبرد القارس . كان يُدعى فيما زعم القس اغناتيوس جبل العصافير ـ ولا يُدرى اين هو اليوم ـ وظل فيه تائهاً شارداً كالوحوش اربعة اشهر يقتات بالخبز والبصل . ويجتزئ باكل الثلج عن شرب الماء .

ولم يشأ كاهنه ان يتخلى عنه فاقام معه على هذا البلاء . ثم تحولا الى جبل لبنان وبقيا فيه ثلاث سنوات يعانيان اصناف الشقاء . وكان اكثر ترددهما فيما يظهر على دير الشوير

وفي السنة الاولى من مقامه في الجبل اجتمع بالاساقفة الملتجئين في دير المخلص وكتبوا جميعاً الكتاب الآتي لمجمع الكرادلة . وفيه شرح ضافٍ لما اشرنا اليه من حوادث البطريركية ومحنتها :

جناب حضرة ساداتنا الكردينالية الكليين النيافة والاكرام حفظهم الله تعالى امين

المعروض بين اياديكم هو ان بعد موت البطرك اثاناسيوس قد تحرك الشعب الدمشقي بالغيرة الزايدة في اقامة بطركاً كاثوليكي بما ان لهم العادة في انتخاب البطاركة . فدعوا الخوري سارافيم ليرتسم على الكرسي الانطاكي بطركاً . وكتبوا بذلك عرضين حال وارسلوهما الى القسطنطينية . الواحد عن يد وكيل باشة الشام . والثاني عن يد وكيل باشة صيدا . ومضمونهما بطلب امر سلطاني من الدولة العثمانية ان يكون الخوري سارافيم المذكور بطرك . لان الباشا في ذلك الحين كان في مكه . فارسلوا طلبونا المرسلين والكهنة والشعب لكي نذهب الى الشام ونرسم المذكور . فحضرنا للشام نحن الاثنين مطران صيدنايا ومطران دير المخلص . ولما لم نوجد مطران ثالث كاثوليكي فرسمنا واحد كاثوليكي مطران على الفرزل . ولما صرنا ثلاث مطارنة رسمنا حينئذ الخوري سارافيم بطركاً كطقس الروم الجاري . وذلك في كنيسة البطركية في الشام بحضور جميع الشعب والكهنة والمرسلين في ٢٠ من شهر ايلول سنة ١٧٢٤ ودعينا اسمه كيرلس . ولما حضر الباشا من مكه قدموا له النصارى عرض حال آخر ثالث مضمونه رضاهم وانتخابهم لهذا البطرك كيرلس . وطلبوا منه يرسله الى استنبول ويجيب من الدولة العثمانية فرمان سلطاني باثبات هذا البطرك في بطركيته حسب جاري عادة البطاركة في الشرق . فارسل الباشا العرض حالاً الى اسلام بول . الا ان قبلما يأتي الجواب انعزل الباشا عن الشام . فللحين بطاركة الروم رسموا بطركاً على كرسي انطاكية اسمه

سلفسترس . وهو روم ارطوقي من تلاميذ اثاناسيوس البطرك المايت . وارسلوا وكيله من استنبول للشام ومعه قبجي وفرمانين الواحد بضبط البطركية . والثاني بنفي البطرك والثلاث مطارنة الذين رسموه . ومعهم غيرهم سبعة انفار اخر كهنة واعوام . الا ان معونة الله خلصتنا جميعنا نحن واياهم . وفرينا هاربين الى جبل الدروز . ولا قدروا يمسكوا ولا واحد منا . والان نحن في الجبل المذكور قاطنين . واما وكيل البطرك الدخيل الذي في الشام فانه عامل اضطهاد شديد على الكاثوليكيين حتى انه جعل البعض ان ينكروا الامانة المقدسة الكاثوليكية . خصوصاً بسبب الشك الذي صار للضعفا من ذلك الحرم الذي اطلقوه على البطرك وعلينا وعلى جماعة الكاثوليكيين بطاركة الروم في كل البلاد . لكن اخيراً نطلب من نيافتكم ان ترسلوا الى بلادنا القس يوسف الشمعوني قاصداً رسولياً . ثانياً ترجعوا لبلادنا البادري توما كمبايا السبانيولي الفرنسيسكاني . ثالثاً ترسلوا توصوا حضرة الجي فرنسا الذي في استنبول بان يساعدنا بقدر الامكان . وغير ذلك تدبرونا بالذي تروه صالح . ثم نقبل برفيرتكم ونطلب من الله ان يحفظكم

حرر في ١٣ حزيران سنة ١٧٢٥

باسيليوس مطران	ناوفيطس مطران	مكاريوس مطران	افتيميوس مطران
دير المخلص	صيدنايا	دمشق الشام	الفرزل
(محل الختم)	(محل الختم)	(محل الختم)	(محل الختم)

(*Archivio della S. C. di Propaganda Fide.* Greci Melchiti Cong. Particolare anno 1729 vol. 76 f° 195)

وهذا الراهب توما دياز كمبايا (Diaz Campaya) الذي طلب الأساقفة ارجاعه كان رئيساً للفرنسيسكان بدمشق حاذقاً في الطب مقرّباً الى المسلمين لحسن علاجه . واليه اسند البطريرك كيرلس طاناس العناية بابناء كنيسته من الروم الكاثوليك ايام الاضطهاد الثائر عليهم . فكان يتولى بعض خدمتهم الدينية . ويسهّل لهم القيام بفروض ملتهم في كنيسة الدير . فسعى لدى وزير دمشق

اسمعيل باشا العظم . وترضاه في رجوع ناوفيطس الى صيدنايا .
و كانت عودته اليها في اواخر سنة ١٧٢٧ . وفي اول تشرين الثاني
منها حساباً شرقياً كتب الى المجمع المقدس الكتاب الآتي . وفيه
زيادة بيان عما تقدم في سياقة الاخبار والحوادث :

المجد لله دائماً

الى قدس قداست سادتنا الكردينالية المحترمين حفظهم الله تعالى امين

نعلم قداستكم من يوم الذي صرت مطران كتبت ايماني وارسلته الى قداستكم
فما جاني جوابه . وبعد سنتين اجتمعت انا والمطران ابن جبرايل حوا . فاعطيته
صورة ايماني من مدة ثلاثة سنين فما جاني جواب من قداستكم . فنرجو من
قدسكم ترسلوا لنا ورقة بركة وتقبلونا في شركتكم

وايضاً نعلم قدسكم من مدة ثلاثة سنين بعت جابني باشت الشام حتى رسمنا
الخوري صيرافيم بطرك على كرسي انطاكية بانتخاب الشعب المسيحي واختيار
الكبوشية والايسوعية لان رهبان القدس كانوا بيريدوا غيره، لان اولاد الروم ما
يقبلوا احداً من صيدا . وبعد الرسامة بشهرين انعزل الباشا من الشام فتحركوا الروم
في اسطنبول ورسموا لهم بطرك سلبسترس ضد ايماننا[1] . وطالعوا فرمانات وارسلوا
قبجي الى الشام حتى يمسكنا وينفينا فنحن بعناية الله تعالى وبركة صلواتكم
هربنا الى جبل الدروز . نحن والبطرك كيرلس . ونجينا من شرهم . وفي الشام
صار الى المسيحيين اضطهاد عظيم وخصاره . واضطهدوا المرسلين وسكروا الديورا .
ولولا غيرة البادري انطون من رهبان القدس كانوا قلعوهم من الشام . وانا من
شدة الضيق الذي قاسيته في الجبل فكان مرادي اجي الى قداستكم فما توفق
ذلك ولكن البادري توما صاحب الغيرة والمحب الى عمل الخير سعا لنا وجابنا الى
كرسينا . ولكن نحن تحت الرجا والفزع . ويخشا علينا من المعاندين، لان المراطقة

(١) كانت رسامة سلفسترس في القسطنطينية سبعة ايام بعد رسامة كيرلس
في دمشق وليس بعد شهرين كما جاء غلطاً

ما بيهدوا عنا . وبنا يحرسنا ببركة صلواتكم . وما يمكن يصير لنا راحة نحن والكاثوليكيين الا برجوع البطرك الى كرسيه حتى يبقا لنا سند . وهذا ما بيصير الا بفرمان سلطان . والبطرك ما عنده دراهم . ولا له رجال تسعى فيه . والذي وقفوه تخلوا عنه . وصاروا يطعنوا عليه انه غير الطقوس، حتى لا يسعوا له في الخير ولكن البطرك كيرلس ما غير شي ابداً من طقوس وصيامات . وما بيطلع من يده انه يحل ويربط لانه متروك. ولكن التغير الذي صار في بلادنا من قبل ما وقف البطرك. والمرجو من قداستكم بان تعملوا هذا الخير مع الكاثوليكيين. وترجعوا البطرك الى كرسيه . ومثل ما بتامروه منفعل . لان الكاثوليكيين ما بيسمعوا منا في هذا الحال . وبيقلوا لنا انتوا ما لكم تثبيت من الكنيسة ولا من السلطان، ونحن منعرف خلاصنا . فلاجل ذلك نحن ساكتين عنه حتى قدسكم يفرجها علينا بيصير لنا سند عليهم . فالمرجو من قدسكم لا تقطعوا مشرفاتكم عنا فدتدبرونا بمعرفتكم . ومنا تقبيل اياديكم ثانياً وثالثاً

سطر في اول تشرين الثاني سنة ١٧٢٧ الحقير ناوفيطس مطران صيدنايا

(محل الختم)

(*Archivio della S. C. di Propaganda Fide.* Greci Melchiti Cong. Particolare anno 1729 vol. 76 f° 192)

وكان سلفستروس وقتئذٍ متغيباً في القسطنطينية . فاعلمه وكيله في دمشق المطران لاونديوس رجوع ناوفيطس الى صيدنايا واعتصامه بوزير دمشق . فاستعان سلفستروس بالبطريرك القسطنطيني واستمد امراً من السلطان بالقبض على ناوفيطس وقطع رأسه حيث كان . وقبل ان يبلغ الرسول دمشق عاذ ناوفيطس بالفرار ثانية واختبأ برضى من امير الجبل في مكمن حريز . وافلت من اعدائه . فلما رأى سلفستروس بعد حين ان يده لن تناله في معقله في لبنان كتب له يتلطف به ويعده باقامته وكيلاً له في دمشق اذا انضم اليه . وذكره بسوء معيشته وما يقاسيه في تنقله وهربه من الشدة والمضض مع ضعف

قواه وشيخوخته . واشار عليه ان يحرم البابا ويرحم نفسه . فاجابه ناوفيطس ابلغ جواب واوجزه وقال له :

انا راضي في الجبال . اخيَر من انكر ايماني[1] ، واروح الى الجحيم

وبعد شهر عاد سلفستروس وكتب له كتاباً ثانياً حلف له فيه انه لا يؤذيه . ولا يسلمه للحكام . وقال له هذا خطي وختمي . وهذه اسماء واختام اكابر طرابلس . وهم كفلاء لي في ما اقول . وكان في الكتاب تواقيع اعيان طرابلس . وختمه بالوعيد والتهديد اذا اصرّ على الخلاف . فاجابه ناوفيطس بما نصه بالحرف كما جاء في رواية القس اغناتيوس :

انا لي ستين سنة من العمر وانا اخدم هذا الايمان المقدس القاتوليقي فغير ممكن اني انكره

ثانياً . ان قلت اني في الجبال . وفي القلة . انا راضي بذلك

ثالثاً . تهددني بالقتل انا مستعد لذلك . يكون اسم الرب مباركان

رابعاً . تذكر من جهة البابا . من يقــدر يلفض على الحبر الاعظم بشي من التجديف . وهو وكيل الله على الارض . وخليفت مار بطرس هامة الرسل القديسين . هذا الشي ما احتمل اسماعه

خامسان . من جهة الطاعة لك انك بطرك . اسمع شوري . وارجع عن عنادك وعن الحال التي انت فيه وكف عن الاظهاد الكنيسة المقدسة . واخضع لراسها الحبر الاعظم . وتكون من اولادها . وخلص نفسك وانفس الرعيــة . تكون راعي صالح ولا ديب خاطف . وانا حالاً اجي واقبل اقدامك . واكون طايعاً . وانكان ما تعمل هذا انا ما اعرفك بطرك . وانت في حالك وانا في حالي

وكان اكثر سكنى ناوفيطس بعد فراره ثانية من صيدنايا في

---

(١) تصحفت هذه العبارة على ناسخ سيرة المطران ونقلها « الكريمالي » واشتبهت على الاب رباط فترجمها هكذا :

J'aime mieux vivre dans les montagnes que dans les palais du Kremlin (*Documents inédits* t. I p. 616) ولا حاجة الى التنبيه على خطإ هذا التأويل

دير مار الياس المعروف في رشميا . وكانت رومة منذ بلغتها اخبار الاضطهادات والاخطار التي لا يزال المنتمون اليها عرضة لها قد آثرت التربّص انتظارًا لما تأتي به الايام . وارجأت النظر في إقرار العقائد التي ارسل بها البطريرك والاساقفة الملتجئون في لبنان . فرأى ناوفيطس ان في هذا التسويف والتأخير مظنّة للشبهات وغضاضة عليهم وفتًّا في اعضادهم . وخشي ان تكون وشايات بعض قوم من الكاثوليك الذين كانوا لا يرون بعين الرضى استقلال الكنيسة الملكية قد موّهت هنالك وجه الحقيقة . فاستصوب مع البطريرك انتداب من ينوب عنهم لدى المجمع المقدس ويتكلم بلسانهم فوقع الاختيار على الخوري يوحنا اميوني : وكتب معه ناوفيطس الكتاب الآتي :

سادتي الكردينالية الكلي نيافتهم والزايدة كرامتهم حفظهم الله تعالى امين

المعروض بين ايادي نيافتكم هو اني منذ زمان بكتب لكم مكاتيب كثيرة . وما جاني منكم ولا جواب فما علمت ما هو السبب . فظنيت او انه من بعد المكان ، او عدم استحقاقي ، او سبب آخر ليس اعرفه . فلكن مهما كان يكون فالمحقق والمعلوم هو انه من قلة جواباتكم لنا طمعوا الاعدا فينا ، وبردت حرارة الكاثوليكيين ، ونحن ارتخى عزمنا . وان دمنا على هذا الحال بيصير خراب عظيم . ومن حيث انه ضد غيرتنا اننا نحتمل هذا الخراب انتخبنا ولدنا الروحاني يوحنا اميوني المكرم يكون وكيلنا في طرفكم . وهو يخبركم بالذي جرى علينا لانه شاهد ناظر ، ورجل صادق ، ولا رأينا ولا سمعنا عنه الا كل صالح . لاجل ذلك نتضرع الى سيادتكم انكم تتوصوا به ثم ايضاً من حيث انه ابنكم وملتمس مجد الله وشرفكم . ومهما عملتم معه فهو متصل بنا باقي ودمتم

(محل الختم)

سطر في ١٠ حزيران سنة ١٧٢٨ ناوفيطس مطران صيدنايا

(*Archivio della S. C. di Propaganda Fide.* Greci Melchiti Cong. Particolare anno 1729 vol. 77 f° 197)

وما لبث المجمع المقـدس ان حقَّق آمال ناوفيطس . وفي ١٣ آب سنة ١٧٢٩ ارسل البابا بناديكتوس الثـالث عشر رسالة الى الاب دروثاوس المرسل الكبوشي في صيدا Dorothée Vincent (de la Trinité) واوعز اليه ان يتوجَّه قاصداً رسولياً الى البطريرك كيرلس طاناس ويستحلفه على حفظ طقوس الروم بعد قبول دستور ايمانه الكاثوليكي[١] . وفي ٢٥ نيسان سنة ١٧٣٠ التأم مجمع في دير المخلص حضره ناوفيطس اسقف صيدنايا وباسيليوس فينان اسقف قيسارية فيلبس . فحلف البطريرك بـين يدي القاصد . وتم تثبيته بطريركاً شرعياً كاثوليكياً على الكرسي الانطاكي[٢] وكان القاصد قد حمل الى ناوفيطس بشرى تثبيته معاً[٣] . فاشتد اغتباطه . وعوَّل حينئذٍ على الالتجاء الى رومة تخلصاً مما هو فيه من البؤس والشقاء مع تعذر السبيل عليه للرجوع الى كرسيه . وكان هـذا الخاطر لم يبرح اقصى مناه منذ فارق آمد . فكاشف بما في صدره احد الآباء اليسوعيين وكلّفه ان يخاطب في شأنـه قنصل فرنسة في صيدا . فرقَّ له القنصل ووعده خيراً . فاستأذن ناوفيطس البطريرك واخذ بالتأهب للرحيل . وارسل كاهنه اغناتيوس الى دير الشوير ليعرض على الاب العام ان يتسلم دير مار الياس في رشميا على شرط ان يُعاد له اذا رجع من رومة[٤]

(1) Clemente Da Terzorio. Le missioni dei minori Capucini. Rome 1919 t V p.p. 151-152

(2) *Mémoire du Sieur du Bellis Chancelier du consulat de Seyde*, in *Documents Inédits* t. I p. 594

(3) *Archivio della S. C. di Propaganda Fide*. Scritture Orig. Riferite 1730 vol. 668 f° 37-38

(٤) تاريخ الرهبانية الحلبية المخطوط ص ٦٥

واتفق بعد ايام ان وزير صيدا تغيب عنها لمهمّ اقتضى خروجه بنفسه مع العسكر . فانتهز القنصل الفرصة واستدعى بالحال ناوفيطس واغناتيوس واوعز في اليوم الخامس من قدومهما الى مركب في المينا بالاقلاع واوصى بهما الرئيس فخرج بهما في صباح الغديوم رجوع الوزير. ولقيا في طريقهما الى مرسيلية اشد العواصف والاخطار. وكان وصولهما الى رومة في شهر اب سنة ١٧٣٠ فاحسن المجمع استقبال ناوفيطس واضافه مع كاهنه في دير القديس اسطفانس وكان فيه كاهنان من القبط الكاثوليك . واجرى على كلٍ منهما رزقاً لمعاشه

وفي السيرة لاغناتيوس ان دخولهما رومة كان في ٣٠ آب . وورد فيها هذا التاريخ مكتوباً بارقام افرنجية اي 30 وهي دون ريب سهو من الكاتب او الناسخ لان في محاضر المجمع ذكر معروض لناوفيطس بتاريخ ٢١ آب فيه شرح بعض احواله وضيق ذات يده . ولا بد انه لم يعوّل على كتابته الا بعد ايام قضاها في الاستراحة والاستخبار وبعض الزيارة. فلعل الكاتب اراد ان يضبط يوم الدخول ٣ او ١٣ آب فسبقه القلم او خانته الذاكرة

ولم نجد في خزانة مجمع نشر الايمان اثراً آخر سوى شهادة له بخط قلمه كتبها للشماس «يونان ابن شمعون الديار بكرلي السرياني» حين رغب الترقي الى درجة الكهنوت في رومة . وقد قال فيها انه عرفه قبلاً حين كان في آمد حيث قضى اربعة عشر عاماً في خدمة بني طائفته الملكية . وهذه الشهادة جديرة بالتمثيل ههنا بصورتها الاصلية اذ كانت مكتوبة برمتها بيد ناوفيطس وتوقيعه .

لتبقى انموذجاً يُقابل عليه ما لعله يوجد فيما بعد من آثاره وخطوط قلمه وتواقيعه في زوايا الخزائن



29

المجد لله دايما

انا المذكور اسمي ادناه مطران صيدنايا خلف مدينة الشام اشهد قدام الله
انني استمريت في مدينة ديار بكر قبل رسامتي خوريا على نفس طايفتي
الملكية ومدة اربعة عشر سنة عاشرت هناك [illegible]
[illegible] السريانيين [illegible] دايما متمسكا بايمان الكنيسة المقدسة
القاثوليقية الرومانية وملازما تناول الاسرار الالهية ومواظبا على استماع
الوعظ والكلام الروحاني عند الاباء الرهبان الكبوشية وفي كنيسة مار
يوسف بطريرك الطايفة الكلدانية معاشرا اصحاب العلوم المقدسة
[illegible]
[illegible] القس [illegible] السرياني القاثوليقي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

انا ناوفيطس
مطران صيدنايا
الملكي القاثوليكي
الروماني

وفي هذا الشهر نفسه شباط توجه ناوفيطس لزيارة الاباء اليسوعيين ومرّ بالقس خدر الكلداني ليدله على منزلهم . وشاهدوا في طريقهم جمعاً وزينةً . وكان سفير مالطة مجتازاً فوقفوا ينظرون اليه . وتكاثرت العربات وازدحم الناس بينها ودفع بعضهم بعضاً . فداست احداها جنب القس اغناتيوس ويده . وصدمت المطران وكسرت احدى اضلاعه فحمل الاثنان الى دكان واستدعي لهما طبيب يسمى فياسكي (Fiaschi) فاشار بنقلهما في الحال الى مستشفى الروح القدس . وبعد اربعة ايام برئ القس اغناتيوس . ولم تغنِ معالجة ناوفيطس شيئاً . فلفظ روحه الطاهرة وهو يصلي بعد ان مُسح بالزيت وتناول القربان . وكان قد اوصى ان يدفن في كنيسة مجمع نشر الايمان . فبقيت جثته فيها خمسة ايام لما ظهر عليها من العوارض العجيبة . فبادر كاتم اسرار المجمع (N. Fortiguerra) وكتب للاب الاقدس ما تعريبه :

يوم السبت ٢٤ شباط نحو الساعة ١٩ فارق الحياة في مستشفى الروح القدس السيد ناوفيطس نصري اسقف صيدنايا الرومي الملكي القاطن في هذه المدينة بعد ان اختار قبل وفاته ان يدفن في كنيسة المدرسة الأربانية . وامس مساء نقلت اليها جثته دون احتفال . وبينما كان هذا الصباح جسده معروضاً للصلاة ظهر عليه عرق غريب كان يرشح من ثيابه الكهنوتية . شاهده الكاهن الماروني اندراوس اسكندر وغيره قبل ان يُحمل الى الكنيسة المذكورة . وُعدّ هذا العارض عجيباً خارقاً في جثة بقيت على الارض نيفاً عن خمسين ساعة . ولاسيما ان بعض الثقات شهدوا ببرارة الميت

وصلاحه وصبره على الاضطهادات الشديدة التي اصابته في الشرق من اجل قداسة الايمان الكاثوليكي . فألتمس بكل خضوع من قداستكم ان تتنازلوا وتوعزوا الى السيد وكيل نائبكم ان يعاين ويفحص في الكنيسة نفسها الجثة المذكورة معي انا كاتم الاسرار بحضور اساتذة الطب والجراحة تحرياً عن هذا العارض دون ان تُمسَّ حقوق الكنيسة وعصمتها من السلطة المحلية

٢٦ شباط ١٧٣١

وبعد مطالعة الاب الاقدس وافق على ذلك(١)

ولما اشرف الاطباء والاساقفة على الجثة واستثبتوا هذه الخوارق شهدوا بها خطاً . فامر البابا اكليمنضوس الثاني عشر بتسجيلها في لوح من رصاص وُضع ضمن تابوته ودفن معه تحت المائدة الكبرى في كنيسة مجمع الايمان . ولا بأس ان نعيد هنا نص الكتابة اللاتينية فيه نقلاً عن سجل الموتى مع اشتهارها :

Neophytus Nasri, hierapolitanus archiepiscopus de Saïdanaïa apud Damascum melchita cath. ætatis suæ ann. 60 circiter sacramentaliter confessus R. P. Georgio Beniamino S. J., sacra communione refectus et sacra unctione roboratus in communione Sanctæ Romanæ Ecclesiæ matris animam Deo reddidit, hora 19 in Archixenodochio Sancti Spiritus, ejus corpus translatum fuit die sequenti in ecclesia de Prop. Fide, in qua sepulturam sibi elegit, ubi associatum fuit a duobus parochis, videlicet sancti Petri in Vaticano in cujus dictione habitabat et Sancti Spiritus in Lassia usque ad januam hujus venerabilis Collegii, hora prima noctis et die sequenti fuit expositum in hac ecclesia et quia ejus cadaver *mirabiliter* desudavit per spatium trium dierum et nullus fetor emanavit, existimatum fuit a medicis esse *præternaturale*, tumulatum fuit in sepultura majori hora I[a] noctis cum dimidio præsentibus R.R. D.D. Joseph Asemani,

(1) *Archivio della S. C. di Propaganda Fide.* Acta anno 1731 f° 96

Scandar Andrea, Petro Narsilo et Rº Francisco Georgio Tramontano piorum operum rectore.

وهذا تعريبها :

« في ٢٤ شباط سنة ١٧٣١ الساعة ١٩ اسلم روحه للرب السيد
« ناوفيطس نصري الحلبي اسقف صيدنايا بجوار دمشق من الملكيين
« الكاثوليكيين وله من العمر ٦٠ سنة بعد ان اعترف للاب
« جرجس بنيامين اليسوعي وقبل سرّي القربان الاقدس والمسحة
« الاخيرة على ايمان أمنا الكنيسة الرومانية المقدسة . وذلك في
« مستشفى الروح القدس . ثم نقل في اليوم التالي جسده الى كنيسة
« مدرسة نشر الايمان التي اختارها لمدفنه . وقد شيع جنازته في
« الساعة الاولى ليلاً كاهنان قيّم كنيسة القديس بطرس في الفاتيكان
« لانه كان في حيز رعايته ، وقيم كنيسة الروح القدس في حارة
« لاسيا ، ورافقاه الى مدخل هذه المدرسة الشريفة . وفي الغد
« عُرض جسده الكريم في هذه الكنيسة . وكان يرشح من جثته
« عرق عجيب مدة ثلاثة ايام دون ان ينبعث منها رائحة كريهة .
« فقضى الاطباء ان ذلك من العوارض الخارقة الطبيعة . ثم دفن
« في المقبرة الكبرى بعد الساعة الواحدة والنصف من الليل بحضور
« الاباء الاجلاء يوسف السمعاني ، واندراوس اسكندر ، وبطرس
« نرسيلو ، وفرنسيسكو جيورجيو الترامونتاني مدير الاعمال الخيرية »

ولما شاعت هذه الاخبار كلها في رومة تسارع الناس لمشاهدة المطران الشرقي القديس والتبرك منه . وتنازعوا ثيابه وآثاره حتى اضطر الكردينال بترا رئيس مجمع نشر الايمان الى كفهم عنه وحراسته ببعض الجنود . قال شاهده العياني وفي روايته زيادة على ما تقدم .

نتقل كلامه دون استدراك شيء من تفاصيله لتعذر معارضته اليوم وانتقاده :

فلما سمعوا الناس من يقدر يمنع الشعب عنه، لا الكهنة ولا العسكر لان البابا ارسل عسكر في حراسته . فدخلوا الناس بالغصب عنا وعن العسكر فاخذوا كل دقنه وشعر راسه وجميع حوايجه وخلوه عريان . فلبسناه ثانياً فاخذوهم ايضاً . فضل خمسة ايام في الكنيسة وهو دايماً عرقان ووجهه كمثل الحي . واونه ما تغير . وجميع الذين اخذوا منه نالوا الشفا . وانا ارسلت الى مرسيليا من حوايجه فارسلوا خبروني ان كثير من الناس نالوا الشفا بوضع حوايجه عليهم . ويشكروا فضلي الذي ارسلت لهم . وقالوا ارسلنا مرة أخرا . قلت ما بقا عندي من اثره . لان الجميع اخذوهم المسيحيين . وصار له خبر في البلاد . ويرسلوا يطلبوا من اثره وحقاً ما بقي عندي . لان الشعب كله يريد يأخذ من بركته . فضل خمسة ايام في الكنيسة بعد موته وهو يعرق دايماً ووجهه واونه كما كان وهو حي . ما تغير ولا يبس جسده بل لين كمن هو حي . فبعد ارسل البابا امر ان يأخذوا منه دم حتا يقشع يخرج منه ام لا . فاجا الحكيم ربط يده واخذ النشطر وضرب به يده فخرج منه دم احمر مثل رجل حي . فكتبوا المطارنة والحكما شهادتهم بذلك لان الشعب اخذ الدم الذي خرج منه في القطن . فامر سيدنا البابا ان نكتب عليه لوح من رصاص اسمه وكنيته وكرسيه وندفنه . فعملنا كما امر قدسه . والمسا دفنا جسده المبارك في كنيسة بروبوكندا في اربعا وعشرين من شهر شباط كان ذلك في سنة 1731

وقد توسع واضع سيرته في رواية عدة خوارق و كرامات له حياً وميتاً . ذكر انه شهدها بنفسه وتحققها مدة صحبته اياه منذ دخل صيدنايا الى ان غُيب في قبره، تنبيهاً على ما كان متصفاً به من الفضائل والاخلاق الطاهرة والزهد والثقة بالله والتسليم لاحكامه وما اشتهر به كل ايامه من سلامة الباطن والتقوى وقوة الايمان والصلاح

اكليمنضوس الحلبي

١٧٣١ _ ١٧٨٤

هو الخوري اندراوس احد تلامذة المطران افتيميوس الصيفي من رهبان دير المخلص . نشأ في حاصبيا . واصل اسرته من حلب . وليس في سجلات الرهبانية اشارة الى اسم أسرته فلا يعرف الا بنسبته البلدية . رسمه المطران افتيميوس كاهناً سنة ١٧١٤ ووقع سنة ١٧٢٤ على المحضر الذي رفعه اهل دمشق الى الدولة العثمانية وكتبوا فيه بخطوط ايديهم انهم قبلوا واختاروا « المعلم كيرلس طاناس بطريركاً ومتكلماً مطاعاً ليسوسهم بالقوانين المألوفة » . ولعله ابلى في هذا الانتخاب بلاءً حسناً حتى ذكره المجمع الملتئم في القسطنطينية في اواخر السنة نفسها في جملة اعيان كهنة دمشق الذين رآهم اهلاً للعنة والحرم . وقد دعاه في ما نقلناه من الفاظه العذبة في الكلام على ناوفيطس « الشقي خوري اندراوس »

وفي سنة ١٧٣١ اقامه البطريرك كيرلس طاناس بعد وفاة ناوفيطس اسقفاً على صيدنايا . ودعاه اكليمنضوس . وكان ختمه « الحقير في روسا الكهنة اكليمنضس مطران صيدنايا ومعلولا وما يليها » باللغتين العربيـة واليونانية في الدائر . وفي الوسط رسم العذراء وابنها تمثيلًا للايقونة . وقد بقي هذا الختم ختمه الوحيد حتى بعد ان أسندت اليه رعاية بعض كنائس بر عكا والاراضي المقدسة واختلف توقيعه من اجلها . فكان التناقض ظاهراً بين نقش ختمه وبين نص توقيعه

ووافق قدومه صيدنايا اشتداد المحنة التي اثارها سلفستروس القبرصي على رجال الكثلكة واستعان فيها ببطاركة القسطنطينية وحكام دمشق لإنزال اصناف العقوبات والبلاء بهم توصلاً الى قطع نظامهم وتفريق شملهم . فلم يستطع اكليمنضوس البقاء في صيدنايا سوى ليلتين او ثلاثاً وخرج منها هارباً . واستجار ببطريركه في دير المخلص فاقطعه قريتَي حاصبيا ومرج عيون من اعمال قيسارية فيلبس . فكان ينطلق اليهما ويجمع حقوقه ويعود الى دير المخلص . وظل على ذلك سنتين . ولما راى ان رزقه منهما نزر لا يقوم بأوده الحّ على البطريرك فولاه بعض قرى من بر عكا وصفد[1] . وقامت بسبب هذه الولاية وما استردّ منها فيما بعد فِتَن ومخاصمات ومرافعات الى المجمع المقدس شغلت اكثر ايامه . فكان لذلك يوقع اسمه تارة « مطران صفد » وتارات « مطران قيسارية والاراضي المقدسة » . او « مطران الاراضي المقدسة » فقط[2] . ومن بعض توقيعاته كتابة في خزانة المجمع المقدس بتاريخ ١٢/١ آب سنة ١٧٦١ باسم « مطران عكا والاراضي المقدسة[3] »

ومن آثاره المحفوظة ايضاً في الخزانة نفسها رسالة الى القس اغناتيوس مدبّر يطالبه فيها بتركة سلفه ناوفيطس نصري في رومة قال فيها بالحرف :

---

(١) شهادة باسيليوس خلفاف مطران بيروت بتاريخ ١٩/٨ حزيران سنة ١٧٧٦

(2) Mansi vol. 46 col. 454, 455, 471, 518

(3) *Archivio Prop. Fide.* Greci Melchiti 1732 vol. 79 f° 224

المجد لله دائماً (محل الختم)

الحقير في روسا الكهنة اكليمنطس مطران صيدنايا ومعلولا وما يليهما

بعد حلول البركة على محبة ولدنا الروحاني القس اغناتيوس المكرم

نخبر محبتك بانه قبل تاريخه ارسلنا لـك جملة مكاتيب . منهم لكي تجيب البدلات وبقية الحوايج وتحضر لعندنا . ومنهم لكي تسلم البدلات الى الخوري حنا الاميوني . والى تاريخه ما جاوبتنا . ومن هـذا الامر حصل عندنا شك في اقنومك بان مرادك تعيش عـلى هواه بلا راس ضد القوانين الناموسية المقدسة . المراد من محبتك حال وصول المكتوب اليك تسلم البدلات والحوايج جميعهم الذين كانوا مع سلفنا الصالح الذكر كير ناوفيطس لولدنا الخوري حنا الاميوني، لاننا ارسلنا وكلناه بهذا الامر لانهم وقف الكرسي والدير . ومن جهتك انت احضر لعندنا حال وصول المكتوب اليك . وبما انك قس المذبح الذي حقـارتي صرت عليه مطراناً فلي سلطان من الله عليك . وبهذا السلطان نفسه نامر بالطاعة المقدسة ان حال وصول مكتوبنا هذا تتوجه لعندنا . وما عاد لك دستور من الله ولا منا تستقيم في رومية ولا في غيرها . بل احضر لعندنا لانني في غاية احتياجك . وان كان بتابى عن الحضور بتلزمنا الى القبض عليك . وها نحن في انتظارك . والبركة على اولاد الطاعة

سطر في ٧ ايلول سنة ١٧٣٣

وكتب ايضاً في المعنى نفسه رسالة الى مجمع نشر الايمان في التاريخ المذكور قال فيها :

الكلين النيافة والشرف السادة الكردينالية المحترمين الموكلين على مجمع انتشار الايمان حفظهم الله تعالى امين

فالمعروض على نيافتكم هو انه لما تحقق خبر انتقال الصالح الذكر كير ناوفيطس مطران صيدنايه فسيدنا البطريرك كيرلس المحترم مع اخوتنا المطارنـة انتخبوا حقارتنا وسامونا مطراناً على الكرسي المذكور ومضينا لكرسينا . ولما

عرفوا الاراطقة حركوا اضطهادهم علينا · وفي بركة صلواتكم المقدسة خلصنا من يدهم

ثم نطلب من نيافتكم بانكم ترسلوا لنا القس اغناتيوس الذي كان مع سلفنا المذكور لكي يخدم مذبحه الذي ارتسم عليه لاننا في غاية احتياجه لاجل نفع الرعايا لان روميه ما هي عاوزته . ايضاً نرجو من فضلكم بانكم تامروا القس المذكور انه يسلم البدلات وبقية الحوايج الذين كانوا مع سلفنا كير ناوفيطس المزبور الى الاب الخوري حنا الاميوني لانهم وقف الكرسي والدير لاننا ارسلنا وكلناه في تحصيلهم من القس المذكور

ايضاً نخبر نيافتكم وهو انه اذا اتا لنحوكم احد من الرهبان ماري يوحنا الشوير فلتعلم سيادتكم انهم تحت المنع والرباط من سيدنا البطريرك كير كيرلس لانهم توجهوا ضد خاطره بالعصاوه · وان كان بيصير لهم تصريف منكم ربما يصدر من ذلك ضرر عظيم لان الشيطان ما كفاه انه ارما الانقسام بين المرسلين حتى يرميه بين ابنا الطايفه ايضاً بواسطة المرسلين المقسمين الرايات . لان كل واحد منهم ضد قريبه . وقصده تنفيذ غرضه · ومن هذا الانقسام ضعف الايمان جداً جداً لان الكرازة بطلت · وما بقا غير المقاومات · ومن هذه المقاومات ضعفوا الكاثوليكيين وانحل نشاطهم وبردت حرارتهم واتايدوا الاراطقة . فلهذا السبب ارسلنا عرفنا نيافتكم ليلا يغشوكم بكلامهم او في المكاتيب الذي معهم وتصرفوهم وتوقعوا الشك على سيادتكم يكون ذلك معلومكم، بعد تقبيل برفيرتكم والدعا · ثم نتضرع الى حنيتكم بانكم تفتكروا في معونتنا وتخليصنا من شدتنا التي نحن واقعين فيها بسبب انتصارنا لايمان الكنيسة المقدسة الرومانية

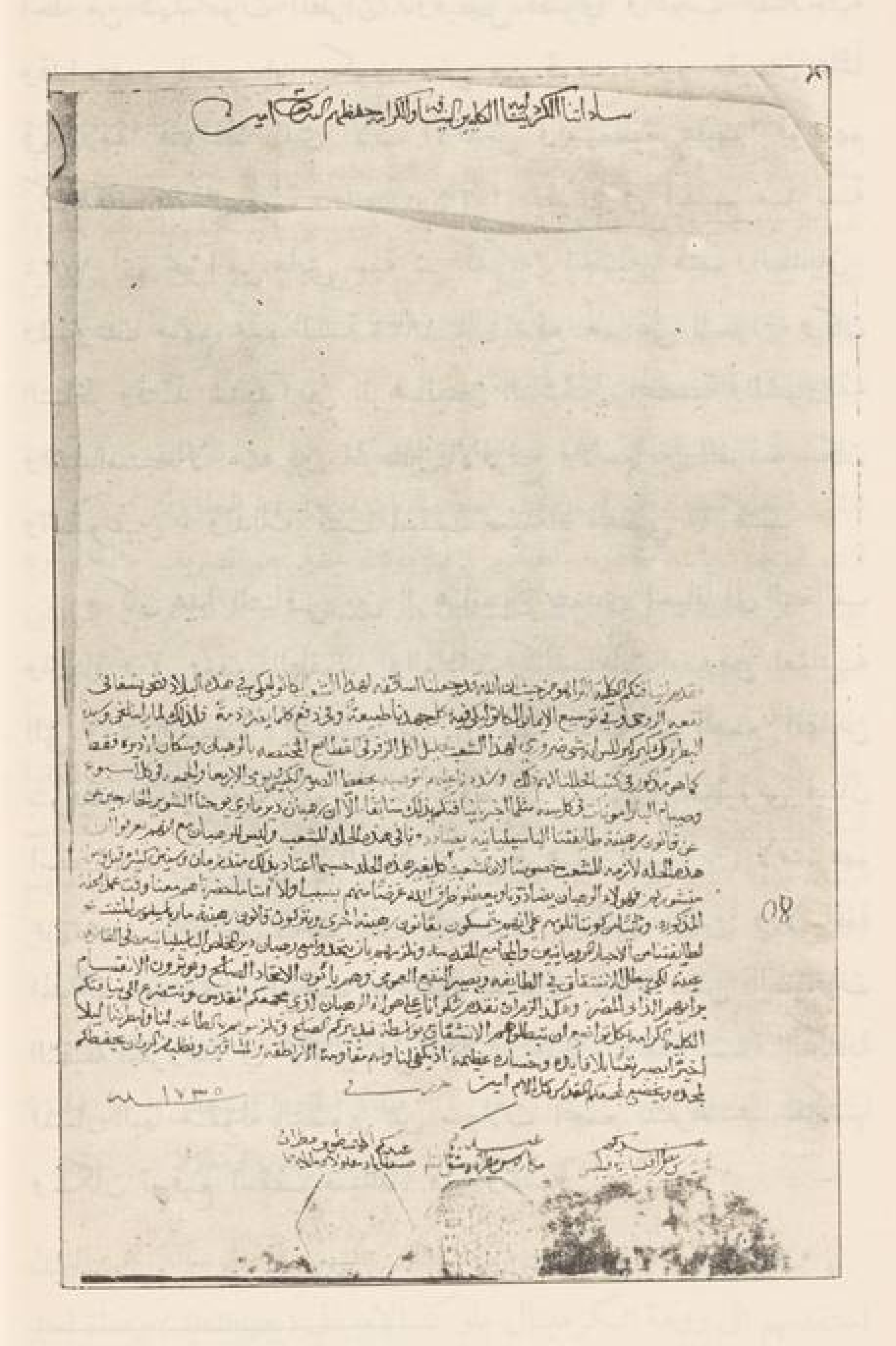
سطر ٧ ايلول سنة ١٧٣٣ عبدكم الحقير اكليمنطس (محل الختم)
مطران صيدنايه ومعلولا

وهؤلاء الرهبان الشويريون المشار اليهم في الرسالة هم الذين استقدمهم الى رومة الكردينال بلوكا الاسباني (Belluga) بوصاة احد رجاله الكنت عازر عجوري الحلبي · وكان الكردينال المذكور

احد من شهد موت المطران ناوفيطس نصري وأعجب بصلاحه وقداسته . فاحب ان يكون بعض من قومه وديره مقيمين دائماً في رومة، فتوسط لدى الاب الاقدس واستعطفه عليهم، فوهبهم كنيسة سيدة السفينة (Navicelle)[1]، وبقيت في ايديهم منذ سنة ١٧٣٤ اي نحواً من مايتي سنة شركةً بين الحلبيين منهم والبلديين. واستردت منهم هذه السنة ١٩٣٢ بمال دُفع لهم على السواء . وكان التناظر وقتئذ شديداً بين الرهبانيتين الناشئتين المخلصية والشويرية . واشد استفحالاً منه بين المرسلين الافرنج ولاسيا بين الفرنسيسكان واليسوعيين . ولذلك كتب اسقف صيدنايا المخلصي ما كتب

وكان هذا التنافس بين الرهبانيتين يتعدى احياناً الى التخالف والتنازع في بعض الطقوس والعادات كالصيامات . ومن امثلته التي ورد للاسقف اكليمنضوس اثر فيها كتابة الى المجمع المقدس بتوقيعه وتوقيع مكاريوس الحلبي مطران دمشق وباسيليوس فينان اسقف قيسارية فيلبس في الشكوى من الرهبان الشويريين لامتناعهم عن قبول التحليل الذي اقره البطريرك كيرلس طاناس والاساقفة المذكورون لكل الشعب وخففوا به عنهم وطأة بعض الصيامات الثقيلة المفروضة في الاصل على الرهبان فقط . وهذه نسخة الكتابة المشار اليها منقولة بالتصوير عن سجلات المجمع ننشرها هنا لفائدتها ولمكان توقيع اسقف صيدنايا فيها وختمه

(١) تاريخ الرهبانية الحلبية المخطوط (ص ٦٦ و ٩٥)



وفي سنة ١٧٥٤ استعان البطريرك كيرلس طاناس با كليمنضوس اسقف صيدنايا واثناسيوس دهان مطران بيروت واندراوس فاخوري مطران صور على تسقيف القس موسى بيطار الدمشقي على بعلبك باسم باسيليوس . وذلك يوم خميس الاسرار في ١٨/ ٢٩ نيسان[1] وآخر مجمع شهده اكليمنضوس مع البطريرك مجمع دير المخلص سنة ١٧٥٩

وقد ذكره جرمانوس آدم مطران عكا نائب البطريرك ثاوضوسيوس دهان في كتابة له من بيروت بتاريخ ٢٩ ايار = ١٠ حزيران سنة ١٧٧٦ وقال عنه :

حضره الاخ اكليمندس مطران صيدنايا الذي بلغ من العمر ما ينيف عن الثمانين سنة وصار عاجزاً عن التصرفات المختصة بالاسقفية . . .

وارّخ وفاته القس انطون بولاد فقال في كراسة عندنا بخطه:

توفي بدير القمر بشيخوخة صالحة . ودفن في كنيسة مار الياس سنة ١٧٨٤[2]

---

(١) معروض باسيليوس بيطار اسقف بعلبك لمجمع الكرادلة
(Scritture Generali 1745 vol. 723 fol 54)

(٢) في اللمحة التاريخية في الرهبانية المخلصية للاب قسطنطين الباشا (ص ٣٨) ان وفاة اكليمنضوس كانت سنة ١٧٧٤ وهو ولا شك سهو منه

اساقفة بعلبك وصيدنايا

ليس في الآثار والكتابات التي بين ايدينا ما يستعان به على ضبط السنة التي أسندت فيها رعاية صيدنايا الى اساقفة بعلبك . ولعل ذلك كان بعد وفاة يوسف سفر مطران حمص وقارة سنة ١٨١٠ . وكان الكاثوليك في حمص قليلين . وفي ما جاورها من قارة والنبك ويبرود في اشد حال من الفقر والاعدام . فرأى البطريرك مكاريوس الطويل سنة ١٨١٤ ان تُضم هذه الكنائس جميعها مع صيدنايا والمعرة ومعرونة الى كرسي بعلبك . وجعلها في ولاية الاسقف اكليمنضوس المطران . ولما مات في يبرود سنة ١٨٢٧ خلفه عليها اثناسيوس عُبيد الى سنة ١٨٣٤ فتنزل عنها . وفي سنة ١٨٤٩ اقام البطريرك مكسيموس مظلوم اسقفاً على حمص وحماة وقارة ويبرود والنبك ومعلولا غريغوريوس عطا . وألحق صيدنايا والمعرة ومعرونة بكرسي دمشق . ومنذ ذلك العهد شغرت كنيسة صيدنايا من الاسقفية عند الروم الكاثوليك

اساقفة صيدنايا عند الروم الارثوذكس

ايرونائوس

١٧٤٤ ـ ١٧٦٥

اقامه البطريرك سلفسترس بعد وفاة ناوفيطس نصري في سنة لا يمكن تعيينها اليوم. وذكره في مجمع عقده سنة ١٧٦٥ لتسقيف انثيموس على بغداد[1]. وفي خزانة الدير كتاب ميامر ومقالات الآباء القديسين رقم ٨٥ ورد فيه بالحرف :

« اشترا هذا الكتاب كاتبها الحقير في روسا الكهنة ايرونائوس مطران صيدنايا . . . سنة ١٧٤٤ »

وفيها ايضاً قنداق رقم ١٥٠ طُبع سنة ١٧٤٥ في دير القديس سابا في مدينة ياشي من رومانية وعليه وقفية على دير السيدة بخط ايرونائوس مطران صيدنايا بتاريخ ١٤ تشرين الثاني سنة ١٧٥١ (ح.ش) وآخر تاريخ له في الدير في كتاب برلام ويواصف وقف مريم ابنة الياس الخماش « في زمن البطريرك سلفسترس والمطران ايروثيوس في تشرين الاول سنة ١٧٦٣ » ولا تعرف سنة وفاته

(1) Mansi XXXVIII, 849-850

برنابا

١٧٧٩ ـ ١٨٠٣

كان اسقف صيدنايا ووكيل البطريركية بدمشق كما يؤخذ من الكتابة التي وجدناها سنة ١٩٠٠ منقوشة فوق مدفن الرهبان في التربة ظاهر دمشق وهي هذه :

« قد اهتم بهذا المدفن من احسان المسيحيين وجعله وقفاً باسم طغمة الرهبان المتوحدين الحقير في روساء الكهنة برنابا مطران صيدنايا وكيل البطريرك الانطاكي »

« وذلك في شهر ايلول سنة ١٧٧٩ »

وله في كنيسة الدير كرسي اصطنعه لنفسه سنة ١٧٨١[1] . وفي تاريخ الشام للخوري بريك ان البطريرك دانيال لما اهتم سنة ١٧٨٠ بترميم الكنيسة المريمية وكنائس كبريانوس ويوستينة ونقولاوس « كان مدبره بذلك في اكثر الاوقات برنابا مطران صيدنايا لانه تعب كثيراً » (ص ٤٢ من نسخة برلين الخطية)

نيكيفوروس

١٨٠٧ ـ ١٨٠٨

هو اسقف معلولا ورد ذكره في حاشية في آخر كتاب التريودي رقم ٢٣ من كتب الدير هذا نصها :

« كان الفراغ من نساخة هذا الكتاب في اواخر شهر شباط من شهور سنة ١٨٠٧ مسيحية . وذلك بيد الفقير . . . ميخايل بن خليل الله ويردي الدمشقي اصلاً الارتودكسي مذهباً . . . وقد كتب برسم خزانة الاب النبيل والراعي الجليل الاب السيد المطران كير نيكيفوروس مطران معلولا ادام الله قدسه امين »

(١) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ص ١١٣

وما عتم نيكيفوروس ان توفي في السنة نفسها او في سنة ١٨٠٨ كما يستفاد من حاشية اخرى في المخطوط نفسه قيل فيها :

« اشترى هذا الكتاب الشماس جبرايل عبد النور من تركة المرحوم صاحبه المطران
« نيكيفورس مطران معلولا واوقفه على دير السيدة صيدنايا عن روح والده المرحوم
« توما عبد النور ... تحريرًا في شهر نيسان ثمان وثمانية والف مسيحية ١٨٠٨ »

والمظنون ان في ايامه أُلحق كرسي صيدنايا بكرسي معلولا ولذلك ذكرنا اسمه بين اساقفة صيدنايا

زخريا

١٨٥٠

لا يُدرى متى تولى الاسقفية وهل خلف نيكيفوروس توّاً ام فصل بينهما اسقف آخر . وهو يوناني الجنس لغلبة اليونان وقتئذ على الكرسي الانطاكي . قتل في ١٦ تشرين الاول سنة ١٨٥٠ في معلولا في موقعة الحرافشة . وكان رجال العسكر التركي بعد ان قبضوا على رؤساء العصاة وتتبعوا آثار المنهزمين عادوا على ادراجهم وتفرقوا في بيوت معلولا ينهبون ويقتلون ويرتكبون انواع المحارم . فهجم فريق منهم على دير مارت تقلا وكان الاسقف زخريا فيه فظن انه اذا فتح لهم الابواب عفواً وشاهدوا شيخوخته وسكينته لا يتناولونه بأذى ويحفظون ذمة سكان الدير . فما كاد الباب ينفرج عنه حتى بادروه باطلاق الرصاص فخرّ صريعاً بست رصاصات . فسلبوه ثيابه ونقوده وكان حاملاً منها ١٥٠ ريالاً هولاندياً . ومات وله من العمر قريب من سبعين سنة[1]

(1) *Rapport de Basily consul de Russie à Beyrouth à M. de Titoff Ambassadeur de Russie à Constantinople* le 15/27 novembre 1850. Cité par P. A. Rabbath. *Documents Inédits pour servir à l'histoire du christianisme en Orient.* t. II, *p.* 174

متوديوس صليبا[1]

١٨٥٤ _ ١٨٨٨

اصله من بتغرين في لبنان . وهو اول من نقل كرسي الاسقفية الى زحلة بعد مقتل زخريا في معلولا . توفي في ١٣ آب سنة ١٨٨٨ ح . ش[2] .

جراسيموس بارد

١٨٨٩ _ ١٨٩٩

من راشيا . درس في روسية . وسُقف في القرعون في ٢٥ اذار سنة ١٨٨٩ ح . ش . وتوفي في ١٣ ايلول سنة ١٨٩٩ ح . ش[3] وهو الذي سعى في التخلص من ربقة اليونان ومهَّد السبيل لاستقلال البطريركية السورية

(١) قبل كتابة هذا الفصل اردت ان اطلع على ما كنت اظن انه محفوظ من تراجم اساقفة صيدنايا في سجلات البطريركية الارثوذكسية بدمشق . وكان الكرسي البطريركي يومئذ شاغراً . فلم اجد من يعرف منها شيئاً . وأشير علي ان اتوجه الى زحلة حيث مقام اساقفة سلفكية . وهذا اللقب عندهم يتناول صيدنايا ومعلولا وزحلة . فلما مثلت بين يدي الحبر الجليل نيفون سابا اجمل سيادته لقائي واعتذر انه لما قدم زحلة لم يجد سجلًا جامعاً لتاريخ سلفائه على الكرسي ـ ومعلوم ان مثل هذا التفريط والاهمال شامل كل الكنائس السورية بالاجمال ـ واحالني على مؤرخ الاسر الشرقية الاستاذ الصديق عيسى افندي المعلوف . وعنه اخذت هذه الاخبار القليلة الآتية عن متوديوس وجراسيموس وجرمانوس ونيفون مما اشكره عليها . وعسى ان يوفق لجمع ما يكون اوفر منها بياناً واجل شاناً

(٢) مجلة النعمة . تموز ١٩١٠ ص ٨٤

(٣) مجلة النعمة . تموز ١٩١٠ ص ٨٤

جرمانوس شحاده

١٩٠٤ ـ ١٩٢٥

ولد في مزرعة العرب في بيروت . تولى الاسقفية سنة ١٩٠٤ وأقيل منها سنة ١٩٢٥ لتخليه عن ابرشيته وايثاره الاقامة في امريكة

نيفون سابا

١٩٢٥ ـ ١٩٣٠

نشأ في السويدية وانتدب للاسقفيـة في ٢٣ اذار سنة ١٩٢٥ ح.ش. وفي ٣٠ اذار سنة ١٩٢٩ ح.ش . وافق على انتزاع صيدنايا وسائر قرى القلمون من كرسيه والحاقها بدمشق حسبما ذكر لي سيادته في زيارتي زحلة في ١٨ تشرين الاول سنة ١٩٣٠

الرهبان والراهبات

اتفقت اكثر الروايات على ان اول من اعتزل في صيدنايا وترهب فيها امرأة من دمشق، فكان الدير منذ انشائه دير نساء واختص بهن الى اليوم الحاضر . ولذلك كان يُعرف دائماً بدير البنات . ولكنهُ لم يخلُ قط حتى القرن الثامن عشر من الرهبان . وقد اشار فريق من الزوار مرة بعد اخرى الى عدد الفئتين فكانوا ثمانية رهبان واثنتي عشرة راهبة سنة ١٢٦١[١] وفي سنة ١٣٨٤ ثلاثاً وعشرين راهبة[٢] ونحواً من اربع وعشرين في سنة ١٥٩٨ ـ ١٥٩٩[٣] . وبلغ مجموع الرهبان عشرين والراهبات اربعين سنة ١٦٩٧[٤] . ثم انحط الى اثني عشر راهباً وقريباً من عشرين راهبة بين سنة ١٧٠٠ و١٧٢٠[٥] واخذ بعد ذلك في الزيادة حتى استقرت جملة الراهبات احدى وستين في عهد المطران ناوفيطس نصري[٦] وهو قدر لم يُدرك من قبل . وفي سنة ١٧٣٥ كنّ نحواً من اربعين في رواية بعض السياح الانكليز . ومع انه ذكر ان في الدير دارين واحدة للراهبات واخرى للرهبان لم يشر الى عدد الرهبان[٧] . على ان پوكوك زار الدير بعده بقليل وقال ان الرئيسة هي التي تختار الراهبات وعددهن

(1) Michelant et Raynaud. *Itinéraires à Jérusalem*, p. 173
(2) Lionardo Frescobaldi. *op. cit.* p. 168
(3) Don Aquilante Rochetta, *op. cit.* p. 90
(4) H. Maundrell *op. cit.* p. 221
(5) Van Egmont and J. Heyman, *op. cit.* p. 261
(٦) سيرة كير ناوفيطس نصري ص ٥٩٨ (*Documents Inédits*, t I)
(7) John Green. *A Journey from Aleppo to Damascus*, London 1736 p. 52

عشرون . واقتصرعلى ذكر كاهنين فقط كانا وكيلين لهن، الواحد مقيم في الدير، والثاني عند زوجتهِ في البلد[1] . وفي سنة ١٨٢٥ حل ضيفاً في الدير سائح اخر انكليزي ولم يجد فيه سوى خمس وعشرين راهبة وخمسة كهنة[2] . واخر من احصى الراهبات القس الانكليزي پورتر سنة ١٨٥٠ وكن يومئذ اربعين ما خلا الرئيسة[3] وهو عددهن اليوم تقريباً

وفي خزانة مدينة تور في فرنسة مخطوط رقم ٩٢٧ من القرن الثالث عشر فيه اخبار ايقونة صيدنايا نظمت شعراً . ورد في بعضه ان الرهبان الروم كانوا في جهة من الكنيسة يتولون الخدمة الدينية . والراهبات في جهة اخرى ولهن رئاسة الدير . لان اول من تنسك واحضر الايقونة كانت راهبة منهن (fol. 229) . وقد انكر بعض الزوار مثل هذه المساكنة تحت سقف واحد، حتى لم يجد الاسقف المقيم في الدير بداً من التظاهر امامهم بالشدة والسهر على حفظ القانون لتدارك الخلل . وتوسع الهولانديان في شرح هذه الحال والاعتذار لها بايراد بعض الشهادات والامثال القديمة مما هو ادعى الى التعجب والاستغراب[4] . وكانت مثل هذه البدعة والمخالطة القبيحة غير مقتصرة على دير صيدنايا وحده بل شاملة اكثر الديارات في الشام . ولما اجتمع البطريرك اغناطيوس عطية سنة ١٦٢٨ مع احد عشر اسقفاً من اشياعهِ في بلدة الراس بالقرب من بعلبك لخلع كيرلس الدباس منازعه على البطريركية نظروا في

(1) R. Pockocke *op. cit.* p. 394
(2) John Madox *op. cit.* p. 145
(3) J. L. Porter *op. cit.* p. 345
(4) Van Egmont and John Heyman *op. cit.* p.p. 261-262

حالة الكنيسة الانطاكية وما فشا بين رجالها وبنيها من المفاسد والشرور وعم من البدع والمنكرات ووضعوا لازالتها والنهي عنها عشرين قانوناً . قالوا في الخامس عشر منه :

« كان لهم عادة ردية ان الرجال ينامون في ديارات النساء والراهبات يختلطن بالرجال . فمن الان لا يجوز فعل ذلك . لان الشيطان له مدخل عظيم في مثل هذا الامر . فمن تعدى ذلك وعمل بخلاف ناموس الله فجماعة السينودس تحرمه »

واشار كاتب سيرة المطران ناوفيطس نصري الى بقاء هذه العادة في ايامه فقال :

« الراهبات فالتات على روسهم والدير فالت ... فحرم المطران على الرجال انهم يدخلوا الى عند الراهبات . والراهبات يخالطوا الرجال ولا الرهبان . وعمر دير اخر تحت الى الرهبان »

وقد تقدم من قول بعض روّاد الانكليز انه كان في الدير سنة ١٧٣٥ داران احداهما للرهبان فلعلها هي التي اصلحها المطران ناوفيطس او جدد قسماً منها . وقد ورد ذكرها قبل مجيئه الى صيدنايا في زمن يصعب تحديده ولكنه على كل حال سابق سنة ١٦٧٤، وهو التاريخ الذي قدم فيه السائح الهولاندي لوبران الى الشرق واشار الى دير صيدنايا وقال : « انه قائم على جبل في اعلاه قلالي الراهبات وفي اسفله قلالي الرهبان[1] » . ولا تزال الى اليوم اسماء بعض الرهبان مرقومة على حجارة البناء في الغرف القديمة في زاوية الدائرة البطريركية التي في طبقتها السفلى . ونظراً لقرب جوارها من سائر حُجر الدير بقيت الحال على ما كانت عليه من الاختلاط والخروج عن سنن الرهبانية . ولذلك عمت الشكوى من تصرف

(1) *Corneille Le Brun, voyage au Levant*, traduit du Flamand. Delft 1700, p. 100

الفريقين حتى استغاث الخوري بريك احد رؤسائهم من شرهم المتفاقم . ولما ذكر خراب كنيسة الدير سنة ١٧٥٩ واعادة بنائها سنة ١٧٦٢ توسل الى العذراء « كما انها دبرت عمار كنيستها تدبر نظام ديرها ورهبانها وراهباتها الغير المنظومين ولا مروضين » (تاريخ الشام ص ٢٩) . وحينما استدعاه البطريرك دانيال سنة ١٧٦٨ واقامه رئيساً ووكيلاً على الدير قال : « فانطلقت اليه وخدمته سنة كاملة ثم تنزلت عن الخدمة لاسباب ما ولكثرة الاتعاب وعدم النظام » (ص ٣٥) . وقبله شكا ايضاً البطريرك اثناسيوس الدباس في منشوره سنة ١٧٢٤ للمطران ناوفيطس نصري « من انخرام نظام الدير وتبلبل احوال ساكنيه وطروق العوام والامم الغريبة اليه وانعدام حقيقة الرهبانية فيه »

ولا شك ان مثل هـذه الفوضى في الحياة النسكية كانت من اكبر دواعي انتقاض الرهبانية والغائها من الدير . وقد اختلف في تعيين زمن هذا الالغاء . فذهب البعض الى انه كان في عهد البطريرك كيرلس الزعيم او بعده بقليل . واستندوا في ترجيح هذا الرأي على الكتاب الآتي الذي كتبه البطريرك المذكور لرئيسة الدير حنة سنة ١٧٠٣ وكان قد ولّى رئاسة الدير او « معلّميتهُ » كما كانوا يقولون وقتئذ الخوري موسى وهو دون ريب ابن حنا اللحام الدمشقي . فلم يرضَ به سائر الرهبان وثار ثائرهم . فاشتد غضب البطريرك وخاطب الرئيسة حنة بهذا الخطاب . ننقله هنـا برمته لفائدته التاريخية وطرافته وحلاوة بعض عباراته والفاظه العامية قال[١] :

(١) اخذت نسخة هذا الخطاب عن الاستاذ عيسى افندي المعلوف نقـلاً عن خزانة البطريرك غريغوريوس حداد

« المجد لله دائماً »

كيرلس برحمة الله تعالى البطريرك الانطاكي وساير المشرق

بعد حلول البركة على صحة الريسة حنة بارك الرب الاله عليها
باتم البركات السماوية امين

وبعده نخبرك باننا كنا سابقاً كتبت لكم مكتوب وامرنا فيه بان يكون الخوري موسى يُدوبش مكان الحاج يوسف بالدير ويامر وينهي في اشغال الدير كما ينبغي. ولا احداً من الرهبان والراهبات يطلع من خلاف فما جانا منك جواب كيف تم . ولكن بلغنا من عند راهب ديركم بان وقع بين الرهبان سجس وخناق . وقالوا ما من وقف الخوري موسى معلم بالدير ولو حكم علينا باشه . بدي اقشع بس. من هو هذا الذي عامل هالعمل . وقاصد تبطيل كلامنا . ويعمل بغرضه تنفيذ كلامه . انا كلامي ومكاتيبي في كل مكان سالك . وعند كل احداً نافذ . وعند راهبين ثلاثة ما ينفذ . ولكن والله العظيم ان ما رجع الذي عامل هالعمل عن غيه وما هو فيه . وظل راكب غلطه . برسل بجيبُه . وباخذ قبعه . وبحلق شعره وبسلمه للحاكم . وبأدِّب فيه كل الارض . فالمراد يكفا . استحوا . خافوا الله. جرّصتوا عرضكم وديركم . وصرتم مَثلي في الدنيا . فالمراد يكون الخوري موسى معلم بالدير . ولا احداً يتعارضه بكلمة الرب العزيز سلطانها . ولازم ترسلي تعرفيني عن كل من هو متعارض هالخوري بغير حق . تعلمي ذلك . وبوصول المكتوب اليك ترسلي لنا حمل بغل فردي خل طيب . وفردي نبيذ . من كل بد وسبب . لاننا بعازته نهار غدا والبركة عليك ثانياً وثالثاً

سطر في سنة ١١١٥ يوم الخميس رابع صوم   كيرلس البطريرك الانطاكي

لا جرم ان من يطالع هذه الرسالة يغلب على ظنه ان البطريرك كيرلس لما رأى الرهبان مصرّين على غيهم وعصيانهم استشاط غيظاً وامر بتبديد شملهم واخراجهم من الدير ولكن يكفي لتنحية هذا الظن التنبيه الى ما مر قبلًا في ترجمة المطران ناوفيطس الذي

تولى اسقفية صيدنايا بعد البطريرك انه عمر او اصلح دير الرهبان وهو ما ينفي طبعاً سبق الغاء رهبانيتهم . وتقدم ايضاً من كلام الخوري بريك شكواه من الرهبان سنة ١٧٦٢ . ولدينا في ما خلا ذلك شهادة مادوكس الانكليزي انه كان في الدير سنة ١٨٢٥ خمسة رهبان . وهذه الادلة كلها ترجح ان انقطاع الرهبانيـة من الدير لم يكن الا بعد وفاة البطريرك كيرلس الزعيم بمدة طويلة لا يمكن تحديدها

وقد اشار بعض الزوار الى جملة ما كان يشغل الرهبـان من الخدم الدينية والسعي في مصالح الدير ولكنهم لم يتعرضوا لتفصيل شيء منها . ولا شك ان اول ما كانوا يحرصون عليه اشد الحرص التنقل في البلاد لجمع الصدقات للدير لما كان يعود عليهم من الفائدة واللذة . وقد نقـل الهولاندي لوبران حكاية وقعت لاحدهم في هذا السبيل لا بأس من ايرادها هنا لما فيها من بعض البيان والشرح . قال بتاريخ ١٦٧٠

« سئم فتى من الرهبان من عزلة الدير وتاقت نفسه للتجول في
« سورية بحجة التسول للراهبات البائسات وهو ما كان البطريرك
« الانطاكي يرخص به مرة بعد اخرى في كل ابرشيته . ولكن
« الراهب كان يجهل ان دير صيدنايا كان مقتصراً على البطريركية
« الانطاكية حيث موقعه من عمل دمشق . فتابع الطواف والاستعطاء
« الى قريب من بيت المقدس واحتاط لذلك بتزوير الكتب التي
« معه من رئيسة صيدنايا وتوصل بها الى جمع مبلغ من المال وافر
« بالنسبة لحالة البلاد الفقيرة . وكانت في نيتهِ المصير الى طرابلس

« وارتياد مركب فيها يحمله الى اروبة او ينطلق به الى جهات
« القسطنطينية. ولكنه لما بلغ جبل عجلون وفيه عدة قرى ومزارع
« نصرانية لقي فيه جابيين من قبل البطريرك الاورشليمي . اعتاد
« ان يرسلهما الى الجبل كل سنة . فاستوقفا الراهب وسألاه لمن
« يجمع الصدقات في هذا المكان . فقال لهما لدير صيدنايا . فقبضا
« عليه حالاً لاخذه ما لا حق له فيه ولا رخصة به . وسيّراه الى
« بطريركها . فكتب بشأنه الى رئيسة صيدنايا ونزع عنه شارة
« الرهبانية لعدم استحقاقه خدمة الدين والتزيي باثوابه[1] »

وقد اتفق اكثر الرواة على ان الرهبان والراهبات كانوا من الطقس الرومي متمسكين بقانون القديس باسيليوس خلا الهولاندي لوبران فانه نسبهم الى قانون القديس انطونيوس . واذا صح ان الرهبان كانوا متقيدين باحدى الطرائق النسكية، فلا ريب ان الراهبات لم يكنَّ على مذهب من المذاهب الرهبانية المعروفة . فكان حبلهن على الغارب لا يعرفن نذراً ولا قيداً سوى الخدمة سبع سنوات كما نبه على ذلك بوكوك، قال : فالدير اشبه بمستشفى تسكنه عجائز لا همّ لهن الا الشغل ولاسيما تربية دود القز . وقد ارتني الرئيسة يديها واشارت الى كثرة الخشونة فيها لشدة الشغل[2] . ووصفهن بورتر بالأُمية والجهل وان الرئيسة لا تتميز عنهن بفهم ولا بلبس . ووصف ملابسهن الزرقاء كما هي اليوم[3] . وكانت هذه الملابس في زمن روكتا الايطالي (١٥٩٨ ـ ١٥٩٩) من الصوف

---

(1) Corneille Le Brun *op. cit.* p. 100
(2) R. Pockocke *op. cit.* p. 394
(3) J. L. Porter *op. cit.* p. 345

والقطن الاسود وعليها زنار عريض من الجلد[1] كن يتمنطقن به ايضاً في زمن فرسكوبالدي (١٣٨٤) ومن اجله غالباً دعاهن « عذارى مسيحيات من نصارى الزنار[2] » . وكان حجاج الافرنج في الشرق اكثر ما يطلقون هذه التسمية « نصارى الزنار » (Chrétiens de la ceinture) على اليعاقبة والاقباط والموارنة[3] وقليلاً على الملكيين . ولعل سبب هذا الاطلاق تميز النصارى بلبس الزنار في جملة السِمات التي كانوا يُكرَهون عليها في الاسلام . على ان بعض الحجاج الفرنسيين لما زار بيت لحم سنة ١٥٣٣ ـ ١٥٣٤ قال ان المسيحيين فيها يُدعون نصارى الزنار لانه كان لهم مُصلى في الكنيسة وراء جبل الزيتون حيث العذراء مريم اسقطت زنارها للقديس توما يوم انتقالها[4] . وهو تفسير غريب

(1) Don Rochetta *op. cit.* p. 90

(2) L. Frescobaldi *op. cit.* p. 168

(3) Nicolas de Hault. *Voyage de Hiérusalem, fait l'an mil cinq cents quatre vingt treize.* Rouen 1601 p. 36

(4) Greffin Affagart. *Relation de Terre Sainte.* Paris 1902, p. 131

رؤساء الدير

اغفل ارباب الدير تدوين اسماء الذين تولوا رئاسة الرهبان والراهبات في كل عصر حتى في الايام الاخيرة. وقد قلّبنا ما أُطلعنا عليه من كتب الدير واوراقه فلم نعثر من اسماء رؤساء الرهبان او معلمي الدير كما كانوا يقولون اخيرًا الا على ثلاثة فقط ووجدنا رابعاً في خزانة مجمع نشر الايمان. وهم :

الخوري ابرهيم بن يوحنا بن شكور الدرعطاني

ورد ذكره في المخطوط رقم ٦٩ وهو كتاب «السنكسارات التي الفها الجليل نيكيفورس الاكسانتوبولي في اعياد التريودي المشهورة» جاء باخره ما نصه :

«تم وكمل الكتاب . . . بيد العبد الفقير .. الخوري براهيم ابن المرحوم
«يوحنا بن شكور الدرعطاني كاتب يومئذ بمحروسة صيدنايا المأيدة بالحصن العامر
«ويعرف بدير البنات وخادم كنيستها . . . وذلك في اواخر تشرين الاول المبارك
«سنة سبعة الاف ماية وخمسة وخمسين لآدم عليه السلام . . .» (١٦٤٦ م)

وهذا الراهب هو الذي اقامه البطريرك مكاريوس الزعيم اسقفاً على معلولا ويبرود سنة ١٦٤٨

الخوري موسى ابن اللحام الدمشقي

هو الذي كتب من اجلهِ البطريرك كيرلس الزعيم الكتاب المتقدم للرئيسة حنة. وورد ايضاً ذكره في المخطوط رقم ٥٠ المحفوظ بالدير. وهذا ما قيل فيه :

« وكان النجاز من نسخة هذا الافخولوجيون المبارك نهار الاحـد يوم عيد
« دخول السيدة الى الهيكل في واحد وعشرين يوم مضت من شهر تشرين الثاني
« سنة سبعة الاف ومايتين واثنا عشر لابونا آدم (١٧٠٣ م) . . . على يد احقر
« العباد . . بالاسم خوري موسى لا بالفعل وهو يومئذ راهب وخادم الدير العامر دير
« السيدة بصيدنايا دمشقي الاصل ابن حنا ابن اللحام »

ويُستنتج من الكتاب السابق للبطريرك كيرلس الزعيم انه لم يُعيَّن معلماً في الدير الا سنة ١٧٠٣ . وقد وجدنا مع ذلك ما يدل على انه كان منذ سنة ١٧٠٠ في هذه الخدمة وهو قوله في حاشية علقها سنة ١١١٢ للهجرة (١٧٠٠ م) على الكتاب رقم ٤٧ قال فيها :

« وكان معلم في الدير كاتب الاحرف موسى ابن اللحام دمشقي الاصل صاحب
« هذه السواعية »

ومن المخطوطات بقلمه كتاب اعمال الرسل رقم ١٠ كتب بآخره

« كان التام من نسخة هذه الرسائل المباركة نهار الاحد يوم ثمانية مضت من
« شهر اذار المبارك سنة سبعة الاف ومايتين وواحد وعشرين لابينا آدم عليه السلام
« (١٧١٣ م) وهو بيد احقر العباد . . . بالاسم راهب وخوري لا بالفعل . موسى
« ابن حنا اللحام الدمشقي الاصل . وهو راهب وخادم الدير العـامر دير السيدة
« بقرية صيدنايا . . . »

الخوري الياس

لا يعرف لقبه . كان في ايام ناوفيطس نصري ووقّع معه في ٢/١٣ كانون الثاني سنة ١٧٢٣ على رسالة لمجمع نشر الايمان في بيان بعض المسائل الطقسية . وكان توقيعه فيها هكذا « الخوري الياس وكيل دير صيدنايا ووكيل البطرك ايضاً »

الخوري ميخايل بريك

هو صاحب التاريخ المعروف . تقدم من كلامه انه تولى الرئاسة والوكالة سنة ١٧٦٨ ثم استقال لنفوره من حالة الدير السيئة . وفي مدة رئاسته القصيرة نسخ بقلمه كتاب خلاص الخطاة . رقم ٧٤ ووقفه على الدير وكتب بآخره « سُطر بيد الفقير الخوري ميخايل بريك رئيس الدير المقدس سنة ١٧٦٨ مسيحية »

رئيسات الدير

اذا صح ان صاحب البيت ادرى بالذي فيه فلا شك ان هذا المثل لا يصح في دير صيدنايا. فليس دير اقل دراية بماضيه، واكثر إغضاء عن حاضره . واشد زهداً في تاريخه واخبار سلفه من اهله امس واليوم . فلا سجلات هنالك ولا اوراق . ولا من يذكر للغابرين خبراً او يصون لهم اثراً . ولذلك لم اجد من اسماء رئيسات الدير بعد اطالة البحث والتنقيب والاستخبار الا طائفة يسيرة تلقطتها من حواشي بعض المخطوطات ونُسخ جانب من اوقاف الدير القديمة وهي هذه

مارينا

سنة ٩٠٠

اتفقت اكثر الاخبار على ان اول من تولى الدير واضاف الحجاج وشهد حضور الايقونة الراهبة مارينا سنة ١٢١٢ للاسكندر اي ٩٠٠ للميلاد . وهذا كل ما يعرف عنها

مرتا بنت نصار الزعبة

١٥٥١

ورد ذكرها في تضاعيف كتاب عجائب القديسين رقم ٧٧ من مكتبة الدير في حاشية كُتب فيها :

« رم هذا الكتاب وحبكه وجلده ورد شعشه ... خوري يحنا ابن جرجس

« يعرف بابن الطبلة ... بتاريخ نهار الاثنين اول شهر آب سنة سبع آلاف وستين
« للعالم ... (١٥٥١ م) وكانت المهتمة في رمّه وتجليده الريسة مرتا بنت نصار
« الزعبية ... »

حنة

قبل ١٥٩٢

في خزانة الدير كتاب بستان الرهبان رقم ٧٠ عليه حاشية عُلقت بتاريخ شهر ايار سنة ٧١٠٠ لآدم (١٥٩٢ م) قيل فيها :

« وكان يومئذ ريسة على الدير المذكور اعلاه صوفيا تلميذة الريسة المرحومة
« حنة نيح الله نفسها مع الاباء القديسين »

صوفيا بنت سعادة

من قرية بجزينا من معاملة حصن الاكراد

١٥٩٢ _ ١٥٩٩

كذا ورد نسبها في بعض نسخ وقفيات الدير . وهذه تواريخ الوقفيات التي كانت باسمها ام في زمانها

من سني آدم ٧١٠١ و ٧١٠٢ (١٥٩٣/٤ م) ٧١٠٣ و ٧١٠٤ (١٥٩٥ و ١٥٩٦) ٧١٠٧ (١٥٩٩ م)

من سني الهجرة ٩٩٨ (١٥٨٩ م) ١٠٠٠ (١٥٩١ م) ١٠٠٢ (١٥٩٣ م)

وكلها ما عدا واحدة (سنة ١٥٨٩) كانت على عهد اثاناس اسقف صيدنايا

مرتا بنت صعود ابن سعادة

من قرية البلاط

١٦٠٠ _ ١٦٣١

في مكتبة الدير تيبيكون سرياني عربي خطّ سنة ٦٩٦١ لآدم (١٤٥٣ م) جاء في آخره :

« اشترى هذا الكتاب المبارك المسما تيبيكن الحقير في روسا الكهنة سياون
« خادم كرسي دير ستنا السيدة بمحروسة صيدنايا والحجة[1] مرتا ريسة دير ستنا
« السيدة . . . »

وهذه تواريخ الوقفيات القديمة التي ذكرت فيها في زمان اسقفي صيدنايا اثاناس وسياون

من سني آدم ٧١٠٨ (١٦٠٠ م) ٧١١٠ و٧١١١ و٧١١٢ (١٦٠٢ و١٦٠٣ و١٦٠٤ م) ٧١١٦ (١٦٠٨ م) ٧١٢٢ (١٦١٤ م)

من سني الهجرة ١٠١١ (١٦٠٢ م) ١٠١٧ (١٦٠٨ م) ١٠٣٠ (١٦٢٠ م) ١٠٣٨ (١٦٢٨ م) ١٠٤١ (١٦٣١ م)

مريم

١٦٤٠ و١٦٤١

ذكرت في وقفيات الدير بتاريخ سنتي ١٠٥٠ للهجرة (١٦٤٠ م) و ٧١٤٩ لآدم (١٦٤١ م)

---

(١) قد جرت العادة باطلاق لقب الحاجـة او « الحجة » في الاصطلاح العامي على كل راهبة في صيدنايا . باعتبار زيارة الدير او الاقامـة فيه حجاً اليه كقولهم حج السيدة

بربارة الحلبية

قبل ١٦٧٧

من مخطوطات الدير قنداق رقم ٣٩ في آخره وقفية جاء فيها :
« هذا القنداق المبارك اوقفه نيوفيطس الحلبي عـلى دير ستنا السيدة صيدنايا
« على كنيسة مار ديمتريوس وذلك عن روحه وروح والديه وروح بنت عمه الريسة
« بربارة المتنيحة ... وذلك بتاريخ سنة سبع آلافماية وخمسة وثمانون للهجرة »
(كذا بدلاً من لآدم) (١٦٧٧ م)

كاترينا

١٦٧٨ و ١٦٨٠

كانت في زمن كير لاونديوس اسقف صيدنايا وورد اسمها في وقفيات الدير سنة ١٠٨٩ و١٠٩١ للهجرة (١٦٧٨ و ١٦٨٠ م)

ايريني الحلبية ابنة القندلفت

١٦٨٢ و١٦٩١

جاء نسبها مرة ابنـة القندلفت ومرة بنت الاقلوم Econome في وقفيتين من مخطوطات الدير . الاولى عـلى افخولوجيون رقم ٤٨ كتب بآخره :
« كان النجاز من هذا الكتاب المبارك في اواخر ايلول سنة سبعة آلاف ماية
« واثنين وتسعين لآدم (١٦٨٣ م) وذلك بيد العبدة الاثيمة ايريني الراهبة بنت
« الاقلوم وهي اوقفته للسيدة عن روحها وروح والديها »

وبعد ذلك

الحقير في روسا الكهنة المطران ملاتيوس

« اوقف هذا الافخولوجيون المبارك الاخة الريسة ايريني الحلبية على دير ستنا

« السيدة العامر بحصن صيدنايا . . . وحرر ذلك اواخر شهر حزيران من سنين
« سبعة آلاف ومابة واثنين وتسعين لآدم ابو البشر » (١٦٨٣ م)

والوقفية الثانية على كتاب انجيل رقم ٦ بخط يدها كتبت فيه بآخر بشارة القديس يوحنا :

« حرر بيد العبدة الضعيفة النحيفة المعترفة بذنبها التائبة الى ربها ايريني الحلبية سنة سبعة الاف مابة تسعة وتسعين لآدم » (١٦٩١ م)

وفي الورقة الاخيرة من الانجيل المذكور

« المجد لله دايماً »

الحقير في روسا الكهنة المطران ملاتيوس

« اوقف هذا الانجيل الطاهر والمصباح المنير الزاهر الابنة المباركة الريسة ايريني
« الحلبية الاصل المذهب المسيحي بنة القندلفت . . . حرر ذلك في شهر اواخر
« حزيران من شهور سنة سبعة الاف ومابة مايتين (اثنين) وتسعين لابونا ادم
ابو البشر » (٧١٩٢ = ١٦٨٣ م)

وفي الدير ايضاً كتاب التريودي رقم ٤٥ جاء في الورقة الاخيرة منه :

« نضر في هذا الكتاب الذي هو الاستشراري المبارك الولد الحقير . . . ابرهيم
« باسم اغنسط نجل المرحوم جرجس من شق معلولا . . . وذلك نهار سبت النور
« العظيم في رياسة ايريني الحلبية وولاية كير لاونديوس سنة سبعالاف (ومابة)
وثلثة وتسعين » (١٦٨٥ م)

ولم تذكر في اوقاف الدير الا مرة واحدة سنة ١٠٩٣ للهجرة (١٦٨٢ م)

حنة بنت داول الصيدناوية

١٧٠٠ و١٧١٠

هي التي ارسل لها البطريرك كيرلس الزعيم الكتاب الذي تقدم سياقه في الكلام على الرهبان والراهبات . وكان انتخابها للرئاسة في زمانه سنة ١٧٠٠ كما جاء في حاشية بآخر كتاب الارلوجيون رقم ٤٧ هذا نصها :

« وكانت رياسة الريسة حنة بنت داول الصيدناوية سنة ١١١٢ للهجرة في
« شهر ايار على زمان البطرك كيرلس الحلبي ابن ابن البطريرك ماكريوس . وكان
« معلم الدير كاتب الاحرف الخوري موسى ابن اللحام دمشقي الاصل صاحب هذه
« السواعية »

وفي الدير كتاب المعيّد رقم ٢٩ كتب باخره على الجلد :

« وقد عرمه بيده الفانية الولد ميخائيل مراد . وكان المهتم به الريسة حنه اجزل
« الله ثوابها سنة ٧٢١٧ لآدم (١٧١٠ م) هجرية ١١٢٢ وذلك في صوم الميلاد »

تقلا

١٧١٥

ذكرها السمعاني لما زار الدير في السنة المذكورة كما تقدم في الكلام على اللغة السريانية . وحكى ان كل اشغال الدير واملاكه في عهدها كانت في يد بعض وجهاء معلولا

مريم

١٧٣٣

لها بين نسخ اوقاف الدير وقفية سنة ١١٤٦ للهجرة (١٧٣٣ م) في زمان البطريرك سلفستروس

مفضابنى

١٧٤٥

ورد ذكرها في حاشية حديثة كتبت في تضاعيف كتاب « اخبار القديسين الاطهار » رقم ١٣ قيل فيها انها امرت بتجليد هذا المخطوط بتاريخ ٢٢ نيسان سنة ٧٢٥٣ لآدم و ١٧٤٥ للتجسد

تفضورة ؟

١٧٦٤

كذا ورد اسمها في تاريخ الشام المخطوط للخوري بريك المحفوظ في برلين . واما في المطبوع فضبط هكذا تمفيذورة (ص ٩٠) ولا يعرف من اخبارها الا ما جاء في التاريخ المذكور انها اطفأت النار حين اشتعلت في طاق الشاغورة لما اراد البطريرك سلفستروس انتزاع ما فيها من الحلى والزينة

كازبنا ميفن

١٨٣٤ ـ ١٨٥١

كانت من دمشق . وهي التي شهدت احراق المخطوطات السريانية التي كانت في مكتبة الدير[1] ذكرت مرتين في وقفية سنة ١٨٤٠ ووقفية ١٨٥١ من نسخ الاوقاف وهي التي استقبلت ابرهيم باشا المصري حين مرّ بصيدنايا منطلقاً الى يبرود والتمست منه الاذن كما تقدم ببناء خمس عشرة غرفة في الدير

(١) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ص ١١٧ ـ ١١٨

ابركسيا

١٨٦٩ ـ ١٨٨٣

من قرية خربا . ذكرت في وقفية سنة ١٨٧٨ . قيل لي انها بقيت في الرئاسة نحواً من ١٤ سنة

تقلا غزال

١٨٨٣ ـ ١٨٨٨

من دمشق يرجح انهـا تولت الرئاسة توًا بعد ابركسيا قريباً من ٥ سنوات

سعدى هلال

١٨٨٩ ـ ١٨٩٩

من الزبداني وهي حفيدة الحاجة كاترينا مبيض زرتها في الدير سنة ١٨٩٩ في شهر ايار وقصّت علي خبر احراق المخطوطات في زمن جدتها المذكورة

مريم بحمدوني

١٨٩٩

من بحمدون في لبنان بقيت في الرئاسة ثمانية اشهر تقريباً

مريم السمرا

١٩٠٠ ـ ١٩٢٨

من دمشق . وفي ايامها استجلب الماء الى الدير سنة ١٩٢٤

مريم صباغ

١٩٢٨

من دمشق . كان انتخابها في ٣ ايلول سنة ١٩٢٨ ح.ش

مخطوطات الدير

اول من اشار اليها من الغربيين پول لوكاس سنة ١٦٩٩ وقع عليها عرَضاً وابتاع منها مخطوطين سريانيين كما تقدم من لفظه (ص ١٣٨) وقد غفل عنها كل من جاء بعده من المتأخرين ولم يفطن احد منهم الى ان الدير مظنَّة وجودها حتى بين المشتغلين منهم بالكتابة والتصنيف نظير پورتر و كليمان هُوار . واوحد من عرفها واقتبس منها من الشرقيين الشماس بولس الزعيم في منتصف القرن السابع عشر ذكرها مرتين في مجموعه المخطوط بقلمه : « اخبار انطاكية وبطاركتها » المحفوظ عندنا . الأولى ، في كلامه على كتاب التيبيكون الصغير لنيكن قال في التعريف به :

« اعلم يا اخي ان هذا الكتاب الثاني المذكور وجدته في دير ستنا السيدة « بعمورة صيدنايا قديم جداً فجبته الى حلب . واحييته . لاني كتبت عليه نسختين « جدد . ولم اجد ولا سمعت ان في بلاد العربية له نسخة ثانية . ولكني وجدت « في دير حمطوره من بلاد طرابلس كتابه الثالث الصغير ونسخته ايضاً »

والثانية . بعد ان نقل قول صاحب النجوم الزاهرة في استيلاء الفرنج على انطاكية والمعرة سنة ٤٩١ للهجرة (١٠٩٧ م) علّق عليه هذه الحاشية :

« اعلم يا اخي اني وجدت في دير صيدنايا المعمور في كتاب قديم فيه هذه الاخبار التي اذكرها الان » وسرد على الاثر صفحتين من تاريخ عربي في الاخبار الصليبية واغفل تسمية مؤلفه

وقد سبق لنا غير مرة التنبيه على جانب من هذه المخطوطات

المُحبسة على الدير . وكلها من المصاحف الدينية . وهي في الغالب اما من تركة الرهبان المقيمين في صيدنايا . واما من وقف الزوار والحجاج ، في السريانية والعربية واليونانية . وبينها كل قديم ونفيس ، ولاسيما السريانية في الرقوق وهي معظمها . ولا شك انه كان في جملتها بعض المجلدات المختصة بالنساطرة واليعاقبة وسائر الفِرق النصرانية التي كانت توزعت هياكل الدير كما تقدم الإلماع اليه . وكان وقتئذ قسم من هذه الكتب الشائعة في الصلاة يُتخذ في اكثر الكنائس على السواء دون تمييز ولا انتقاد ، على ما في بعض اقوالها ومذاهبها من الخلاف بين فئة واخرى . ولذلك لما التأم مجمع الملكيين في بلدة الراس سنة ١٦٢٨ ونظروا في البدع المستحدثة ذكروا في السادسة عشرة منها انه :

« كان لهم عادة ردية بغير معرفة وجهلًا . ان يدخلوا كتب الاراطقة الى « الكنيسة ويظنوها كتب الارتدكسيين ويقراوا منها قصص واخبار وميامر وغير « ذلك . فمن الآن لا يجوز فعل ذلك على ما امر به الناموس المقدس . فمن عمل « بخلاف الناموس فجماعة السينودس تحرمه »

ولا يخفى ما ضاع على العلم والتاريخ الشرقي من الفوائد والتعليقات التي كان يمكن اقتباسها من هذه الذخائر القديمة . وقد كان لاحراقها عمدًا بيد التعصب والجهل رنّة إكبار وإنكار في نفوس علماء المشرقيات حين وقفوا على شرح هذه الفظيعة الشنعاء في المقالة التي كنا نشرناها في تموز سنة ١٨٩٩ في مجلة المشرق بعد ان تلقينا من فم شاهد عياناً اي من فم رئيسة الدير نفسها الحاجة سعدى هلال تفصيل الواقعة . قالت :

« كنت يومئذ فتاة صغيرة عند جدتي في زمان رئاسة الحاجة كاترينا مبيض (١٨٣٤ ـ ١٨٥٠) ووكالة والد الخوري ميخايل كك والشخاشيري وجبران الميداني . وكانت المكتبة في ذلك العهد حافلة بالمخطوطات النادرة . ولاسيما السريانية منها . فانها كانت وافرة جداً حتى خشي الوكلاء من كثرتها ان تكون حجة بيد السريان يتقوّون بها على اثبات حقوقهم على الدير فاجمع رأيهم على اخراجها واتلافها تخلصاً من شرها . فجمعوها ومعظمها من نفائس الكتب المخطوطة على رق الغزال . وبدأوا يحرقونها تحت القناطر (واشارت الى مكانها) ثم كرهوا ان تذهب نارها ضياعاً فجمعوها في فرن الدير لتكون وقوداً له . وخبزوا عليها خبزتين » وظلت النار تشتعل اربعة ايام في تلك المخطوطات خلا ما أحرق منها تحت القناطر لان الخبزة عندهم تبتدئ يوم الخميس ولا تنتهي الا يوم السبت[١]

وكان لا يزال في الخزانة سنة ١٨٩٩ مجلدان من المخطوطات الملكية السريانية لم تلتهمهما النار . احدهما فيه فصول طقسية مختلفة بقي محفوظاً الى سنة ١٩٠٦ حين مر بصيدنايا المرحوم الاب لويس شيخو واشار اليه . وقد تطلبناه في زيارتنا الثانية في ٣٠ ايلول سنة ١٩٣٠ فلم نقف له على اثر . والثاني نسخة ثمينة من كتاب التيبيكون في السريانية والعربية سيأتي وصفها شاهدناها اخيراً وكان فرحنا بسلامتها لا يقل عن عجبنا من بقائها . وقد نبهنا الوكيل الى ما لها من القيمة والشأن وانها نادرة المثال ولعلها وحيدة في

(١) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ص ١١٧ ـ ١١٨

بابها فعسى بعد هذا التنبيه والتحذير ان يُحتفظ غايـة الاحتفاظ بهذا الاثر الوحيد الباقي[1]

ولم يقع التفريط في الكتب السريانية وحدهـا بل شمل سائر المخطوطات على السواء وهي منذ وُجدت في الدير لم تبرح قنصاً لكل صائد . ونهباً لكل وارد . تتناول منها الايدي ما تختـار وتشاء بطريق الاستعارة او الغارة . فذهبت كل نفائسها ولم يسلم منها لهذا الوقت الا حُثالة ليس فيها للعلم كبير غناء . ومعظمها من الاسفار الدينية كالاناجيل والرسائل والنبوءات والقراءات و كتب الساعات وقليل من الزهديات والمجادلات واخبار القديسين . وغاية ما يستفاد من البحث فيها بعض الحواشي والتعليقات في التراجم والانساب

ومن اقبح مصائب هذه الخزانة ان اجدر الناس بحراستها هم اول من يُحترس منهم عليها . فلا تكاد تنقضي سنة دون ان ينقضّ احدهم على بعض ذخائرها . وفي سنة ١٩٣٠ لم يتحرّج بعض الكهنة بينهم من سرقة انجيل وبيعه لمحل معروف بدمشق من تجار العاديات . ولم يُردّ على الدير الا بعد اشنع الفضائح في قصة مشهورة هنالك وقد رأينا صيانة لهذه البقية الباقية ان نشير اليها وننبّه على احسن ما فيها مما يترتب على ذكره بعض الفائدة للكتبي والمؤرخ ، في ما

---

(١) ذكرت جريدة الحوادث في طرابلس في عددها رقم ١٥٢٨ رسالة بتاريخ ١٩/٦ نيسان سنة ١٩٣١ بتوقيع ارتدكسي قرية صيدنايا جاء فيها انه في ١/١٤ تشرين الاول سنة ١٩٣٠ اي بعد زيارتنا الدير ببضعة ايام حضر اليه احد الوكلاء (وذكرت اسمه) « واخذ ما حسن لديه من الاشياء الثمينة من مكتبة الدير »

خلا ما سبق الاستشهاد به منها في تضاعيف هذا الكتاب . ونحن على يقين انه قد فاتنا جانب من القيود التي يمكن ان تؤخذ عن هذه الصحائف التي أعجلنا غاية الاعجال عن اطالة النظر فيها والتنقيب في مطاويها او تصوير بعض خطوطها وتواقيعها لقلة مجاملة وكلاء الدير والجهل الغالب على اربابه عموماً

رقم ٤ « كتاب قراءات الانجيل على مدار السنة » بآخره :

كان الفراغ من هذا الكتاب المبارك في خمسة ايام مضت من شهر حزيران المبارك سنة ستة الاف وتسعماية وخمسة وثمانين لابينا آدم عليه السلام . . . وذلك بيد عبد عبيد المسيح الحقير في الكهنة يواكيم باسم قسيس ولابس ثوب التوبة ابن ابراهيم من قرية حناك وهو يومئذ ساكن في دير مار يعقوب المقطع غربي قارا . . . (١٤٧٧ م)

رقم ٥ كتاب الانجيل . كتب بآخره :

كان تمام هذا الانجيل الشريف نهار الاحد المبارك عشرين مظت من شهر حزيران من سنين سنة سبعة الاف وماية سبعة وسبعين لابينا ادم عليه افضل السلام (١٦٦٩ م) وذلك بيد افقر عباد الله تعالى الخوري ملاتيوس (وفي الهامش بجانبه « وهو فيما بعد صار مطران ») يكنا بن طلحة بن المرحوم الخوري الياس لابس ثوب الملايكة بالسم لا بالفعل . . .

وهذا الخوري هو الذي صُيّر مطران حاصبيا وما يليها وقد نقلنا وقفيتهُ لهذا الانجيل في الكلام على لاونديوس اسقف صيدنايا (ص ١٧٧)

رقم ٧ كتاب الابركسيس (الرسائل) مجلد ضخم كتب في اواخره في مشبك ملء صفحة كاملة :

وكان النجاز من هذا المصحف الشريف ... نهار الخميس ثامن وعشرين من شهر شباط المبارك سنة سبعالاف اربعة وسبعين لابينا آدم عليه السلام (١٥٦٦ م) الموافق لثالث عشر من شهر شعبان سنة ثلاث وسبعين وتسعماية للهجرة ... وذلك على يد احقر العباد ... اقل بني المعمودية واصغر اولاد الكنيسة المقدسة الارثذكسية يوحنا ابن فرجلله ابن المرحوم ابراهيم بن جوان النصراني الملكي المذهب من معمورة قارى غفر الله الروؤف له ...

وفي ورقة ثانية هذا المشبك ايضاً :

كتب هذا المصحف الشريف برسم خزانة الارخن الموقر المكرم الاجل صاحب القدر والمحل ... الشيخ الرشيد الشماس عزيز نجل المرحوم يوحنا من دمشق المحروسة . استكتب هذا الكتاب المبارك لاولاده الاعزاء وهم الشماس يوحنا وشقيقه الشماس فضل الله حرسهم الله ...

وفي صفحة ثالثة :

كتب هذا المصحف الشريف ... على زمان الاب الروحاني الاقدس الطوباني ... ثالث عشر الرسل الابوسطليين ... ناقوس البيعة المسيحية وراس الملة الارثذكسية ... كير يواكيم (ابن جمعة) البطريرك ادام الرب الاله كهنوته وقدسه ...

وممن طالع هذا الكتاب وعلّق عليه في الاوراق الاخيرة :

الحقير ميخائيل بن سرور الدمشقي اصلاً ومولداً بتاريخ نهار الاحد ثامن عشر شهر اذار المسما بلغة اليونانية مارتيس . سنة سبعة الاف ومائة وسبعة لآدم الموافق اول شهر رمضان سنة ١٠٠٧ الف وسبعة للهجرة (١٥٩٩ م)

نظر فيه ... اصغر اولاد البيعة الارثوذكسية عبدالله ابن الحاج منصور ابن الخوري سالم نجل المرحوم يوسف بن العكيكة من معمورة قارة

لما كان بتاريخ اول شهر تمز سنة سبع الاف وماية (١٥٩٢ م) ... نظر في هذه البركسيس المبارك ... اقل بني المعمودية باسم خوري عبد الكريم ابن المرحوم الياس

لما كان بتاريخ نهار الخميس ثامن وعشرين من شهر (خرم) نظر في هذا البركسيس ... عبد العزيز ابن مخلوف بن خرازاتي

لما كان بتاريخ نهار الجمعة تلسع وعشرين شهر حزيران سنة سبع الاف ماية تسعة وعشرين الموافق سنة الف وثلاثين للهجرة (١٦٢١ م) نظر في هذا البركسيس العبد الحقير . اصغر بني اولاد البيعة الارثوذكسية يوسف بن ميخايل بن موسه ابن الخوري جريس بن عطايا رحم الله والديه

رقم ١٣ مصحف اخبار الرسل القديسين الاطهار ويتلوه كتاب رسايل بولص الرسول القديس . مخروم في اواسطه وآخره . وفي اثنائه ورقة بخط حديث قيل فيها :

المهتمين في رمة هل رسايل المباركة المذكور اسمايهم وهو جبرايـل بسم حج ابن الخوري شلش . . . بماعة (بمساعدة) الاب الجليل القسيس سمعان نجل الخوري موسى من دير ميماس . وكلاهما يوم تاريخه قاطنين كفير الزيت تابع حصبايا . . . (سنة ١٧٤٥ مسيحية)

وفي ظهر الورقة الاخيرة بقية وقفية « بامر الاسقف كير يوحنا اسقف الكنيسة المقدسة » (الاسم محكوك) تليها وقفيـة اخرى بخط ناسخ الكتاب هذا نصها ولا تخفى فائدتها

« هذا ما اوقف وأبد، وسبَّل وحرّم وخلَّد، الصدر الاجل المكرم المبجل « الموقر المحترم، ذو المناقب الجليلة، والمحاسن الفاخرة الجميلة، معتمـد الملوك « والسلاطين، وفخر الشعوب المومنين، ابو الفرج نجـل المرحوم الشيخ العَلَم ابن « المرحوم الشيخ ابو الكرم، المشهور بجدّه ابو البها، الكاتب من مدينة طرابلس « المحروسة ادام الله ايامه الزاهرة، وجمع له بين خيري الدنيا والآخرة، واحسن « اليه وافاض نعمه في الدارين عليه، واسكن في خدمة الملكوت السماوي نفسه « وانفس والديه، اوقف هذا الكتاب المبارك عـلى كنيسة الست السيدة بقرية « صيدنايا المعمورة ابتغاء لوجه الله تعالى وطلباً للثواب . . . »

وبذيل هذه الورقة الاخيرة :

« رم هذا الكتاب بيده الفانية الخوري يوحنا ابن الخوري كساب احد خدام

« كنيسة دمشق في سنة ١٠٨٤ » (للهجرة ١٦٧٣ للميلاد)

رقم ١٤ كتاب العهد القديم . جاء في اخر السفر الثاني من التوراة :

« وكتبه احقر عبيد يسوع المسيح ... وهو بالاسم مطران حماة المحروسة المعروف بالمنبجي . والاسم الحقير اثناسي . عفا الله عنه وعمن يقول امين . ابن عبيد ابن يوسف بن منيع بن سعيد من قرية كفربهم عمل حماة المحروسة . ولله الشكر . »

وفي الورقة الاخيرة بخط احدث :

« كان المرمم والمشد هذه التوراة العبد الذليل الى الله تعالى الخوري ملاتيوس
« بالزي راهب لا بالفعل ... وذلك هو برسم الشماس الفاخر الكوكب المنير
« الزاهر الشماس عيسى عويسات رحم الله سلفه ويبقي حياته وينجحه في دنياه
« وآخرته . وهو من اعيان كهنة الشام . وحرر ذلك بتاريخ الاعشر (العشر)
« الاول من شهر نيسان سنة سبعة آلاف ومايه وواحد وسبعين لابونا آدم »
(١٦٦٣ م)

رقم ١٥ كتاب النبوات . بخط قديم . مخروم من آخره . وفي نهاية نبوة يوييل هذا التعليق :

« نظر في هذا الكتاب المبارك ... العبد الذليل المشهور الحقير ميخايل ابن
« سرور الدمشقي مولداً ومصر مسكناً بتاريخ خامس شهر كانون الثاني عشية
« يكون صباحها نهار الخميس عيد الانوار سنة (٧٠١٣ باحرف قبطية) لابونا
« آدم عليه السلام الموافق اواخر ربيع الاول سنة ٩١٠ للهجرة » (١٥٠٤ م)

رقم ١٦ كتاب النبوات . ناقص من آخره . في الجلد على دف خشب هذا التعليق :

نظر في هذه النبوات المباركة العبد الخاطي ... الفقير يوسف ابن الشماس ميخايل ابن عطايا غفر الله له ولوالديه ... وكان ذلك نهار الجمعة رابع عشر شهر اذار المبارك سنة سبع الاف ثمان وعشرين الى ابونا آدم (١٥٢٠ م)

رقم ٢٢ كتاب التريودي بآخره :

تم وكمل ... بيد اصغر عباد الله واحقرهم عبـد النور سلال ابن يوسف مطران جبل عجلون يوم إذنٍ في القيامة المقدسة ...

وفي ختام الثالوثيات :

كان الفراغ من هذا الكتاب المبارك نهار الثلاثا اول تشرين الاول من شهور سنة سبع الاف وماية ثمانية وتسعين لابونا ادم (١٦٨٩ م) بيد احقر عباد الله البشر مطران عجلون فوتيو . الاصل ... كي المذهب (مَلكي) من قرية انفه . ابن يوسف السلال خادم القبر المقدس . يدعا بالاسم عربي عبـد النور (تفسير فوتيو)

رقم ٣٣ رسايل بولس واعمال الرسل . بآخره :

وكتب برسم الاب السيد المطران كير كير فيلبس خادم كرسي مدينة بيروة يومئذ جعله الله مباركاً عليه ويجد فيه طول العمر والبقا مع علو الدرجة والارتقا. سنة سبعة الاف ميه اربعة سبعين لادم في ٤ اول شهر اذار (١٦٦٦ م)

رقم ٣٩ كتاب صلاة الاغربنية وترتيب افاشين السحرية وخدمة اسرار القداس . بآخره :

وكان النجاز من كتابة هذا القنداق الشريف... نهار الاثنين ثالث وعشرين شهر اب المبارك سنة سبعة الاف ومابة وسبعة وسبعين لادم عليه السلام (١٦٦٩ م) وذلك بيد فاعـل المـاوي الذميمة ... المدعا قس عبد العزيز ابن المرحوم رزق‌الله ابن ابي هلال احد خدام كنيسة الكاطوليكية بدمشق الشام سنة الف وثمانين للهجرة تمام ...

رقم ٧٠ كتاب بستان الرهبان . كتب بآخره :

كمل هذا الكتاب الذي هو تفسير البراديصوص يوم الاربعا ثالث شهر اشباط

المبارك سنة سبع الاف واثنين وثمانين لابونا آدم عليه افضل السلام (١٥٧٤ م) وذلك على يد العبد الخاطي ... موسى باسم شماس بزي راهب . لابس ثوب التوبة . شماس القلاية البطريركية ابن المرحوم القس سعاده من قرية مرمنيثا من معاملة حصن الاكراد ... وهو تلميذ السيد البطريرك كير يواكيم الانطاكي (ابن جمعة) ادام الرب رياسته ويرحم ضعف التلميذ ... وكتب بمدينة دمشق في القلاية البطريركية عمّرها الله تعالى بحسن صاحبها زمان طويل

المجد لله دائماً

اوقف هذا الكتاب المبارك الذي هو بستان الرهبان وتفسيره فردوس العقلي الاخ القس موسى ابن المرحوم القس سعاده من قرية مرمنيثا على كنيسة ستنا السيدة بحصن محروسة صيدنايا والراهبات المقيمات بها ... وكتب بتاريخ نهار الثلثا من شهر اذار المبارك سنة ٧٠٨٤ (باحرف قبطية) = (١٥٧٦ م)

(توقيع باليونانية)

رقم ٩٩ مواعظ اثناسيوس بطريرك اورشليم . باخره على الدف

عرمه بيده الفانية المسكين الحقير في الكهنة باسم خوري ابرهيم المكنا بابن سمورروا احد خدام كنيسة دمشق سنة ٧٢١٣ لآدم و ١٧٠٥ للمسيح

رقم ١٠٦ كتاب الانجيل . في اواسطه بخط غير خط الكتاب هذه الحاشية :

فليعلم كل واقفاً على هذا الانجيل الطاهر والمصباح المنير الزاهر بانه وقفاً مؤبداً وحبساً مخلداً على دير القديسة الشريفة المعادلة الرسل القديسين مار تقلا ... ووجدنا تاريخه يكون خمساية سنة . وكتب في القدس الشريف داخل الحبس بين الرهبان الحبسا وهو من نسخ الشيخ الاجل القس يعقوب ابن القس مقبل الحمصي اصلاً والملكي مذهباً . وكتب هذا التاريخ سنة سبع الاف ومايتين وسبعة لادم ابو البشر (١٦٩٩ م) وبآخره :

كان الفراغ من نقله يوم الاثنين السابع عشر من تموز سنة الف وخمساية وخمسة ... (كذا) للعالم الموافق للعرب سنة اربعة وستماية (١٢٠٧ م) نقله في الحبس والقيد المسما قس لمدينة حمص ابن القس مقبل ابن القس مبارك ...

رقم ١٠٧ كتاب التيبيكون . في السريانية والعربية بخط جميل . نسخة نادرة المثال . كتب بآخرها :

نجز بعون الله تعالى وحسن توفيقه الكتاب الشريف التيبيكن المترجم المنقول من الرومي الى العربي والسرياني غفر الرب لمن ترجمه وكتبه وقابله واعتنا به وتعب فيه امين . وكان النجاز من كتابته نهار الاربعا ثامن عشر خلت من شهر تموز المبارك سنة ست الاف وتسعاية احد وستين لابينا آدم عليه السلام (١٤٥٣ م) وذلك على يد العبد الخاطي المسكين ابراهيم باسم قس الساكن يومئذ مدينة صافيتا وهو يسأل لكلمن قرا في هذا التيبيكن المبارك ان وجد فيه غلطاً واصلحه يصلح الرب الاله احواله ...

وهو برسم الخوري يعقوب بن سليمان الشماس بن حُريز خادم كنيسة القديسة بربارة بمدينة بعلبك ...

وعلى الهامش الدائر :

اشترى هذا الكتاب المبارك المسما تبيكن الحقير في روسا الكهنة سياون خادم كرسي دير ستنا السيدة بمحروسة صيدنايا والحجة مرتا ريسة دير ستنا السيدة من الولد الياس ابن الحاج جرجس من قرية معلولا بثمن وقدره بقبرصي معاملة . وهو من مال الدير للدير ...

رقم ٢١٧ كتاب الانجيل بخط بديع وورق فاخر . مجلد تجليداً متقناً وعليه صليب مرصع بحجارة ملونة . كتب باخره :

وكان الفراغ من كتبة هذا الانجيل المقدس خامس شهر تشرين الاول يوم الثلثا سنة ستة الاف وتسعاية احد وسبعين من سنين العالم (١٤٦٢ م) وكاتبه العبد الخاطي ... ابراهيم باسم قس ابن مالك الساكن يومئذ بقرية السيسنية

رقم ٢١٨ كتاب الانجيل باليوناني . بآخره هذه الحاشية العربية :

... اوقفه القس موسى تلميذ الاب البطريرك كير يواكيم الانطاكي (ابن ضو) بمحروسة دمشق الشام واهتم بتفضيضه القس سليمان ابن المرحوم موسى ابن سنسل وذلك بتاريخ سنة سبعة الاف ثمانية وتسعين لكون العالم (١٥٩٠ م)



فهرس ابواب الكتاب

صفحة



فهرس اسماء الاعلام العربية

﴿ ت ﴾

﴿ ش ﴾



فهرس

المخطوطات والمطبوعات والجرائد والمجلات التي ورد ذكرها في الكتاب

المخطوطات

البداية والنهاية لابن كثير . رواية الطبراني . خزانة باريس رقم ١٥١٦

تاريخ الرهبانية الحلبية . دير الشير . لبنان

تاريخ الشام للخوري ميخايل بريك . خزانة برلين

تاريخ مزارات البتول في لبنان . للاب مارتين اليسوعي . خزانة كلية القديس يوسف . بيروت

تاريخ مطارنة بيروت لعبدالله طراد . في ذيل الخلاصة الوافية للخوري ميخايل بريك . خزانة كلية القديس يوسف . بيروت

ديوان ابن عُنين . خزانة باريس رقم ٦٠٣٤

ذيل ابن قاضي شهبة على تاريخ الاسلام للذهبي . خزانة باريس رقم ١٥٩٨، ١٥٩٩

ذيل الروضتين لابي شامة . خزانة باريس رقم ٥٨٥٢

سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي لابنه الشماس بولس . خزانة باريس رقم ٦٠١٦

عجالة راكب الطريق لمن رضي بتقليد التلفيق لنعمة ابن الخوري توما الحلبي . في خزانتي

الكنائس والديورة للشيخ المؤتمن ابي المكارم سعدالله بن جرجس بن مسعود . في خزانة جرجس افندي فيلوثاوس عوض . طنطا

مسالك الابصار وممالك الامصار لشهاب الدين العمري . خزانة باريس رقم ٢٣٢٥

المطبوعات

برنامج المخطوطات السريانية الفاتيكانية . للسمعاني . باللاتينية

تاريخ حوادث الشام ولبنان من سنة ١١٩٧ـ١٢٥٧ للهجرة . طبعة الاب لويس معلوف . بيروت

تاريخ دير البتول في قرية صيدنايا . للخوري اغابيوس خوري

تاريخ مختصر لدير سيدة الشاغورة في صيدنايا . للحاجة هيلانة طانيوس نهرا

الشويرية . بيروت ١٨٩٥

التنبيه والاشراف للمسعودي . طبعة ليون

خزائن الكتب في دمشق وضواحيها . لحبيب الزيات . مصر

الخطط . للمقريزي . طبعة مصر

رحلة ابن بطوطة . طبعة مصر ١٢٨٧

ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي . طبعة بيروت

رسالة الرد على النصارى للجاحظ . طبعة مصر

سيرة كير ناوفيطس نصري . طبعة الاب انطون رباط . بيروت

العبر لابن خلدون . طبعة مصر

الفهرست لابن النديم . طبعة مصر

القصارى للمطران يوسف داود

كتاب البلدان لابن الفقيه . طبعة ليون

كتاب البلدان لليعقوبي . طبعة ليون

لمحة تاريخية في الرهبانية المخلصية للخوري قسطنطين الباشا

مذكرات تاريخية بقلم احد كتاب الحكومة الدمشقيين . طبعة الخوري قسطنطين الباشا

مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي . الجزء الثامن . طبعة شيكاغو

مسالك الابصار وممالك الامصار لشهاب الدين العمري . الجزء الاول طبعة مصر

المسالك والممالك لابن خرداذبه . طبعة ليون

معجم البلدان . لياقوت الحموي . طبعة ليبسيك

وثائق تاريخية . البطريرك مكسيموس مظلوم ١٨٤٨_١٨٥٥ حريصا

الجرائد والمجلات

الاخاء (مجلة) مصر سنة ١٩٢٤_١٩٢٥

البشير (جريدة) بيروت سنة ١٨٩٥

الحوادث (جريدة) طرابلس سنة ١٩٣١

المشرق (مجلة) بيروت سنة ١٩٠٤، ١٩٠٥، ١٩٠٦، ١٩٢٧

فهرس الصور ورسوم المخطوطات



TABLE DES ILLUSTRATIONS

Francesco Suriano. *Trattato di Terra Santa e dell'Oriente*. Milano 1900

J. S. Bukingham. *Travels among the Arab Tribes inhabiting the Countries east of Syria and Palestine*. London 1825

Van Egmont and John Hegman. *Travels through part of Europe, Asia minor, the Island of the Archipelago, Syria, Palestine, Egypt, Mount Sinaï*. London 1759

J. Segall. *Travels through Northern Syria*. London 1910

E. Rodocanachi. *Une Cour Princière au Vatican pendant la Renaissance*. Paris 1925

Leonardo di Niccolo Frescobaldi. *Viaggio in Egitto e in Terra Santa*. Roma 1818

Bertrandon de la Broquière. *Voyage d'Oultemer*. Publié par Ch. Scheffer. Paris 1892

Corneille Le Brun. *Voyage au Levant*. Traduit du Flamand. Delft 1700

Fermanel, Fauvel, Baudouin de Launay et Stochove. *Voyage d'Italie et du Levant*. Rouen 1670

Voyage du Sieur Paul Lucas au Levant. Paris 1704 vol. I

Henri Maundrell, *Voyage d'Alep à Jérusalem en 1697* Paris 1706

The voyage and travaile of Sir John Maundeville. London 1864

Nicolas de Hault. *Voyage de Hierusalem fait l'an mil cinq cents quatre vingt treize*. Rouen 1601

Richard Pococke. *Voyage en Orient, dans l'Egypte, l'Arabie, la Palestine, la Syrie, la Grèce, la Thrace etc*. Londres 1772

Voyage du Seigneur de Villamont Rouen. 1618

Volney. *Voyage en Syrie et en Egypte*. Paris 1787

PÉRIODIQUES

Bulletin de l'Institut Archéologique Russe de Constantinople (en russe) VII livraison. Sofia 1902

Echos d'Orient t VII (1905)

Journal of the American Oriental Society vol. 41 part. 5 December 1921

Revue de l'Orient Chrétien 1899, 1906

Revue de l'Orient Latin 1895

Romania t XI (1882) t XIV (1885)

Joanne Cotovico. *Itinerarium Hierosolymitanum et Syriacum*. Anvers 1619

Michelant et Raynaud. *Itinéraires à Jérusalem*, Genève 1882

Itinéraires Russes en Orient. Traduction M[me] B. de Khitrowo

P. Paul Peeters. *La Légende de Saidnaïa* (Analecta Bollandiana t XXV fas. II)

Lettres Edifiantes et Curieuses. Nouvelle édition. Paris 1780 t I

Fr. Jacques de Verone. *Liber Peregrinationes* (Revue de l'Orient Latin 3 (1895)

Fra Niccolo de Poggibonsi. *Libro d'Oltemare*. Bologne 1881

Le Livre de ma vie (en russe). Journal et récit autobiografique de l'évêque Porphyre-Uspenski. Edition de l'Académie Impériale des sciences. S[t] Petersbourg 1894

Mansi (Conciles) vol. 38 et 46

Mémoires du Chevalier d'Arvieux. Paris 1735

Mémoire du Sieur du Bellis Chancelier du Consulat de Seyde (in A. Rabbath : Documents Inédits).

Migne P. G. LXXXVI

G. Raynaud. *Le miracle de Sardenai* (Romania 1882 t XI et 1885 t XIV)

Clemente Da Terzorio. *Le missioni dei Minori Capucini*. Rome 1919 t V

Clément Huart. *Notes prises pendant un voyage en Syrie*. Extrait du Journal Asiatique. Paris 1879

W. G. Browne. *Nouveau voyage en Egypte, en Syrie, et en Afrique* 1792-1798. Paris 1800

Don Acquilante Rochetta. *Peregrinatione di Terra Santa e d'Alter Provincia*. Palermo 1630

Bernardin Surius. *Le Pieux Pélerin ou Voyage de Jérusalem*. Bruxelles 1666

Greffin Affagart. *Relation de Terre Sainte*. Paris 1902

Relation de voyage en Orient de Carlier de Pinon. Paris 1920

Relation du voyage qu'entreprit à pied de 1723 à 1747 aux lieux saints d'Europe, d'Asie et d'Afrique Wassili Gregorovitch Barsky-Plaky-Alboff moine d'Antioche et natif de Kiew (en russe). Edition de l'Académie des Sciences. S[t] Pétersbourg 1819

P. Besson. *La Syrie et la Terre Sainte au XVII siècle*. Paris 1862

R. Dussaud. *Topographie Historique de la Syrie Antique et Médiévale*. Paris 1927

Guillaume de Bouldeselle. *Traictie de l'Estat de la Terre Sainte*. Manuscrit français de la Bibliothèque Nationale Paris n° 1380

BIBLIOGRAPHIE

John Green. *A journey from Aleppo to Damascus*. London 1736

Archivio della S. C. di Propaganda Fide

P. Gerolamo Golubovich. *Fr. Benedictus de Alignano. Biblioteca Bio-Bibliographica della Terra Santa*. t I

H. Zotenberg. *Catalogue des manuscrits Ethiopiens de la Bibliothèque Nationale. Paris* 1877

Chronica Slavorum d'Arnold de Lubeck. Ed. Lappenberg. M. G. Ser. t XXI

Sebastiano Pauli. *Codice Diplomatico del sacro militare Ordine Gerosolimitano*. 1737 (Lucca t II)

E. Rey. *Colonies Franques de Syrie*. Paris 1883

F. Lenormant. *Les derniers événements de Syrie*. Paris 1860

Neibuhr. *Description de l'Arabie*. Paris 1779

R. Röhricht et H. Meisner, *Deutsche Pilgerreisen*. Berlin 1880

M. Parisot. *Le Dialecte de Maloula*. Paris 1898 (Extrait du Journal Asiatique)

Karl Ritter. *Die Erdkunde*. Berlin 1854-1855

Ludolphe de Sudheim. *De itinere Terræ Sanctæ* (Archives de l'Orient Latin t II)

A, Rabbath. *Documents Inédits pour servir à l'histoire du Christianisme en Orient*.

Epistola Magistri Thetmari (Mémoire de l'Académie Royale de Belgique t XXVI 1851).

John Madox. *Excursions in the Holy Land. Egypt. Nubia, Syria etc*. London 1834

Y. L. Porter. *Fives years in Damascus*. London 1855

Mathieu Paris. *Grande Chronique*, traduite en Français par A. Huillard-Breholles. Paris 1840-1841 vol. II

J. Vansleb. *Histoire de l'Eglise d'Alexandrie*. Paris 1677

Ysabel Burton, *The Ynner Life of Syria, Palestine and the Holy Land*. London 1875 vol. 1er

A. Luchaire. *Innocent III. La question d'Orient*. Paris 1911

W. H. Waddington, *Inscriptions Grecques et Latines de la Syrie*

Beadeker. *L'Italie Centrale 1909*

Puis vient la liste des évêques orthodoxes de Seidnaya à partir de 1744. Voici leurs noms :

Irothaos	(1764-1765)
Barnabé	(1779-1803)
Nicéphore	(1807-1808)
Zacharie	(1850)
Méthodios Saliba	(1854-1888)
Gérasimos Yared	(1889-1899)
Germanos Schéhadé	(1904-1925)
Niphon Saba	(1923-1930)

Chez les melkites catholiques, Seidnaya fait actuellement partie du diocèse patriarcal de Damas.

Enfin, l'ouvrage se termine par un chapitre sur les religieux et les religieuses de Seidnaya (pp. 238-245), suivi de quatre noms de supérieurs du couvent d'hommes, les seuls que l'Auteur ait pu retrouver, et de la liste des abbesses du couvent des femmes, dans la mesure où de telles listes peuvent être reconstituées ; l'autre sur les manuscrits du couvent de la Vierge. Ces manuscrits étaient autrefois particulièrement nombreux à Seidnaya. Malheureusement, l'insouciance, jointe à une ignorance absolue de l'histoire et des valeurs inestimables que possédait la bibliothèque du couvent, firent dilapider la plus grande partie des trésors scientifiques que l'on possédait. Dans la crainte ridicule de voir les Syriaques jacobites réclamer la propriété du couvent, à cause des manuscrits syriaques qu'on y trouvait en grand nombre, les supérieurs du couvent y mirent le feu dans la première moitié du XIX[e] siècle. On s'en servit même pour chauffer pendant plusieurs jours le four qui servait à la cuisson du pain. On ne voit pas que dans la suite, on fût plus attentif à veiller sur ce trésor dont nul n'apprécie la valeur à Seidnaya. On y trouve cependant encore quelques manuscrits intéressants que l'Auteur étudie succintement.

Le travail de M[r] Zayat sera certainement acueilli avec faveur dans les milieux savants d'Europe. Malgré des difficultés qui semblaient parfois insurmontables, il a osé entreprendre et réussi à mener à bonne fin un travail en tout point remarquable. Qu'il nous soit permis de l'en féliciter, en le priant d'agréer nos remercîments pour le généreux désintéressement avec lequel il s'est désisté de son travail en faveur de la Maçarrat.

DIRECTION

DE LA REVUE « AL-MAÇARRAT »

Dans le chapitre suivant, l'Auteur essaie de reconstituer la liste épiscopale de Seidnaya, travail particulièrement difficile et ingrat, les documents nous faisant presque entièrement défaut à ce sujet. En compulsant minutieusement les manuscrits de la Vaticane et de la Bibliothèque Nationale à Paris, ainsi que ceux de Seidnaya et de sa bibliothèque privée particulièrement riche, Mr Zayat a pu relever un certain nombre de noms et de dates assez intéressants. C'est le fruit de ce travail consciencieux et en partie complètement neuf qu'il nous livre dans les pages 152 à 232 de son ouvrage. Nous y relevons les noms de deux évêques au XIIeme siècle, de trois au XVeme, etc. Voici d'ailleurs cette liste tout entière :

Jean Khattar	(1207)	(p. 152)
Pierre	(1264)	(p. 153)
Athanase	(1431)	(p. 153)
Dorothée	(1434)	(p. 154)
Marc	(1446-1451)	(pp. 155-156)
Jean Saleh	(1500)	(pp. 157-158)
Michel Zoueitah	(avant 1564)	(p. 158)
Siméon	(1565-1580)	(p. 159-162)
Athanase de Deir-Attié	(1591-1604)	(p. 162)
Siméon fils de Schéhaté	(1604-1635)	(p. 163-166)
Pacôme le Chiote	(1636-1645)	(pp. 167-173)
Youassaph le Tripolitain	(1645-1648)	(pp. 173-175)
Gérasimos	(1661)	(pp. 175)
Léon fils de Abou-El-Joz	(1671-1686)	
Youassaph fils de Khalaf	(après 1686)	
Gérasimos le Damascain	(1711-1721)	(pp. 177-192)
Naophytos Nasri	(1722-1731)	(pp. 172-224)
Clément l'Alépin	(1731-1784)	(p. 225-232)

Cette liste est pleine d'intérêt et fixe définitivement certains points d'histoire demeurés assez obscurs jusqu'aujourd'hui, telle par exemple l'élection de Sylvestre le Chypriote au moment de la scission de la communauté melkite en deux branches l'une catholique et l'autre orthodoxe. On y trouve également plusieurs documents inédits sur les relations des Patriarches et des Evêques melkites d'Antioche avec le St Siège durant les XVIIeme et XVIIIeme siècles.

Il nous parle tout d'abord du nom même dont on désigne le couvent : à savoir celui de « couvent du Fort », on encore de « couvent de la Chaghoura » ou du Refuge, à cause vraisemblablement de son site qui le rendait au moment du danger un refuge quasi imprenable où se barricadaient les Chrétiens de la contrée. Quant à la date de fondation du couvent, il est assez malaisé de la fixer dans l'état actuel de notre documentation. D'aucuns voudraient la faire remonter jusqu'au temps de Justinien. Rien ne semble prouver la véracité de cette opinion.

Le chapitre suivant (p. 70-90) nous entretient des Pélerins qui ont visité Seidnaya. Ainsi que nous l'avons dit, cette visite était le complément obligé de celle que l'on faisait aux lieux saints de Jérusalem. Les Pélerins qui sollicitaient un permis de pélerinage au S[t] Sépulcre, y inséraient toujours une demande pour la visite de Seidnaya. A cette occasion, l'Auteur nous donne des détails très intéressants sur les conditions dans lesquelles se faisait le pélerinage, jusqu'au premier quart du XIX[e] siècle. Suit une énumération des principaux pélerins qui ont visité le sanctuaire de la Vierge, tels par exemple les Patriarches d'Antioche, certains poètes et littérateurs arabes, les pélerins venus d'Europe, etc.

Vient ensuite une étude du sanctuaire lui-même (pp.90-151). Après en avoir donné une description assez détaillée et en avoir résumé l'histoire (pp.91-96), l'Auteur nous parle des différents autels que se partageaient les diverses communautés orientales, à l'intérieur même de l'église, à l'instar de ce qui se fait actuellement à la Basilique du Saint Sépulcre à Jérusalem (pp. 96-98), puis des icônes et des vases sacrés (pp. 98-100), des livres liturgiques et des manuscrits (pp. 100-102), des chapelles du couvent (p. 102), enfin de la chapelle même et de l'Icône de la Vierge ou de la « Chaghoura », le vrai lieu saint et la vraie relique de Seidnaya (pp. 103-151).

Ce paragraphe est plein de détails inédits et intéressants. L'Auteur y transcrit entre autres deux des principales relations arabes narrant l'histoire de l'image sainte, nous parle de la commémoraison qu'en font les Abyssins, les Coptes et même les Maronites (p. 106-127), de la légende qui attribue l'Icone à Saint Luc (pp. 127-131), nous en donne une description assez sommaire d'après les anciens auteurs (pp. 131-132), relate quelques légendes auxquelles a donné naissance la piété trop crédule des fidèles, établit que l'Icône n'est plus à Seidnaya, en ayant été enlevée ou volée, assez vraisemblablement vers la fin du XVI[ème] siècle, et, enfin, nous entretient de la manne mystérieuse qui en découlait et qui fut sans doute une des causes principales de sa célébrité (pp. 144-151).

Dans les chapitres 1, 2 et 3, l'Auteur situe la ville de Seidnaya, en retrace l'histoire à larges traits, puis nous parle successivement du nom (*chap. 2*) et des habitants (*chap. 3*) de la ville. (*pp. 5-23*).

Le chapitre 4 (pp. 24-31) nous parle de la langue de Seidnaya. A cette occasion, l'Auteur agit et tranche une question qui fut longtemps très âprement discutée : à savoir l'emploi de la langue syriaque dans la liturgie byzantine à Seidnaya et dans les autres localités melkites-byzantines. Les preuves qu'il apporte ne permettent plus de douter que les melkites de Syrie, du moins dans les campagnes, aient employé le syriaque, en même temps que l'arabe et le grec, dans les offices liturgiques ; avec cette remarque toutefois que la langue liturgique n'indique ni le rite, ni l'origine ethnique de ceux qui l'emploient.

Le chapitre 5 (pp. 32-36) traite de deux produits célèbres de Seidnaya : le raisin et le vin. Les anciens écrivains en ont suffisament vanté l'excellence, pour légitimer ce chapitre spécial consacré à en rappeler le souvenir.

Viennent ensuite (Chapit. 6, pp. 37-69) les églises et couvents de Seidnaya. Leur nombre a dû atteindre à certaines époques près d'une quarantaine, chiffre vraiment étonnant pour une localité dont les habitants n'ont jamais dépassé les quelques milliers. Aprés en avoir donné une nomenclature générale assez rapide, l'Auteur s'applique à étudier avec plus de détail les édifices les plus intéressants, tels par exemple l'église de S[t] Pierre et de S[t] Paul, une des plus anciennes de la ville et qui remonterait aux premiers siècles du Christianisme ; (pp. 48-50)

l'église de Sainte Sophie, restaurée en 1896 par le Patriarche Grégoire II Yousseph et servant aujourd'hui d'église paroissiale à la communauté melkite catholique ; (pp. 50-52)

les couvents de S[te] Barbe (p. 52), de S[t] Jean (p. 52), de S[t] Christophore (p. 54) de S[t] Georges (p. 55), de S[t] Thomas (p. 57), actuellement en ruine, autrefois un des monuments les plus célèbres de Seidnaya. On y relève encore parmi les ruines quelques inscriptions grecques qu'on n'est pas encore arrivé à déchiffrer. L'Auteur en publie deux échantillons.

Puis viennent les couvents de S[t] Charbin (p. 60) et, enfin, le fameux couvent de la Vierge auquel Seidnaya doit en grande partie sa célébrité. Aussi bien, l'Auteur va-t-il s'attarder à nous parler de ce fameux centre de pélerinage dont la visite autrefois s'imposait presqu'à l'égal de celle du Saint Sépulcre.

TABLE DES MATIÈRES

Seidnaya, ou, comme l'appellent les vieux auteurs du Moyen Age, Notre-Dame de Sardenay ou de la Roche, fut à un moment une des localités le plus célèbres de l'Orient chrétien. Sise à une altitude de 1.400 mètres au nord-est de Damas, renommée pour son climat particulièrement sain, ses vignobles et ses crus, elle ne devait cependant pas se signaler davantage parmi les localités du Djébel Kalamoun, n'était le fameux sanctuaire de la Vierge qui la dominait. Dès les temps le plus reculés, ce sanctuaire devenait un centre de pélerinage célèbre. Bientôt, la visite de Seidnaya s'imposa à l'égal de celle de Jérusalem. Les pélerins d'Europe ne comprenaient pas l'une sans l'autre. Seidnaya fut ainsi mêlée à toute l'histoire religieuse du proche Orient. Aussi bien, une monographie de cette localité est-elle une contribution précieuse à l'histoire religieuse du Patriarcat d'Antioche et des chrétiens d'Orient en général.

Malheureusement, aucun ouvrage vraiment sérieux n'existait encore qui nous parlât de ce centre de pélerinage autrefois si fameux et qui, aujourd'hui encore, continue à attirer des foules nombreuses venant de tous les environs, parfois de localités assez éloignées. Les pages que la Maçarrat offre en prime à ses lecteurs, vont combler trés heureusement cette lacune.

Le nom de l'auteur, M[r] Habib Zayat, est garant de la haute valeur critique de cet ouvrage. Ecrivain de marque, familiarisé depuis plus de quarante ans avec l'histoire religieuse et civile de l'Orient, doué d'un sens critique particulièrement remarquable, homme de grande conscience historique confinant souvent au scrupule, ayant compulsé tout ce qu'on peut utilement consulter à l'heure actuelle à la Bibliothèque Vaticane à Rome et à la Bibliothèque Nationale à Paris, ayant aussi minutieusement fouillé une foule de manuscrits, particulièrement ceux du couvent même de la Vierge à Seidnaya, M[r] Zayat peut se vanter de livrer au public savant une étude remarquable, et qui d'ici longtemps, sera certainement la seule histoire vraiment sérieuse de Seidnaya, et, pour certaines pages, des chrétiens d'Orient en général.

Dans le but d'en faciliter la lecture aux Orientalistes et à tous ceux qui s'occupent de l'histoire religieuse de l'Orient, nous en donnons ici trés succintement la suite des chapitres :

DOCUMENTS INÉDITS

POUR SERVIR

A

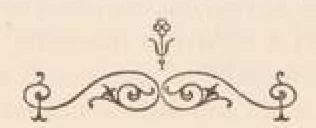
L'HISTOIRE DU PATRIARCAT
MELKITE D'ANTIOCHE

III

HISTOIRE DE SAIDANAYA

PAR

HABIB ZAYAT



IMPRIMERIE DE SAINT PAUL - HARISSA (LIBAN)

